مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

الملاهي

تعريب

أ. ر. مشاطي ج. يونس

إشراف وتقديم

نظير عبود

توزيع

دار الجيل

مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

الملاهي

(٣)

تعريب

أ. ر. مشاطي ج. يونس

إشراف وتقديم

نظير عبود

دار نظير عبود

ص.ب : ١١/٨٠٨٦ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ـ ٩٣٤٧١٤

يحتوي هذا المجلد على :

ترويض الشرسة

تعريب

أ. ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

المقدمة :

لورد.

كريستوفر إسلاي : نحاس سكير.

مضيفة في حانة.

غلام.

ممثلون.

وُصفاء ــ صيّادون ــ خدم.

المسرحية :

باتيستا : غني من أعيان بادوا.

فنسنتيو : عجوز من أعيان بيزا.

لوسنتيو : ابن فنسنتيو، وعاشق بيانكا.

بتروسيو : من أعيان فيرونا، وعاشق كاترينا.

جيراميو : عجوز من الأعيان، وعاشق بيانكا.

هورتنسو: شاب عاشق بيانكا

ترانيو: } وصيفا لوسنتيو.
بيوندالو: }

كريميو: } وصيفا بتروسيو.
كرتيس: }
مربّي:
كاترينا: } ابنتا باتيستا
بيانكا: }
ارملة:
خياط ــ صانع قبعات ــ مدعوّون الى العرس ــ خدم

تجري الأحداث تارة في بادوَا، وطوراً في بيت ريفي يخص بتروسيو.

المقدمة

المشهد الأول

على العشب، أمام حانة

(تدخل المضيفة ويتبعها اسلاي)

اسلاي: (بصوت مخمور) قسماً بشرفي، سأقتص منكِ.
المضيفة: اذهب الى الجحيم، أيها المتشرد
اسلاي: يا للكِ من سافلة. ان أسرة إسلاي ليست من المتشردين. اطّلعي على الأخبار، تجدي اننا جئنا بمعية ريكاردوس الفاتح. عليكِ أنْ تريحي الناس من شرّك، يا منافقة.
المضيفة: ألا تريد أن تدفع ثمن ما كسرته من أقداح؟
اسلاي: كلا. لن أدفع فلساً واحداً. بربّك، اذهبي عني واندسي في فراشك البارد لتدفئي جسمك القذر.
المضيفة: أنا أعرف دواءك. سأستدعي العريف.
اسلاي: استدعي العريف والرقيب ثم النقيب ان شئتِ، فسأرد عليهم جميعاً، ولن أتزحزح قيد أنمل، شرط أن يلتزموا الأدب.

(يتمدد على الأرض لينام)

(يسمع صوت نفير. يدخل لورد بثياب القنص ويتبعه صيادون ووصفاء).

اللورد : أيها الصياد، أوصيك بأن تعتني جيداً بكلابي، ولا سيما المدعو « نشيط » لأن الحيوان المسكين قد أنهكه التعب. وأزْوِج كلبتي « فضّة » وذاك الكلب العريض الشدقين. هل رأيت، يا غلام، كيف أسرع « الأسود » راكضاً الى زاوية السياج حين قصَّر سائر الكلاب ؟ اني مصمم على أن لا أفقد هذا الحيوان الفريد ولو كلفني عشرين ديناراً.

الصياد الأول : ان الكلب « سريع » يساويه، يا مولاي. فقد نبح حالما انحرفت الطريدة. واليوم هدانا مرّتين الى الدرب المغطى بأوراق الشجر المتناثرة. صدقوني، انه أمهر كلاب الصيد طرّاً.

اللورد : ما أغباك ! لو كان الكلب « كاسر » أرشق قليلاً لساوى حسب تقديري عشرة من أمثال « سريع ». على كل حال، قدّم للكلاب عشاءً جيداً واسهر عليها جميعاً، لأني أنوي الذهاب الى القنص غداً أيضاً.

الصياد الأول : أمرك مطاع، يا مولاي.

اللورد (وهو يبصر إسلاي) : من هذا ؟ هل هو رجل ميِّت أم سكران ؟ تفحّصه. هل يتنفس ؟

الصياد الثاني : نعم، يا مولاي، يتنفس، ولولا الجعة التي تملأ رأسه بأبخرة الكحول لآوى الى فراشه كي يستريح.

اللورد : تباً له من متسوِّل شريد ! انه متمرغ في التراب كالخنزير القذر. كم صورتك كريهة ومفجعة أيها السكر الشبيه بالموت ! أود أن ألهو بهذا الثمل، يا سادة، فما رأيكم، لو نقلناه إلى سرير مغطى بشراشف ناعمة واستيقظ ووجد خواتم في أصابعه ومائدة عامرة بالمآكل الفاخرة الى جانب سريره ولقي حوله أشخاصاً يرتدون بزّات ثمينة، هل ينسى هذا المتسوّل من هو ؟

الصياد الأول : بكل تأكيد، يا مولاي.

الصياد الثاني : وستستولي عليه الدهشة عندما يستيقظ.

اللورد : سيعتبر ذلك بمثابة حلم مشوِّق أو خيبة مريرة. هيّا، ارفعوه من هنا ورتبوا له « المقلب » بشكل مناسب. احملوه برفق الى أجمل غرفة في

قصري، وزيّنوها بأروع لوحاتي الغزلية. طيبوا رأسه الوسخ بـأردء العطور، واحرقوا أزكى الأخشاب رائحة لتضميخ الجناح الخاص به. وأحضروا جوقة موسيقية لتعزف فور استيقاظه أعذب الألحان، وإذا اتفق له أن يتكلم بغتةً، قدموا له حالاً، بكل تواضع، أسمى تحيات الإجلال، واسألوه : بماذا تأمر يا صاحب العظمة ؟ وليتقدم واحد منكم يحمل طشتاً من الفضة مملوءاً بماء الورد تسبح على صفحته الزهور، وثانٍ يحمل ابريقاً، وثالث منشفة كبيرة، ويطلب من سيادته أن يتفضّل ويغسل يديه الكريمتين، وليهيء احد مجموعة من الألبسة الفخة ويسأله أية حلة يودّ أن يلبس، ويكلمه آخر عن كلابه وخيله وعن صحة حرمه المصون التي يزعجه مرضها، وليقنعه أحدكم بأنه متقلب الأهواء، وإن رد بالإيجاب، قولوا له أنه يحلم، وإنه لا يقلّ نبلاً ومهابة عن أي سيد آخر، افعلوا ذلك يا خلّاني بكل طبعية، وسيكون المشهد أوفر تسلية إذا تمّ كل هذا بدقة وهدوء.

الصياد الأول : ثق بنا يا مولاي، سنقوم بأدوارنا على أكمل وجه، فيعتقد بأن معاملتنا له هي بالفعل حقيقة واقعية.

اللورد : احملوه برفق ومدّدوه على السرير، وليقف كل منكم في مكانه حالما يستيقظ. (يحمل الوصفاء إسلاي. ويسمع صوت بوق. لوصيف) يا غبي، انظر ما هو مصدر صوت البوق هذا. (يخرج الوصيف) هذا بدون شك أحد الأعيان يستريح هنا أثناء سفره. (يعود الوصيف) ماذا رأيت ؟

الوصيف : هناك فرقة ممثلين يعرضون خدماتهم على سيادتك.

اللورد : قل لهم أن يقتربوا.

(يدخل الممثلون)

اللورد : أهلاً بكم يا أصحاب.

الممثل الأول : نشكر سيادتك.

اللورد : هلّا قبلتم أن تؤانسونا هذا المساء ؟

الممثل الثاني : نسألك يا مولانا أن تقبل خدماتنا.

اللورد : بكل طيبة خاطر (يشير الى الممثل الأول) أنا أذكر يا فتى أني شاهدتك تمثِّل مرة دور ابن أحد المزارعين، وذلك في مسرحية كنت تغازل أثناءها السيدة الكبيرة. لقد نسيت اسمك، انما أنا واثق بأنك أديت دورك بمهارة.

الممثل الأول : أظن أن سيادتك تتكلم عن ديسوتو.

اللورد : حقاً كنت ممتازاً، لقد أتيتم في الوقت المناسب، لا سيما أني أنوي احياء حفلة يكون حسن تصرفكم فيها عوناً كبيراً لي، هنا مولى يود أن يشاهد تمثيلكم هذا المساء، غير أني أخشى أن لا تتمالكوا عن الضحك لدى ردة الفعل الغريبة من قبله، لأن سيادته لم يشاهد قط مسرحية، فتطغى عليكم موجة مرح عارمة فتغضبوه، إذ انه يغتاظ لمجرد رؤيته اياكم تضحكون.

الممثل الأول : لا تخشى شيئاً، يا مولاي، سنعرف كيف نضبط أنفسنا حتى ان كان أسخف رجل في العالم أجمع.

اللورد (لوصيف) : اذهب، أيها الغبيّ، وسر بهم إلى المشرب وقدّم لكل منهم ضيافة وديّة، ولا تدعهم يحتاجون الى أي شيء يمكن أن يوفره لهم قصري. (يخرج الوصيف والممثلون. يوجِّه كلامه إلى وصيف آخر) وأنت أيها الأبله، اذهب وراجع غلامي برتلماوس وألبسه ثياب سيدة من قمة رأسه الى اخمص قدميه، بعدئذ خذه الى غرفة السكير، وادعوه كلكم يا سيدتي، وقدموا له أسمى مظاهر التكريم، وقولوا له من قبلي : إذا أراد أن ينال حظوة في عينيّ، عليه أن يتصرف بموجب أنبل سلوك تتحلّى به أرقى السيدات في علاقاتهم بأزواجهن، وعاملوا السكير بطريقة مماثلة، واسألوه بلطف وتواضع : بماذا تأمرنا يا صاحب السيادة ؟ كيف تريد أن تظهر لك زوجتك المصون اخلاصها وحبها وخضوعها ؟ وإذ تعانقه بحنوّ وتقبّله بشوق ورأسها مستند الى صدر زوجها تسيل دموع الفرح من مآقيها وهي تبصر قرينها يستعيد صحته الغالية، بعد أن خيّل اليه خلال زهاء خمسة عشر عاماً انه ليس سوى متسول حقير بائس، وإذا فقد غلامي مقدرته على ذرف وابل من الدموع كالنساء حين يشاء، فإن رائحة البصل التي تغشي عينيه كفيلة بأن تبكيه، نفّذوا مطلبي هذا بأقصى ما يمكن من الدقة والسرعة، وسأزوّدكم بعد هنيهة بتعليماتي الجديدة.

(يخرج الوصيف) أنا واثق جيداً بأن الشاب الذي أكلفه بالأمر سيبالغ في اصطناع الرقة والصوت والحركة التي تمتاز بها المرأة الفطنة، إني أترقّب بفارغ الصبر أن أرى السكير ينادي زوجته، وأن أشاهد رجالي كيف يتمالكون عن الضحك وهم يقدمون واجب الاحترام لهذا الجلف المغرور، وأنا ماضٍ لألقي عليهم درساً في هذا الموضوع، وربما كفى حضوري لجعلهم يضغطون شعورهم بغية المحافظة على المرح الذي يؤدي الى انفجار قهقهتهم وتعدّيهم الحدّ الذي عليهم أن يقفوا عنده.

المشهد الثاني

حجرة نوم في أحد القصور

(يشاهد إسلاي لابساً رداء فخما داخل البيت، يحيط به وصفاؤه، بعضهم بملابس غنية، ومنهم من يمسك طستاً وابريقاً ولوازم شتى للزينة يدخل اللورد مرتدياً ثياب الخدم)

إسلاي : بالله عليكم، أنجدوني بقليل من الجعة.
الوصيف الأول : هل تريد سيادتك أن تشرب كأساً من نبيذ جزرالكناري ؟
الوصيف الثاني : أتود سيادتك أن تذوق هذه المأكولات ؟
إسلاي : أنا كريستوفر إسلاي، ولست مولى ولا سيداً، ولم أشرب في حياتي أي خمر من جزر الكناري. وإذا شئتم أن تطعموني، فأحب أن آكل قليلاً من لحم البقر. ولا تسألوني أي رداء أودّ أن ألبس، لأن ليس لي كرش وجاهة، ولا جراب يستر ساقي، ولا حذاء يقي رجليّ ولو برزت من خلاله أصابع قدمي.
اللورد : أضرع إلى السماء أن يحمي مولاي من شر هذا المزاح الثقيل. هل يعقل أن يتّصف رجل بمثل ذكائك وعراقة محتدك وثروتك الطائلة وعلوّ مقامك بما تدعيه الآن من فكاهة سمجة لا تليق بشخصك الكريم.

إسلاي : هل تريدني أن أفقد عقلي ؟ أولست أنا كريستوفر إسلاي بن برتلماوس إسلاي العجوز الذي ولد على حصير الفاقة وتربى على رسم الخرائط وكُلِّف بترقيص الدببة، وحالياً يتعاطى صنع القدور النحاسية ؟ اسأل عني مريانا هاكيت صاحبة نزل « ديلم كوت » البدينة، فهي تعرفني حق المعرفة لأني مدين لها بأربعة عشر ريالاً، وإلا اعتبروني أكذب خلق الله. صدّقوني أنا لا أهذي، ولا أقول إلّا الحقيقة.

الوصيف الأول : هذا يغيظ مولاتي.

الوصيف الثاني : بل يضايق خدمك أيضاً.

اللورد : وهذا بالذات يجعل أهلك يهربون من قصرك بسبب زوغانك المريب الذي يعمل على ابعادهم عنك. أيها المولى النبيل، فكِّر بعراقة أصلك وحاول أن تتخلص من خواطرك القديمة، وبدّد عنك هذه الأحلام السخيفة المشينة. انظر كيف يبادر خدمك إلى احاطتك بالتبجيل والى تنفيذ أوامرك السنية. هل تريد أن تسمع شيئاً من الموسيقى ؟ انصت (تسمع أنغام موسيقية)، ها هو الإله أبولون يعزف والبلابل تغرّد في القفص. هل تريد أن تنام، فنمددك على فراش وثير أنعم من الذي أعد خصيصاً لسميراميس ؟ قل أنك تريد أن تتنزه، فنفرش لك الطرقات بالسجاد. هل تريد امتطاء جواد، فنسرج لك واحداً بردعته مزيّنة بالذهب واللآليء ؟ هل تريد أن تصطاد الطيور، فنحضر لك صقوراً مروّضة تنشط باكراً عند انبلاج الصباح ؟ هل تريد مطاردة ضواري الغابة، فنأتيك بمجموعة كلاب ماهرة يملأ نباحها أجواز الفضاء وتردد صداها الوديان والكهوف !؟

الوصيف الأول : قل أنك ترغب في القنص، فنحضر لك كلابا أسرع من المها وأرشق من الغزلان.

الوصيف الثاني : هل تحب اللوحات، فنذهب حالاً لنجلب لك رسم أدونيس، وهو على ضفّة الساقية وفينوس مختبئة بين الغزّار الذي يتمايل لدى تنفسها نظير القصب الذي ينحني أمام العاصفة ؟

اللورد : سنريك رسم الإلهة « يو » حين كانت لا تزال عذراء، وقد جرفتها

الشهوات والملذات، فبدت ألوانها الزيتية زاهية نضرة كأنها تنبض بالحياة.
الوصيف الثاني : أو الإلهة « دفنة » تائهة في أرض مليئة بالشوك الذي جرح ساقها، فتعاينها في هذا المشهد وهي تنزف وتتوجع، والإله أبولون يرثي لحالها، ويندب دماءها السائلة ودموعها المنهمرة، البارزة في الرسم بألوان ساحرة تنضح ألماً وكآبة.
اللورد : يا مولاي، ما أنت إلا لورد، ولك زوجة أجمل من جميع نساء هذا الجيل الفاسد المنحلّ.
الوصيف الأول : قبل أن تتدحرج الدموع على محياها الصبوح، كانت أجمل مخلوقات العالم، وليس من امرأة تفوقها أدباً ورصانة.
إسلاي : هل أنا حقا لورد، ولي زوجة هي سيدة مبجلة ؟ هل أنا أحلم ؟ ألا أزال راقداً الى هذه اللحظة ؟ أنا غير نائم لأني أبصر وأسمع وأتكلم وأشم الروائح العطرية، وألمس الأشياء الناعمة. لعمري أنا إذاً في الواقع لورد، ولست نحّاساً ولا أدعى كريستوفر إسلاي. هيا ائتوني بزوجتي السيدة النبيلة، واجلبوا لي كأسا من الجعة.
الوصيف الثاني : هل تريد يا صاحب العظمة، أن تغسل يديك ؟ (يقدم له الوصفاء أبريقاً وطستاً ومنشفة) كم نحن سعداء برؤيتك، قد عدت إلى رشدك. وكم نودّ أن نراك قد عرفت من أنت حقاً، يا مولاي. فمنذ خمسة عشر عاماً قد غُصْتَ في حلم طويل غريب أثّر على مجرى حياتك، فظللت بعد استيقاظك كأنك لا تزال نائماً.
إسلاي : منذ خمسة عشر عاماً ؟ لعمري هذا رقاد خيّر. وأنا لم أقل شيئاً طوال هذه المدة !
الوصيف الأول : أجل يا مولاي. إنما كلامك كان بعيداً عن الواقع وأثناء نومك هنا في هذه الحجرة البديعة كنت لا تنفكّ عن ترديد ادعائك بأننا طردناك وكنت تهاجم مضيفتك وتعلن أنك ستلاحقها أمام القضاء لأنها جاءتك بجرار من الفخار بدل القناني الفاخرة. وكنت أحياناً تنادي « سيسيل هاكيت ».
إسلاي : أجل، هيا خادمة الحانة.

الوصيف الثاني : أنت يا مولاي، لا تعرف حانة ولا خادمة ولا جميع هؤلاء الرجال الذي تسميهم، نظير اسطفان إسلاي والعجوز جون نابس وبطرس تورف وهنري بمْبرنيل وغيرهم من الأشخاص الذين لا وجود لهم، ولا سمع بهم أو رآهم أحد.

إسلاي : الحمد لله على عودتي الى صوابي.

الجميع : الحمد لله.

إسلاي (لوصيف) : أشكرك وسأكافئك.

(يدخل الغلام مرتدياً زي امرأة راقية مع حاشيتها)

الغلام (لإسلاي) : كيف حال سعادة اللورد النبيل ؟

إسلاي : لعمري. إني هنا آكل وأشرب كما اشتهي. أين زوجتي ؟

الغلام : ها هي ذا، أيها اللورد. ماذا تريد منها ؟

إسلاي : أنت زوجتي، وأنا زوجك. وجميل أن تدعوني يا رجالي. مولانا اللورد ؟ ما دمت سيدكم الكريم.

الغلام : زوجي ومولاي اللورد، مولاي اللورد وزوجي، ها أنا ذا قرينتك المطيعة.

إسلاي : إني أعرف ذلك، فكيف يجب أن أدعوكِ.

اللورد : يا سيدتي.

إسلاي : سيدتي « أليس » أو سيدتي « جانوتون »؟

اللورد : سيدتي فقط. هكذا يدعو اللوردات زوجاتهم.

إسلاي (للغلام المتنكر بزي امرأة) : أيتها السيدة زوجتي، يقال إني حلمت ونمت مدة أكثر من خمسة عشر عاماً.

الغلام : أجل، وهذه السنين الخمسة عشرة ظننتها ثلاثين عاماً لأنها أبعدتني طويلاً عن سريرك.

إسلاي : هذا كثيراً. دعني أنفرد بها أيها الخادم. يا سيدتي، اخلعي ملابسكِ وأسرعي حالاً الى الفراش.

الغلام : أيها اللورد المثلث النبل، ألتمس منك أن تعفيني ليلة أو ليلتين أو على

الأقل حتى تغيب الشمس، لأن أطباءك أوصوني بأن أظل غائبة بعض الوقت أيضاً عن فراشك، وإلا عرضت صحتك الى الانتكاس. فأملي أن تعتبر هذه الحجة كعذر مقبول.

إسلاي : وضعيتي لا تسمح لي بالانتظار وقتاً أطول. غير أني لا أرغب في العودة إلى أحلامي، فما علي إلا الانتظار رغم شوقي وتلهفي.

(يدخل وصيف)

الوصيف : إن ممثلي سعادتك، عندما علموا بتحسن صحتك، رجعوا لتقديم مسرحية رائعة ترفيهاً عن سيادتك حسب نصائح أطباءك الجازمة. وإذا لاحظوا تفاقم حزنك الذي جمّد الدم في عروقك، وبما أن الكآبة هي مصدر كل هوس، رأوا من الأنسب أن تحضر التمثيلية لتستعيد ما فاتك من المرح والسرور الذي يقي من ألف شرّ ويطيل العمر.

إسلاي : حقاً، أنا أفضّل ذلك، فليقوموا إذاً بأدوارهم. لأن التمثيلية هي ملهاة بهيجة وتسلية مفيدة، أليس كذلك ؟

الغلام : أجل، يا مولاي الكريم هي تسلية من أحبّ التسليات البريئة.

إسلاي : بدون شك، ومن أبرعها دعابة.

الغلام : هي مظهر من مظاهر المدنية.

إسلاي : حسن، سنرى ذلك. هيا يا زوجتي الحبيبة، اجلسي الى جانبي واتركي الفلك يدور، لأننا لن نتمتع بشبابنا أكثر مما نفعله الآن (كل منهما يجلس على مقعد).

الفصل الأول

المشهد الأول

بادوَا ــ أمام منزل باتيستا

(يصل ترانيو ولوسنتيو)

لوسنتيو : أخيراً يا ترانيو، أنا الذي طالما تقت الى زيارة بادوَا الجميلة، مهد الفنون، أجدني قد وصلت الى لومبارديا الخصبة، حديقة ايطاليا المزدهرة العظيمة، بعد أن نلت موافقة أبي ورضاه مزوّداً بدعائه وبصحبتك أنت يا خادمي الأمين، الذي لا يضن بأية تضحية في سبيلي، ولنتنفس الصعداء اذاً ولنبدأ حياة سعيدة في ظل العلم والأدب، ان مدينة بيزا المشهورة بصرامة مواطنيها هي مسقط رأسي، ووالدي فنسنتيو التاجر المعروف المنتشرة أعماله في معظم أنحاء المعمورة، هو سليل أسرة بنتيفوليو العريقة، وأنا ابن فنسنتيو قد نشأت في فلورنسا، وعليَّ الآن أن أحسِّن وضعي وأعلّي شأني بأفعال مشكورة تحقق الآمال المعلّقة على شخصي، لذلك أنوي يا ترانيو أن أتشبثّ بأهداب الفضيلة طوال مدة دراستي في قسم الفلسفة التي تدعو إلى الصلاح وتحرِّض على عمل الخير. قل لي ما هو رأيك بمغادرتي بيزا وقدومي الى بادوَا نظير رجل هجر غديراً قليل العمق ليخوض الأوقيانوس بغية اطفاء لظى ظمأه الى العلم والمعرفة.

ترانيو : أعذرني، يا سيدي الكريم، ان لم أتمكن من مجاراتك في أفكارك، انما يسرّني أن تثابر على مقصدك في تقدير الحكمة والفلسفة العميقة، لأننا رغم تعلقنا بأهداب الفضيلة والنظام وسمو الأخلاق، يجب علينا، أن لا نكون متزمّتين جامدين، وأن لا نتمسك كالعميان بمبادىء أرسطو أو أوفيد التي يتحتم علينا ان نستنكرها الى الأبد، أرجوك أن تورد معلوماتك بطريقة منطقية، وأن تلجأ الى أساليب البلاغة في أحاديثك حتى العادية، مستنجداً بالموسيقى والشعر في ما تستوحيه، أما الرياضيات وما وراء الطبيعة، فيمكنك أن تتناول منها ما يستطيع ذكاؤك هضمه لأن لا خير يرجى من الدروس التي لا تجد فيها لذة، وبكلمة مختصرة، عليك أن تختار منها يا سيدي ما يجتذبك أكثر من سواه.

لوسنتيو : شكراً جزيلاً لك، يا ترانيو، على هذه النصائح القيِّمة. لماذا يا بيوندالو لم تأتِ بعد الى هذا الشاطىء المضياف حيث يمكننا أن نتخذ فوراً جميع التدابير ونتمم الاستعدادات اللازمة لاستقبال الأصحاب الذين لن نلبث أن نلقاهم هنا في بادوَا، ولكن لنتوقف لحظة. ما هذه الفرقة ؟

ترانيو : هذه يا معلمي، بدون شك، احدى تظاهرات الحفاوة بوصولنا الى المدينة.

(يصل باتيستا وكاترينا وبيانكا وجيراميو وهورتنسيو.
يقف لوسنتيو وترانيو جانباً).

باتيستا : يا سادة، لا تمعنوا في مضايقتي، أنتم تعلمون تصميمي الأكيد على عدم تزويج ابنتي الصغرى قبل شقيقتها الكبرى، فإذا أحب أحدكم كاترينا، لا مانع عندي من أن يبادر الى طلب يدها، لأني أعرفكم كلكم جيداً.

جيراميو : الأولى أن تودعها في محجر، لأنها خشنة جداً حيالي. يا هورتنسيو هل تريدها زوجة لك ؟

كاترينا (لباتيستا) : أستحلفك يا سيدي أن تقول لي، هل تريد حقاً أن تبيحني لهؤلاء المغازلين ؟

هورتنسيو : هل تعتبرينني مغازلاً ؟ يا حلوة، كيف تصفينني بهذا النعت ؟ اعلمي اني لن أسعى الى التقرب اليك، ان لم تصبحي ألطف وأرق طباعاً.

كاترينا: بذمتي، يا سيدي، ليس هناك ما تخشاه، فأنت لم تصل بعد الى منتصف طريق عواطفي، وإن بلغت مبتغاك يوماً، فإن أول ما سأفعله بك هو تهشيم رأسك بهذا المقعد العالي ومرغ وجهك بالتراب ثم طردك من هذا المكان.

هورتنسيو : نجِّني اللهمّ من هذه الحيّة الرقطاء.

جيراميو : ونجني أنا أيضاً يا إلهي.

ترانيو (بصوت خافت للوسنتيو) : اصمت يا معلمي، هذا مشهد بهيج، لأن هذه الفتاة لا بدّ من أن تكون إما مجنونة خطرة، وإما داهية مخيفة.

لوسنتيو (بصوت خافت لترانيو) : إني أجد في سكوت شقيقتها تعقلاً وتحفظاً هما أجمل ما تتحلى به عذراء لطيفة. اصمت يا ترانيو.

ترانيو (بصوت خافت للوسنتيو) : قولك في محله يا معلمي، فابقَ على موقفك وتمالك نفسك.

باتيستا : يا سادة، أنا مصر على أن أقرن القول بالفعل. ادخلي يا بيانكا، وهدِّئي روعك أيتها الصبية الكريمة، ان حبي الأبوي لك لن يفتر أبداً يا بنيتي.

(تجهش بيانكا في البكاء).

كاترينا : مهلاً يا صغيرتي الجميلة. (لباتيستا) يجمل بك أن تنظر الى عينيها فتعرف لماذا تبكي.

بيانكا: هوِّني عليك يا أختي، ولا تحنقي. (لباتيستا) يا سيدي، أنا أشاركك بتواضع كل ما يسر خاطرك. ان كتبي ولوازم دراستي لن تفارقني، وسأدرس وأتمرّن وحدي تحت اشرافها.

لوسنتيو (على حدة) : اسمع يا ترانيو أنت تستطيع أن تصغي الى ما تقوله مينرفا.

هورتنسيو : سنيور باتيستا، هل أنت غريب الأطوار حتى ترضي ميول الشيطان الهارب من جهنم ؟ يؤلمني أن يلحق بابنتك بيانكا كل هذا الحزن من جراء اهتمامنا بها هكذا.

جيراميو : هل تريد أن تحبسها في قفص، يا سنيور باتيستا، إكراماً لإبليس هذا المطل من كوّة الجحيم، وتعاقبها بسبب طول لسان شقيقتها اللاذع ؟

باتيستا : تصرّفوا كما يحلو لكم يا سادة، فأنا قد اتخذت قراري. ادخلي يا بيانكا (تخرج بيانكا) أنا أعرف انها مولعة بعذوبة الموسيقى ورقّة الشعر، وسأستدعي أساتذة جديرين لتثقيفها، فإن كنت تعرف، يا هورتنسيو، أو أنت يا جيراميو، أستاذاً مناسباً قدّمه لي، لأني أقدر وأجل أصحاب النبوغ، ولا سيما إذا كان الأمر يتعلق بتثقيف أولادي، وعليه أستودعكم الله أما أنتِ يا كاترينا فيمكنك أن تبقي، لأني أودّ محادثة بيانكا. (يخرج).

كاترينا : يبدو لي أني أنا أيضاً أستطيع أن أذهب، أليس كذلك ؟ هل في نيّتك أن تعيِّن لي مواعيد، كما لو كنت لا أدري ماذا عليّ أن أفعل. (تخرج).

جيراميو : يمكنك أن تداعب امرأة شيطانية، فأنت لك صفات حميدة عديدة لا تدع أحداً ينفر منها، وحبنا ليس كبيراً يا هورتنسيو إلى حدّ يساعدنا على الامتناع عن مسايرة أهوائنا، وقرص الحلوى الذي تهفو اليه ليس معداً كما يجب، فالوداع إذاً، أما في ما يتعلق بالمودة التي أحفظها لعزيزتي بيانكا، فإن أنا وقعت على أستاذ جدير بتعليمها الفنون التي تعجبها فلن أتأخر عن إرساله الى والدها.

هورتنسيو : أنا أيضاً أتعهد بذلك يا سنيور جيراميو، ولكن، لي كلمة أخرى أقولها، إذا سمحت، فمع ان طبيعة تنافسنا لا تتيح لنا التفاوض والمساومة، فإني بعد التفكير والتروّي أعتقد أن من واجبي أن أصارحك بأننا، ان أردنا أن نعود الى خدمة معلمتنا مهما ادعت أننا سعيدان بتزاحمنا على خطب ود بيانكا، علينا أن لا ننسى أن هناك أمراً خاصاً هاماً لا بدّ لنا من أن نحاول تحقيقه.

جيراميو : أرجوك أن تقول لي ما هو ؟

هورتنسيو : إيجاد زوج يرضى بأختها.

جيراميو : زوج ؟ لا، بالأحرى إيجاد شيطان.

هورتنسيو : أقول يجب إيجاد زوج.

جيراميو : بل إيجاد شيطان، صدقني يا هورتنسيو، مهما كان والدها غنياً وطلبه باهظاً، هناك رجل على قدر كاف من الغباء ليتزوجها ويزج بنفسه في النار.

هورتنسيو : حقاً يا جيراميو، مع أن تحمّل هذه الجولات المشبوهة يفوق طاقة صبري وصبرك، ثق يا عزيزي بأن في العالم شاباً — المهم العثور عليه — يتزوجها بالرغم من كل مساوئها نظراً الى ما تملكه من مال وافر.
جيراميو : أنا لا علم لي بذلك، إنما من جهتي أفضّل أن أحصل على البائنة بدون الفتاة، حتى ان قدّر لي أن أُجلد كل صباح في الساحة العامة.
هورتنسيو : في الواقع كما تقول، يصعب الاختيار بين التفاحات المسوّسة ولكن بما أن هذا المانع الشرعي يجعلنا أصدقاء، فليحافظ على مودتنا إلى اليوم الذي يتسنى لنا فيه العثور على عريس لابنة باتيستا البكر، فنكون قد حررنا الابنة الصغرى كي تتزوج بدورها. عندئذ يحرز قصب السبق من يستطيع العدوْ أسرع من سواه، ويفوز الأوفر حظاً بخطوبتها، فما رأيك يا جيراميو ؟
جيراميو : نحن على اتفاق تام، وأنا مستعد من جهتي للتضحية وللسماح لأمهر فحل في بادوا بمغازلتها واستمالتها واستدراجها إلى السرير، وتطهير البيت من شراستها (يخرج جيراميو وهورتنسيو).

(يعود ترانيو ولوسنتيو إلى مقدمة المسرح)

ترانيو : بالله عليك، قل لي، يا سيدي، هل يفرض الحب فجأة على الإنسان مثل هذه السيطرة ؟
لوسنتيو : يا ترانيو، قبل أن أختبر ذلك بنفسي لم أكن أعتقد أبداً بأن الأمر ممكن أو مرجح الحدوث، ولكن إعلم إني بينما كنت أتأمل فيها بدون مبالاة شعرت بأن سهام حبها قد أصابتني؛ وأعترف الآن بكل صراحة، لك أنت ترانيو مستودع سري الغالي على قلبي بقدر ما كانت حنة ملكة قرطاجة، بأني سأحترق وأعتلّ وأهلك، إذا لم أحظ بهذه الصبية الفاتنة، اني ألتمس نصحك وارشادك يا عزيزي ترانيو، وأنا على يقين بأنك قادر على توجيهي، فساعدني إذاً لأني أعلم جيداً بأنك تريد نجدتي.
ترانيو : يا معلمي، لا وقت الآن لتوبيخك، لأن المحبة لا يطردها من القلب أي تعنيف؛ وإذا استولى الحب على فؤادك فلا يبقى أمامك إلا منفذ واحد هو : أن تسلك الطريق الذي يدلك عليه هواك.

لوسنتيو : شكراً جزيلاً يا بنيّ، لا تغير رأيك لأن ما تقوله لن يرضيني، ولكي أهوّن على نفسي، لا بد لي من الاصغاء إلى ارشادك.

ترانيو : يا معلمي، كنت تنظر الى هذه الفتاة بحنوّ مفرط حتى كدت لا تلاحظ المشكلة الأساسية.

لوسنتيو : أجل، هكذا كان واقعي، لأني أبصرت على محيّاها جمالاً ملائكياً يحاكي جمال ابنة « أجينور » الذي حدا بالإله المشتري العظيم أن يتذلل أمامها ويقبِّل قدميها جاثماً عند شاطىء جزيرة « كريت ».

ترانيو : ألم ترَ أكثر من ذلك ؟ ألم تلاحظ كيف صارت أختها تزمجر ؟ لقد أثارت عاصفة من التهويل تكاد آذان البشر لا تتحمل صخبها.

لوسنتيو : يا ترانيو، هي بعكس أختها تماماً، وقد شاهدت شفتيها بلون المرجان تتحركان وتتمتمان كلاماً عذباً، وكانت تعطّر الجو بشذى أنفاسها، وكل ما أبصرته فيها كان رؤيا سماوية لا يفيها حقها أي وصف.

ترانيو : لقد حان أوان انتشاله من غيبوبة تأملاته، أرجوك يا سيدي أن تستفيق. إذا كنت تحب هذه الفتاة، وجّه تفكيرك وأشحذ ذكاءك لكسب ودها، فالوضع هو كما يلي : أن أختها الكبرى فظة الطباع، صعبة المراس بشكل يستدعي اذعانك، يا معلمي، واعتصامك بالعفة في عزلة الى أن يتخلّص والدها منها؛ وحتى ذلك الحين سيحجب الأب ابنته الصغرى عن طالبي الزواج الذين يقصدونها.

لوسنتيو : ما أظلم هذا الوالد، يا ترانيو! ولكن ألا تلاحظ أنه يهتمّ بإيجاد أساتذة ماهرين لتثقيفها؟

ترانيو : حقاً يا سيدي، الآن وجدنا الخطة اللازمة.

لوسنتيو : وأنا اهتديت إلى الحل المناسب يا ترانيو.

ترانيو : يا معلمي، أقسم لك بأن أفكارنا نحن الاثنين منسجمة ومتناسقة دائماً.

لوسنتيو : قل لي أولاً، بماذا تفكّر ؟

ترانيو : ستصبح أنت أستاذ هذه الفتاة، وستتولّى تثقيفها بنفسك، كما تتمنى.

لوسنتيو : أجل، ولكن الأمر ليس سهلاً !

ترانيو : أجل هذا عسير، فمن الذي يحل محلك هنا ! ومن سيكون في بادوَا

ابن فنسنتيو المشغول بإدارة البيت، ومتابعة الدروس واستقبال الأصحاب وزيارة المواطنين وتكريمهم.

لوسنتيو : كن على يقين بأن الخطة جاهزة ؛ هنا لم يشاهدنا أحد قط في أي مكان، ولا أحد يتسنى له أن يميّز وجوهنا وينفي عنك صفة الأستاذ، إليك ما يجب عمله : أنت يا ترانيو ستصبح المعلم مكاني، وسيكون لك منزل وحياة خاصة وأنصار كما هو الحال أثناء وجودي هناك، وأنا سأنتحل شخصية أخرى، مثلاً شخصية رجل من فلورنسا أو من نابولي أو أي رجل فقير من بيزا لقد اختمرت الفكرة في رأسي، فهيا إلى العمل. اخلع ملابسك فوراً يا ترانيو وضع قبعتي على رأسك، والبس معطفي الملون. وحالما يصل بيوندالو سأضعه تحت امرتك، وسأوصيه أولاً بأن يصون لسانه. (يتبادلان ملابسهما).

ترانيو : هذا ضروري وهام جداً، بما أن هذا يلذّ لك يا سيدي، فأنا ما عليَّ إلا أن أطيعك، ما دام والدك قد أوعز إليّ بذلك عند ذهابنا قائلاً : قدّم جميع الخدمات لابني، بالرغم من أنه يفهم الأمر بالعكس على ما أعتقد، وأنا أوافق على أن أتحوّل إلى لوسنتيو اكراماً للوسنتيو.

لوسنتيو : عليك أن تمثل دوره يا ترانيو، اكراماً للحب الذي يسيطر على جوارح لوسنتيو، أما أنا فمستعد أن أقبل بالعبودية للحصول على هذه العذراء النضيرة التي أسرت قلبي وخلبت لبّي.

(يدخل بيوندالو)

أهذا أنت يا غبي ؟ أين كنت يا ملعون !

بيوندالو : أين كنت أنا ؟ بل بالحري أين كنت أنت يا معلمي ؟ هل سرق لك ثيابك رفيقي ترانيو و أو سرق كل منكما ملابس الآخر ؟ قل لي ماذا حدث ؟

لوسنتيو : اقترب يا مغفل، هذا ليس وقت المزاح، تعلم كيف تطبّق تصرفاتك على الظروف؛ إن رفيقك ترانيو الحاضر هنا، ارتدى ثيابي وأخذ مكاني لينقذ حياتي، وأنا ارتديت ثيابه لكي أتمكن من الهرب، لأني في ماضي أيامي على هذه الأرض قتلت رجلاً إثر شجار، وأخشى أن يكون قد شاهدني أحد. لذا

اسألك أن تخدمه بإخلاص، بينما أنا أسعى للإبتعاد عن هذا المكان لأنجو بنفسي، هل فهمت ما أقول ؟

بيوندالو : أنا يا سيدي طوع أوامرك.

لوسنتيو : وأوصيك بنوع خاص أن لا تلفظ اسم ترانيو، لأن ترانيو تحوّل وأصبح لوسنتيو.

بيوندالو : هذا أوفق له. وأنا أيضاً أريد أن أتحوّل.

ترانيو : أنا أرغب في ذلك، يا بنيّ، ولو كان شرط تحقيق هذه الرغبة أن يتزوج لوسنتيو ابنة باتيستا الصغرى؛ فأنصحك يا غبي، احتراماً ليس لشخصي بل لشخص معلمي، بأن تتصرف برصانة وحذر في كل المجتمعات؛ أنا عندما أكون وحيداً أظل ترانيو، إنما في ما عدا ذلك فأنا لا أزال معلمك لوسنتيو.

لوسنتيو : لنذهب، يا ترانيو. لم يبق أمامك إلا أمر واحد للتنفيذ. وهو أن تأخذ مكانك بين الراغبين في الزواج. وإذا سألتني لماذا، فيكفيك أن تعلم أن حجتي دامغة ومقنعة (يخرجان).

(أشخاص المقدمة يبقون وحدهم)

الوصيف الأول (لإسلاي) : يا مولاي اللورد، أراك تغفو ولا تعير انتباهك الى المسرحية.

إسلاي : وإن صح ذلك، فبربّك، هل ترى المسرحية جميلة حقاً ؟ هل هي بعد طويلة ؟

الغلام : يا مولاي، انها تكاد أن تبدأ.

إسلاي : هي مسرحية رائعة، يا حرمنا المصون، وكم أودّ أن أتابعها حتى نهايتها !

المشهد الثاني
أمام منزل هورتنسيو

(يدخل بتروسيو وكريميو ووصيفه)

بتروسيو : أستأذنك، يا مدينة فيرونا، بالتغيّب عنك بعض الوقت، أنا آتٍ إلى بادوَا لأشاهد خلّاني، ولا سيما صديقي الحميم الوفي نورتنسيو، أعتقد أني الآن أمام منزله، قف هنا، أيها الخبيث كريميو، هيا اطرق.

كريميو : أطرق ماذا يا سيدي ؟ أضرب من ؟ هل أهانك أحد يا صاحب السيادة ؟

بتروسيو : يا محتال اطرق هنا، وبشدة (يشير الى رأسه).

كريميو : أأضرب هنا يا سيدي ؟ ومن أنا حتى أجسر على ذلك ؟

بتروسيو : قلت لك اطرق هذا الباب يا مغفل، واطرق بقوة، وإلا حطمت رأسك الفارغ.

كريميو : هل أصبح معلمي مشاغباً ؟ اذا طرقت هنا، فأنا أعرف من الذي ستنهال الضربات على رأسه.

بتروسيو : ألا تريد أن تضرب يا منحوس ؟ إذا لم تطرق اقتلعت أذنيك، وإن أحسنت الإنشاد طلبت منك مواصلة الغناء (يشد له أذنه).

كريميو : النجدة، النجدة، أرى الغضب قد تملك سيدي.

بتروسيو : هذا يعلمك أن تطرق حالما أطلب منك ذلك أيها الغبي المنحوس.

هورتنسيو : ما الخبر، يا صديقي العزيز كريميو ؟ وأنت يا عزيزي بتروسيو، كيف حالك في فيرونا ؟

بتروسيو : سنيور هورتنسيو، لقد وصلت في الوقت المناسب لوضع الأمور في نصابها.

هورتنسيو : أهلاً وسهلاً بك في بيتي يا سنيور بتروسيو، انهض يا كريميو لنسوِّي هذا الخلاف.

كريميو : كلا لا يهمني ماذا يتحجج به هذا اللعين، قل لي بربك أوليس هذا سبباً كافياً لكي أترك الخدمة ؟ اسمع يا سيدي لقد أمرني بأن أطرق بعنف، فهل من المعقول أن يعامل خادم هكذا معلمه البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً ؟ ولو تجاسرت وضربت كما طلب مني كريميو، أما كان هشّم رأسي ؟

بتروسيو : يا لك من دجّال منافق ! يا عزيزي هورتنسيو، كنت أقول لهذا البهلول أن يطرق بابك و لم يلبِّ طلبي.

كريميو : أأنا أطرق الباب ؟ بربّك، ألم تقل لي حرفياً : اطرق هنا واطرق بشدة، مشيراً الى رأسك، والآن تدعي أنك طلبت مني أن أطرق الباب.

بتروسيو : أنت حقاً غبي، أنصحك بأن تذهب أو تسكت.

هورتنسيو : صبراً يا بتروسيو، أنا رهن اشارة كريميو، هذا في الحقيقة خلاف يرثى له بينك وبينه هو صديقك القديم وخادمك الوفي الذكي كريميو، ولكن قل لي يا صاحبي الودود أية رياح سعيدة دفعتك للمجيء من فيرونا الى بادوَا ؟

بتروسيو : الرياح التي تهب على الشباب في جميع أنحاء الدنيا وتدفعهم للبحث عن الثروة خارج مسقط رأسهم حيث لا يكتسب المرء إلا القليل من الخبرة والمال، فبكلمات وجيزة هذه هي وضعيتي يا سنيور هورتنسيو، لقد مات والدي أنطونيو، فانطلقت في مجاهل الحياة ساعياً وراء الزواج والنجاح المنشود، لديّ مال ولي أملاك في بلدي، وها أنا أسافر لأشاهد العالم.

هورتنسيو : أتريد أن أصارحك بدون مواربة يا بتروسيو ؟ باستطاعتي أن أرشدك الى امرأة سفيهة مقيتة، لا يسعك أن تشكرني على ارشادك اليها، ومع ذلك أعدك بأن يكون عرضي هذا سخياً بل سخياً جداً، انما اخلاصي لك يردعني عن تمنّيها لك كزوجة.

بتروسيو : يا سنيور بتروسيو، بين أصدقاء نظيرنا، تكفي كلمات قليلة للتفاهم، فإن كنت تعرف صبية غنيَّة ترضى بأن تصبح زوجتي أنا بتروسيو، وبما أن المال هو غايتي الأولى في الزواج حتى ان كانت العروس قبيحة بمقدار قبح حبيبة فلوران، وعجوزاً نظير سيبيل، ومحدودة الفهم مستبدة مثل « كزانيت » امرأة سقراط أو أسوأ، وإن كانت أعنف من هدير أمواج بحر الادرياتيك أثناء هياجه، فإنها لن تثبط عزيمتي، كما انها لن توقظ فيّ لهفة الأشواق، أنا قادم

إلى بادوَا لأعقد قراناً ثرياً لأنه بقدر ما يكون غنيّاً يكون في نظري حتماً سعيداً.

كريميو : كما ترى يا سيدي، هو يفصح لك عن نيّته بكل صراحة، فامنحه ما يتوق اليه من الذهب بتزويجه دمية أو مهرّجة أو عجوزاً شمطاء ليس في فمها أسنان وفيها كل عيوب البشر نظير حصان مسن، فلا أحب اليه من صفقة مماثلة تغدق عليه المال الوافر الذي يحلم به.

هورتنسيو : يا بتروسيو، بما أننا قطعنا هكذا شوطاً بعيداً في هذا الموضوع فإني أصر على تنفيذ الخطة التي اقترحتها أنا على سبيل المزاح، ويمكنني أن أدلك على المرأة الغنية التي تتمناها، ما دمت لا تبحث عن صبية جميلة لائقة تتوخّى مبدئياً أن تكون زوجة صالحة، إنما أبرز عللها الكثيرة هي أنها محدودة الإدراك مزعجة وعنيدة الى حدّ لا يطاق، حتى أني رغم وضيعتي المالية الهزيلة لن أقبل بها حليلة، وإن ملّكتني منجماً من الذهب.

بتروسيو : اصمت يا هورتنسيو، يظهر عليك أنك لا تعرف فضائل الذهب أرجوك أن تقول لي من هو والدها، وأنا متسعد أن أواجه ابنته وإن كان كلامها أشد وطأة من هزيم الرعد الذي يمزق غيوم الخريف.

هورتنسيو : والدها يدعى باتيستا فينولا، وهو من الأعيان الظرفاء، واسمها كاترينا فينولا وهي شهيرة في بادوَا بطول لسانها الجارح.

بتروسيو : أنا أعرف أباها، وإن كنت لا أعرفها هي، فقد كان من أصحاب المرحوم والدي، ولن تذوق أجفاني طعم النوم قبل أن أراها يا هورتنسيو، فاعذرني على السماح لنفسي بمغادرتك عاجلاً أثناء لقائنا الأول هذا، إلا إذا شئت أن ترافقني في ذهابي اليها.

كريميو (لهورتنسيو) : أرجوك يا سيدي، أن تدعه يرافقك ما دام لديه مثل هذه الرغبة، وثق بأنها متى عرفته كما أعرفه أنا سيتبين لها سريعاً عدم جدوى الاستياء منه، وستنعته عشر مرات بالظرف وبألف صفة أخرى غير مستحسنة، ولن يضيره ذلك ما دام قادراً على رد الصاع صاعين لها في لغة الشتائم والنعوت المهينة، أتريد أن أصرح لك يا سيدي بأنها قاومته وإنه سيترك على

محياها أثر لقائه بها، وستظل عيونها الواسعة تحملق به نظير هرة مذعورة، فأنت لا تعرفها بعد يا سيدي.

هورتنسيو : انتظر يا بتروسيو، أنا ذاهب برفقتك لأني أجد ذلك ضرورياً، فإن باتيستا يحتفظ بكنزي، وبين يديه أمل حياتي وسعادتي، ابنته الصغرى الحسناء بيانكا، وإن كان يحجبها عن أنظار أخصامي في الحب، مفترضاً أن أحداً منا قد يطلب يد كاترينا في هذه الأثناء، مع أن هذا من رابع المستحيلات، لأن باتيستا مصمم على عرقلة مسعى كل عريس للوصول الى بيانكا قبل أن تتزوج كاترينا الفجة الطباع أولاً.

كريميو : الفجة الطباع ! لعمري، هذا اسوأ ما وصِفَت به امرأة من نعوت معيبة.

هورتنسيو : والآن جاء دور صديقي بتروسيو كي يؤدي لي خدمة، سيقدمني الى العجوز باتيستا، وأنا متنكر كأستاذ موسيقى يعرض خدماته لتثقيف بيانكا، فعلى الأقل، بهذه الحيلة تتسنى لي فرصة مغازلتها بحرية تامة والتفاهم معها على الانفراد بعيداً عن الظنون والشكوك.

(يدخل جيراميو ويتبعه لوسنتيو المتنكر حاملاً تحت ابطه بعض الكتب).

كريميو : ليست هناك أية خدعة، انظر كيف يجيد الشبان معاملة المسنِّين، (يشاهد جيراميو ولوسنتيو) معلمي، يا معلمي، انظر إلى من يمشي وراءك؟

هورتنسيو : اصمت، يا كريميو، هذا مزاحمي، لنقف جانباً بعض الوقت يا بتروسيو.

كريميو : هو شاب بهيّ الطلعة، وعاشق ظريف، على ما أرى (يتنحّى بتروسيو وهورتنسيو وكريميو جانباً).

جيراميو (للوسنتيو) : ليس بالإمكان أحسن مما كان، لقد راجعت القائمة، اسمعني جيداً يا سيدي، أريد أن تكون الكتب مجلدة تجليداً فخماً، وأصرّ على أن تكون كلها كتباً غرامية مهما كلّف الأمر، وحاول أن لا تقرأ لها أي موضوع لا يتحدث عن الحب، أفهمت ؟ وفوق ما يتيح لك السنيور باتيستا من حرية، أنا أزودك بصلاحيات اضافية، لتكن أوراقك الخاصة مضمّخة

بأزكى أريج، لأن التي ستتنشقه هي أطيب من كل ما في الدنيا من عطور، أخبرني ماذا سيكون موضوع درسك ؟

لوسنتيو : مهما تقلبت الأحوال، سأدافع عن قضيتك، فكن على يقين بأني نظيرك يا معلمي، سأتصرف كما لو كنت حقاً أنت ذاتك، لا بل سأستعمل ألفاظاً معسولة مُقنعة أكثر مما ستلجأ إليه أنت ولو كنت من أفصح المفوّهين.

جيراميو : ما أعظم بلاغتك ! وما أدهى بيانك !

كريميو (على حدة) : يا له من حمار جاهل ؟

بتروسيو : اصمت يا غبي.

هورتنسيو : كريميو، اسكت (يذهب الى جيراميو) حفظك الله يا سنيور جيراميو.

جيراميو : يسعدني أن أتعرف عليك يا سنيور هورتنسيو، هل تعلم الى أين أنا ذاهب ؟ إلى بيت باتيستا مينولا، لقد وعدته بأن أجد له أستاذاً يعلم ابنته الحلوة بيانكا، وتوفقت في العثور على هذا الشاب الذي، بسعة معرفته وحسن تدبيره، أجد فيه الأستاذ المنشود الذي لا يشق له غبار في ميدان الشعر والتأليف وسائر الفنون على ضمانتي.

هورتنسيو : جيد جداً، وأنا من جهتي، التقيت بأحد الأعيان ووعدني بأن يدلّني على موسيقي ممتاز لتثقيف معلمتي، وهكذا لن أكون مقصراً في واجباتي نحو الحسناء بيانكا التي يهفو إليها فؤادي بحنوّ وإخلاص.

جيراميو : وأنا أيضاً، كما ترى ذلك من تصرفاتي.

كريميو (على حدة) : وكما تدل على ذلك أكياسه المكدسة.

هورتنسيو : يا جيراميو، الآن ليس وقت تبديد عواطفنا سدى، اسمعني جيداً، وإذا أصغيت إليّ رويت لك خبراً يسرنا كلينا معاً، ها هوذا أحد الأعيان وقد صادفته عرضاً، وحسب ما تم بيننا من اتفاق، يتكفل هو بأن يغازل اللعينة كاترينا، بل أن يتزوجها إذا ناسبته بائنتها.

جيراميو : وهكذا يقترن القول بالفعل ويتم الأمر على أكمل وجه، هل عددت له يا هورتنسيو كل عيوبها.

بتروسيو : أولا يحق لي أن أعيش ؟

كريميو (على حدة) : اذا غازلها، حتماً سأشنقه باكراً.

بتروسيو : لماذا جئت أنا الى هنا ان لم تكن هذه غايتي ؟ هل تظن أن قليلاً من الضجة يزعج أذني ؟ ألم يملأ سمعي في الماضي زئير الأسود ؟ ألم أشاهد أمواج البحر ترفعها الرياح العاتية، فيثور ثائرها وتزبد وترغي مثل مجنون هائج ؟ ألم تصم أذني يوماً لعلعة المدافع في السهول وقد اخترق دويّها عنان السماء ؟ ألم يخدش سمعي في معركة صاخبة نعيب البوم وصهيل الخيل ودقّ النفير ؟ وتأتي أنت لتحدثني عن لهجة امرأة لا يشنّف صوتها الآذان أكثر من فرقعة الكستناء في موقدة متأججة النيران ؟ دع عنك وسائل الارهاب هذه التي لا تخيف حتى الأولاد الصغار.

كريميو (على حدة) : تباً له ! إنه هو ذاته يفزع منها.

كيراميو: اسمع يا هورتنسيو، لقد جاء هذا الرجل في الوقت المناسب على ما أعتقد لصالحه وصالحنا أيضاً.

هورتنسيو : لقد وعدته بأن نساهم في مجهوده بمغازلتها فنقاسمه تكاليفه.

جيراميو : أنا موافق، شرط أن يفلح في التقرب اليها.

كريميو (على حدة): أود أن أكون على يقين أيضا بأنني سأتناول غداءً لذيذاً.

(يدخل ترانيو مرتدياً ثياباً غالية ويتبعه بيوندالو)

ترانيو : الله معكم يا سادة، سامحوني على ما أستبيحه لنفسي من حرّية، وأرجوكم أن تقولوا لي ما هو أقصر طريق للذهاب الى منزل السنيور باتيستا مينولا.

بيوندالو : الذي له ابنتان جميلتان (لترانيو) والذي تبحث أنت عنه بالذات.

ترانيو : هو بعينه يا بيوندالو.

جيراميو (لترانيو) : اسمع يا سيدي، أظنك لا تريد أن تتكلم عن التي...

ترانيو : من المحتمل أن يكون كلامي عن الواحدة أو عن الأخرى يا سيدي، فما الفرق بينهما في نظرك ؟

بتروسيو : على كل حال، أنت لا ترضيك المرأة المشاكسة العنيدة، أليس كذلك ؟

ترانيو : أنا لا أحب المشاغبات، يا سيدي، تعالَ نذهب يا بيوندالو.

لوسنتيو (على حدة) : المقدمة لا بأس بها يا ترانيو.

هورتنسيو (لترانيو) : من فضلك اسمح لي بكلمة واحدة قبل أن تمضي، هل تميل الى الصبيَّة التي تتكلم عنها ؟

ترانيو : ان كان الأمر كذلك، هل ترى فيه ضرراً يا سيدي ؟

جيراميو : كلا، شرط أن تنسحب فوراً عند اللزوم بدون أن تنبس ببنت شفة.

ترانيو : بربّك يا سيدي، أسألك أن تفيدني عما اذا كان الطريق سهلاً أمامك كما هو أمامي ؟

جيراميو : أتمنى لك تحقيق رغباتك، انما الفتاة ليست حرّة.

ترانيو : وما السبب ؟ أرجوك أن تبيّنه لي.

جيراميو : ها هو السبب، اذا كنت فعلاً تريد أن تعرفه : انها حبيبة السنيور جيراميو.

هورتنسيو : بل هي الفتاة التي يفضلْها هورتنسيو.

ترانيو : تمهّلوا يا سادتي، ان كنتم مخلصين، أرجوكم أن تستمعوا إلي بنزاهة وطول أناة، إن باتيستا رجل نبيل رصين، ولا يجهل والدي، فعندما تصبح ابنته أجمل مما هي، يمكنها أن تجتذب أنظار طلّاب الزواج، وأنا أحدهم، لأن للصبية الحسناء ألف محب، والحلوة بيانكا يسرها أن تجد حولها معجباً جديداً، هو لوسنتيو الذي يظهر أنه سيحصل عليها والذي سيقف في صف المعجبين بها وله كبير الأمل بأن يظفر وحده بها حتى ولو تقدم أمير من الأمراء لطلب يدها.

جيراميو : ماذا تقول ؟ هل يقوى هذا الشاب على كم أفواهنا جميعاً ؟

لوسنتيو : يا سيدي، اترك له الحبل على الغارب فلا يلبث مع ذلك أن يهرب منها.

بتروسيو : ما الفائدة في كل هذا الكلام، يا هورتنسيو ؟

هورتنسيو (لترانيو) : اعذرني على الحرية التي ألجأ اليها في سؤالي : هل شاهدت بحياتك ابنة باتيستا ؟

ترانيو : كلا يا سيدي، لكني أعرف أن له ابنتين : الواحدة شهيرة بلسانها اللاذع السليط، والأخرى بوداعتها وسحر جاذبيتها.

بتروسيو : سيدي، سيدي، دع الأولى لي ولا تهتم أبداً بها.

جيراميو : أجل أترك لي هذا العمل الشاق الذي يفوق قدرة أعظم الأبطال.

بتروسيو : سيدي، أفهم جيداً ما أقوله لك، ان الابنة الصغرى التي تسعى للحصول عليها يحجبها أبوها عن كل الراغبين في طلب يدها، لأنه لا يريد أن يزوجها قبل أن تزف شقيقتها الكبرى، حينئذ فقط تصبح حرة لا اعتراض على زواجها.

ترانيو: اذا كان الأمر كذلك، يا سيدي، وإذا كنت الرجل الذي سيسدي الينا جميعاً، وإليّ أنا قبل غيري، خدمة جليلة كهذه، وإذا توصلت الى اذابة الجليد ونجحت في سعيك المشكور الى احتكار قلب الابنة الكبرى، وتمهيد الطريق أمامي للوصول الى قلب أختها الصغرى، فإن الذي سيسعد بامتلاكها لن يكون عديم التقدير الى حد جحود فضلك عليه.

هورتنسيو : كلامك ظريف يا سيدي، وأفكارك صائبة ما دمت تصرح بأنك تود أن تكون في صف طالبي يدها نظيري، فتظهر امتنانك وعرفانك جميل هذا الرجل الذي ندين كلنا لفضله.

ترانيو : لن أتأخر يا سيدي عن المباشرة بمحاولتي، وأقترح عليك أن نمضي معاً بعد ظهر هذا اليوم لنفرغ بعض الكؤوس نخب حاجتنا فنتصرف كالمحامين الذين يتظاهرون بالخصام أمام القاضي، وبعد المحاكمة يترافقون للأكل والشرب معاً كأوفى الأصدقاء.

كريميو وبيوندالو : ما أنجح هذه الخطة ! هيا بنا.

هورتنسيو : الخطة محكمة حقاً، فتعال ننفذها يا بتروسيو وسأكون ضيفك وساعدك الأيمن

(يخرجان).

الفصل الثاني

المشهد الأول

دوما في بادوَا عند باتيستا

(تدخل كاترينا، تجر وراءها بيانكا مقيدة اليدين)

بيانكا: أختي العزيزة، لا تحقّريني، ولا تسيئي الى نفسك بمعاملتي كسجينة مستعبدة، لأني أجد ذلك غير لائق، أما هذه القلادة فأرجوك أن تفكيها من يديّ، وإلا انتزعتها أنا بنفسي، ثم اخلعي عني كل زينة حتى ردائي، أجل سأنفذ كل ما تأمرينني به ما دمت أعرف واجباتي نحو شقيقتي الكبرى.

كاترينا : من بين المعجبين بك أصر على أن تقولي لي من هو الذي تحبينه أكثر من غيره، ولا تحاولي اخفاء الأمر عني.

بيانكا : صدقيني يا أختاه ! اني من بين جميع الأحياء، لم أجد الى الآن وجهاً أفضّله على سواه.

كاترينا : ماذا دهاك يا منافقة ! أليس كذلك، يا هورتنسيو ؟

بيانكا : ان كنت تميلين الى هذا الرجل، يا أختي، أقسم لك بأني سأبذل جهدي لأساعدك على استمالته اليك.

كاترينا : يبدو أنك تفضلين الغني، وترغبين في الحصول على جيراميو ليدلّلك.

بيانكا : هل من أجله تزاحمينني وتخاصمينني؟ انك حتماً تمزحين، وأنا ألاحظ أن تصرفك حتى هذه الساعة لم يكن إلا من قبيل الهزار أرجوك يا أختي كاتي أن تفكي قيد يديّ.

كاترينا : ان اعتبرت هذا مزاحاً فكل ما سبقه من بوادر، هو أيضاً كذلك.

(يدخل باتيستا)

باتيستا : ما قولك يا آنسة ؟ من أين لك هذه الجسارة ؟ ابتعدي عنها يا بيانكا، يا لك من مهرجة ! ما لك تبكين ؟ انصرفي الى ابرتك ولا تتدخلي بعد الآن في شؤون أختك، بل تجنبي ألاعيبها الجهنمية، لماذا تضايقينها وهي لم تحاول قط أذيتك، ولم يسبق لها أن وجهت إليك أية كلمة نابية ؟

كاترينا : ان مجرد سكوتها اتهام لي، وأنا مصممة على الاقتصاص منها (تهجم على بيانكا).

باتيستا (يقف حائلاً في طريقها) : حتى أمامي ! اذهبي يا بيانكا الى حجرتك

(تخرج).

كاترينا : أنا واثقة بأنك لم تعد تطيق حتى مشاهدتي، بينما أنت ترى فيها كنزك الغالي وترغب في ايجاد عريس لها، وهكذا تفرض علي أن أرقص حافية في حفلة زفافها لإكرامها، ويحق لها أن تستعبدني لأجل خدمتها، لا تكلمني بعد الآن، سأحبس ذاتي في غرفتي وسأظل أبكي حتى يتسنى لي أن أنتقم منها لكرامتي

(تخرج بيانكا).

باتيستا : هل في الدنيا رجل مفجوع نظيري ؟ من القادم الى هنا ؟

(يدخل جيراميو مع لوسنتيو في ثياب رجل فقير، ثم بتروشيو مع هورتانسيو في لباس موسيقي، ثم ترانيو مع بياندالو حاملاً عوداً وبعض الكتب).

جيراميو : نهارك سعيد يا باتيستا.

باتيستا : نهارك أسعد يا جاري العزيز جيراميو، حفظكم الله يا سادة.

بتروسيو : وأنت أيضاً يا سيدي الكريم، اعذرني، أولست والد فتاة حلوة فاضلة اسمها كاترينا ؟

باتيستا : أجل، يا سيدي، ابنتي تدعى كاترينا.

جيراميو (بصوت خافت لبتروسيو) : أنت متسرّع في كلامك، وعليك أن تكون متحفظاً في حديثك.

بتروسيو (بصوت خافت لجيراميو) : أنت تحقّرني يا سنيور جيراميو، دعني أتصرّف كما أشاء، (بصوت عالٍ لباتيستا) : أنا يا سيدي من أعيان فيرونا، وقد سمعت اشادات عديدة بجمال ابنتك وخفة ظلها ومهارتها وحيائها وتواضعها ودماثة أخلاقها وسائر صفاتها الممتازة، فسمحت لنفسي بأن آتي بدون كلفة لزيارتك كي أتحقق بذاتي، مما روي لي عنها في مناسبات مختلفة، ولكي أنضم الى عداد الراغبين في التقرب اليك، أقدم لك أحد أصحابي (يشير الى هورتنسيو) وهو رجل بارع في الموسيقى والرياضيات، ومستعد لأن يكمل تثقيف ابنتك وما فاتها من هذه العلوم التي أعرف جيداً أنها لا تجهلها تماماً، فأرجوك أن تقبل به ولا تحرجني برفضه، اسمه لوسنتيو وهو من مواليد مدينة مانتوا.

باتيستا : أهلاً بك يا سيدي، وبه أيضاً اكراماً لك، أما ابنتي كاترينا فيؤسفني أن أصارحك بأنها ليست من نصيبك.

بتروسيو : ألاحظ أنك لا تريد أن تفارقها، وأن تقرّبي اليك لا يعجبك.

باتيستا : لا تفسّر كلامي، يا سيدي، على غير حقيقته، أنا أفوه بما يجول بخاطري، من أين أنت يا سيدي ؟ هل لي أن أعرف اسمك ؟

بتروسيو : اسمي بتروسيو، وأنا ابن انطونيو الشهير في كل أنحاء ايطاليا.

باتيستا : إني أعرفه جيداً، فأهلاً بك اكراماً له.

جيراميو : لكي أوفّر عليك طول الشرح، اسِمح لي يا بتروسيو، أن أعبر لك عن رغبتي، فأنا طالب زواج، ويؤسفني أن ألاحظ أنك تستعجل الأمور بشكل غريب.

بتروسيو : اعذرني يا سنيور جيراميو، ان طلبت منك أن تنتظر نهاية حديثي.

جيراميو : لا شك عندي يا سيدي أنك تسيء الى قضيّتك، وأنا على يقين، يا صاح، بأنك مرتاح الى حضوري كشاب لائق يودّ أن ينال حظوى في عينيك أكثر من أي شخص آخر، لأنك أحسنت صنعاً بإفساح المجال لي كي أبادر

الى تقديم هذا الشاب العالِم لك (يشير الى لوسنتيو) وقد قضى السنين الطويلة في تحصيل العلوم حتى تضلّع من اللغات اليونانية واللاتينية فوق اتقانه لغة أجداده وسواها من اللغات، ما عدا تعمّقه في الموسيقى والرياضيات، واسمه كمبيو، فأرجوك أن تقبل خدماته.

باتيستا : ألف شكر لك، يا سنيور جيراميو، أهلاً بك، يا كمبيو (يلمح ترانيو) أما أنت يا سيدي الكريم فيبدو عليك أنك غريب عن هذه الديار، هل لي أن أسمح لنفسي بحرية السؤال عن سبب مجيئك الينا ؟

ترانيو : أرجوك يا سيدي، أن تسامحني على ما استبحته من الحرية، أنا الغريب عن هذه المدينة، إذ تجرأت على الطموح الى طلب يد ابنتك الجميلة الفاضلة بيانكا، وأنا لا أجهل تصميمك الحازم على تزويج ابنتك الكبرى أولاً، ان المنّة الوحيدة التي ألتمسها منك، حالما تعرف عائلتي، هي أن تستقبلني اسوة بسائر طالبي الزواج، وتفسح لي مجال الاشتراك معهم في كسب مودتك وللمساهمة في تثقيف ابنتك، أقدّم لك أبسط الوسائل لبلوغ ذلك، ألا وهي هذه المجموعة الصغيرة من الكتب اليونانية واللاتينية التي تزيدها معرفة وترفع شأنها اذا تكرمت بقبولها، أما اسمي فهو لوسنتيو.

باتيستا : أرجوك أن تقول لي من أية مدينة أنت ؟

ترانيو : من بيزا يا سيدي، وأنا ابن فنسنتيو.

باتيستا : هو شخصية مرموقة في بيزا، وأنا أعرفه لأنه أشهر من نار على علم، فأهلاً بك يا سيدي، (لهورتنسيو) أنت خذ هذا العود (للوسنتيو) وأنت خذ هذه المجموعة من الكتب، وسترى تلميذتك حالاً، أليس من أحد هنا ؟

(يدخل وصيف)

يا هذا أوصل السيدين الى ابنتي، وقل لها انهما أستاذان سيكملان تثقيفها، وعليها أن تحسن استقبالهما، (يخرج الوصيف مع هورتنسيو ولوسنتيو وبيوندالو) سنتنزّه قبيلاً في الحديقة، ثم نأتي الى المائدة، أهلاً وسهلاً بكم جميعاً.

بتروسيو : سنيور باتيستا، ان عملي يتطلب الاسراع، وأنا لا أستطيع أن أجيء كل يوم لتقديم فروض اللياقة، أنت تعرف جيداً والدي، وتراه الآن في شخصي

بصفتي الوريث الوحيد لأراضيه وأمواله، وبين يديّ ازدهرت ثروته ولم تنقص، فإذا ظفرت بحب ابنتك ما هي البائنة التي ستمنحني اياها عند عقد القران ؟

باتيستا : بعد موتي، نصف الأراضي التي تخصني، ومنذ الآن مبلغاً قدره عشرون ألف دينار.

بتروسيو : وأنا مقابل هذه البائنة، اذا عاشت هي من بعدي، أؤمّن لها كميراث جميع الأراضي والعائدات المتبقّية لي، فلنكتب الآن بنود العقد، على أن يحترم كلا الطرفين تنفيذ الاتفاقية بحذافيرها.

باتيستا : طبعاً عند الوصول الى النقطة الأساسية، أي حب ابنتي لك، لأن كل شيء يرتكز على هذه النقطة الجوهرية.

بتروسيو : هذا أقلّ ما يجب أن يتحقق، وأنا أنبّهك الى أن والدي عنيد بقدر ما هي متشامخة، وعندما تشب النار وتندلع ألسنتها، لا بد لها من أن تلتهم كل ما تصادفه من أخضر ويابس على السواء، فالهواء مهما كان لطيفاً يزيد اللهب اشتعالاً، وإن ببطء أما العاصفة الهوجاء فتقضي على الحريق وتطفئه، وأنا أنوي أن أكون عاصفة عنيفة حيالها، فعليها أن تنحني أمامي لأني الأقوى، ولن أكون أبداً ناعماً في مغازلتها كما يفعل الفتيان.

باتيستا : أرجوك أن تغازلها بحكمة وأمانة، وأتمنى لك كل النجاح، لكن، اياك أن ترمي سلاحك أمام بعض استرضاءاتها.

بتروسيو : أنا عند التجربة كالجبل الذي لا تزعزعه الرياح مهما تواصل هبوبها بضراوة.

(يدخل هورتنسيو ورأسه مخضب بالدم)

باتيستا : لماذا أنت هكذا شاحب اللون، يا صديقي.

هورتنسيو : اذا رأيتني شاحباً، أؤكد لك أن ذلك ناجم عن الخشية.

باتيستا : خشية ماذا ؟ هل تتوقع أن لا تكون ابنتي موسيقية بارعة ؟

هورتنسيو : أعتقد أنها تصلح بالأحرى للجندية، لأنها تغل الحديد بصلابة عنفوانها، بينما العود يتطلب اللين والرقة.

باتيستا : ماذا تقول ؟ أولست قادراً على تعليمها العزف على العود ؟

هورتنسيو : حتماً لا، بما أنها كسرته على رأسي، لقد نبّهتها الى انها تخطىء

في لمسات الأوتار، وطويت لها أصابعها لأعوّدها على وضعها في الأماكن اللازمة، عندما فاجأتني بنزقها وعنادها، وصاحت بي : اللمسات ؟ هل تسمّي هذه لمسات ؟ إذاً سأمرّن يدي عليك، ولدى هذه الكلمات انهالت بعنف على رأسي بالعود الذي حطمته شرّ تحطيم، فطاش صوابي بعض الوقت، لا سيما حينما نعتتني بالشقي الغادر وبالموسيقي الفاشل وبشتى النعوت التي تتقنها لأنها أستاذة في فن الشتم والسباب، على ما أرى.

بتروسيو : لعمري، هي آنسة مستبدة، وأنا أحبها الآن عشرة أضعاف عما قبل، ويسعدني التحدث اليها.

باتيستا (لهورتنسيو) : هيا، تعالَ معي ولا تيأس، تابع إلقاء دروسك على ابنتي الصغرى لأنها موهوبة، وتقدِّر ما تسدي إليها من جميل، يا سنيور بتروسيو، هل تريد أن ترافقنا أو أرسل لك ابنتي كاترين ؟

بتروسيو : أرجوك أن ترسلها، فأنا انتظرها هنا (يخرج باتيستا وجيراميو وترانيو وهورتنسيو) وحالما تأتي، سأنصرف الى مغازلتها بلباقة، ولنفرض أنها بادرت إلى تحقيري، فسأقول لها أنها تغرّد برخامة كالبلابل، ولنفرض أنها نظرت إليّ شذراً وعبست فأصرح لها بأن محياها البسام أشبه ببرودة تنفثها قطرات الندى، وإذا ظلت صامتة وتشبثت بسكوتها، حينئذ سأشيد بطلاقة لسانها وبالفصاحة التي تتحلى بها، وإذا رفضت أن تتزوجني، سأطلب منها برقّة، متى يمكنني إعلان موعد زفافنا، ها هي مقبلة، هيا يا بتروسيو تكلم.

بتروسيو : نهارك سعيد يا كاتي، أظنك هكذا تُدعين، كما سمعت ؟

كاترينا : لم يخطىء سمعك، لكن هناك قليلاً من التحريف، لأن الذين يتحدثون عني يسمونني كاترينا.

بتروسيو : أؤكد لك انني لا أحرّف، فالناس يختصرون اسمك ويدعونك كاتي، كاتي المتعالية، كاتي المشاكسة، وبالتالي كاتي الجميلة، كاتي الفاتنة، كاتي الحلوة، ومن يقول حلوة يعني الحلوة اللذيذة الطعم، فأنت سلواي يا كاتي، اصغي إلي يا معبودتي الصغيرة، فبعد أن سمعت الإطناب بلطفك

والإشادة بفضائلك وبهاء طلعتك كما تستحقين، دفعني الشوق الى البحث عنك لأجعلك شريكة حياتي.

كاترينا : أن يدفعك الشوق إليّ حقاً أمر مشكور، ولكن كما دفعك ابليس إليّ، فليحملك ويبعدك عني، لأني لا أجد فيك إلا رجلاً متقلباً كثير الأهواء.

بتروسيو : ماذا تعنين بكثير الأهواء ؟

كاترينا : أعني انك غيرُ مستقر.

بتروسيو : لقد أصبتِ، وما عليك إلا أن تمنحيني هذا الاستقرار بإلقاء عبئك علي.

كاترينا : حمل الأثقال هو من نصيب الحمير، وأنت مثلها.

بتروسيو : والنساء نصيبها الحمل أيضاً، وأنت لن تشذّي عن القاعدة.

كاترينا : لكني لست المطية التي ستحملك، إذا كنت تعتمد علي.

بتروسيو : مع الأسف يا كاتي الكريمة، لن أثقل عليك الحمل، لأنك صبية رشيقة.

كاترينا : أرشق مما تتصور، حتى يتمكن ثقيل الظل نظيرك من أن يحظى بي، فأنا مقدّرة مقامي وأدرى الناس بما أستحق.

بتروسيو : أجل، إذا رضي بك أحد من الرجال.

كاترينا : هذا قول غير مقبول لا سيما اذا صدر عن قبّرة مثلك.

بتروسيو : يا لك من فراشة طائشة هائمة في أجواء الغرور، ستقوى القبّرة على التقاطها.

كاترينا : انما الفراشة ماهرة في تضليل الطيور الجارحة.

بتروسيو : هيا، يا نحلة خففي من تشامخك، انك تستشيطين غضباً بدون داعٍ.

كاترينا : ان كنت أنا نحلة، عليك أن تخشى ابرتها.

بتروسيو : لن أعدم وسيلة لانتزاعها والتخلص منها.

كاترينا : اذا كان الأبله قادراً على الاهتداء الى مخبئها.

بتروسيو : ومن لا يعرف أن ابرة النحلة في أسفل أحشائها ؟

كاترينا : بل بين شفتيها، يا غبي.

بتروسيو : شفتي من تعنين ؟
كاترينا : ربما شفتيك أنت يا مغفّل، إن كنت سليم الطوية، وداعاً.
بتروسيو (ممسكاً بها): تقولين سليم الطوية، ان شفتيّ ستلتقيان حتماً بما تحاولين حجبه عني، هيا عودي يا كاترينا الكريمة، فأنا من الأعيان.
كاترينا : هذا ما أريد أن أوقن به (تصفعه على خده).
بتروسيو : أقسم لكِ بأني سأرد الكيل كيلين، إذا أعدت الكرّة.
كاترينا: ستفقد اعتبارك، إذا ضربت امرأة، ولن تكون من الأعيان، وإن لم تكن منهم فلا اعتبار لك بتاتاً.
بتروسيو : ان كنت أميرة، يا كاترينا، احسبيني أحد حراسك.
كاترينا : ما هو شعارك ؟ عرْف الديك ؟
بتروسيو : ديك بلا عرف، شرط أن تكون كاتي دجاجتي وحبيبتي.
كاترينا : أنا لا ميل لي اليك، أيها الديك الحقير، لأن صياحك يشبه نعيق البوم.
بتروسيو : هيا يا كاتي، لا تظهري كل حموضة أخلاقك.
كاترينا : هذا مذاقي الاعتيادي مقابل خيارة مثلك.
بتروسيو : ليس من خيارة هنا، فابدلي حموضتك.
كاترينا : أنا أراها في محلها بكل تأكيد.
بتروسيو : دلِّيني عليها اذاً.
كاترينا : لو كان لديّ مرآة لما ترددت لحظة.
بتروسيو : هل تقصدين أن تريني فيها وجهي ؟
كاترينا : لقد أدركت مرامي، يا خبيث.
بتروسيو : والله، أجدني أصغر سنّاً ممن تحتاجين اليه.
كاترينا : أنت مع ذلك لا رونق لك.
بتروسيو (يطوّق خصرها) : بسبب الهموم.
كاترينا (تحاول التملص منه) : أنا لا أبالي بما ينتابك.
بتروسيو (يمسك بها) : هيا اصغي إليّ يا كاتي، في الحقيقة لن تتخلصي مني هكذا.

كاترينا : سأظل أضايقك إلى أقصى حدّ، اذا حجزتني هنا، فدعني أذهب.

بتروسيو : كلا، لن تذهبي، لأني وجدتك في غاية اللطف، لقد قيل لي أنك خشنة الطباع، مشاكسة كئيبة، وأرى أن كل هذه الأقوال لا أساس لها من الصحة، إنك جذابة داهية طلية الحديث، أنت لا تتكلمين بهدوء وألفاظك حلوة كأزهار الربيع أنت لا تحرنين ولا تنظرين شذراً ولا تتلمظين غيظاً كما تفعل الفتيات الماكرات، ولا يلذّ لك أن تصرفي عنك أحداً، بل تستقبلين المعجبين بك بكل ترحاب وحسن ضيافة، فلماذا يدعي الناس أن كاترينا ملتوية الأخلاق، تباً لهم من نمّامين ! إن كاترينا رشيقة الخطى مستقيمة القامة مثل قضيب البان، وهي سمراء كالبندق ولذيذة كاللوز المحمص، هيا، أرني مشيتك لأؤمن بأنك لا تعرجين.

كاترينا : يا لك من محتال ! اذهب واصدر أوامرك الى من رشوتهم من المغفلين.

بتروسيو : ان الالهة ديانا لم تزيِّن الغابة مثلما زيَّنت كاترينا هذه الغرفة بأناقتها وروعة حسنها، أرجو أن تكوني لي كديانا، فتأخذ ديانا مكان كاترينا، ولتتمسك كاترينا بعفتها كما تشبَّثت ديانا بحنانها.

كاترينا : أين تعلمت كل هذا الغزل المعسول ؟

بتروسيو : إني أستمد طلاقة لساني من معين عواطفك.

كاترينا : على المؤلف أن يكون فصيحاً لكي يأتي كلامه سلساً.

بتروسيو : ألا تجدينني متوقد الذهن ؟

كاترينا : أجل، ولذلك عليك أن تظل معي مرناً.

بتروسيو : وحياتك، هذا ما أنوي عمله في سريرك يا كاترينا الحلوة، والآن أترك هذه اللياقات جانباً لأفصح لك عن رغبتي بتعابير واضحة، لأن والدك وافق على أن تصبحي زوجتي، وقد بتّ في أمر بائنتك، وستصيرين شريكة حياتي شئتِ أو أبيتِ، صدقيني يا كاتي أني الزوج المثالي الذي يناسبك، وأنا واثق بأنك على ضوء ما تستهويني من فتنة جمالك، لن ترضي أنت بغيري زوجاً لك، فقد خُلقت أنا لترويضك وتحويلك من هرَّة شرسة الى فتاة أليفة

محبوبة نظير سائر الصبايا الآنسات، ها هوذا والدك مقبل، فلا ترفضيني، لا بدّ من أن تكون كاترينا حليلتي وسأحصل عليها حتماً.

(يدخل باتيستا وجيراميو وترانيو)

باتيستا : ما وراءك من الأخبار يا سنيور بتروسيو ؟ كيف حالك مع ابنتي ؟

بتروسيو : على أحسن ما يرام من التفاهم والانسجام ؟ إذ يستحيل علي ألا أنجح.

باتيستا : وأنت يا بنيتي كاترينا، ألا تزالين على ما أنت عليه من الكآبة ؟

كاترينا : أنت تدعوني بنيتك، وهذا برهان قاطع على حنوّك الأبوي، ولا سيما عندما تنوي تزويجي برجل نصف أبله، غبي خالٍ من التفكير، يشبه طاحوناً لا يدور إلا بالدجل وبتدفق الشتائم والتهديدات على لسانه.

بتروسيو : عمّاه ! هذا الكلام بعيد جداً عن الواقع، أنت وجميع الذين يتحدثون عني تظلمونني وتخطئون في الحكم علي، أنا أعترف بأن ابنتك كاترينا مشاكسة عن سياسة وسابق تصميم، لكنها مع ذلك بعيدة عن الخشونة بل هي وديعة كالحمامة، وبعيدة عن الصلف بل مسالمة وهادئة كانبلاج الصبح، ومن ناحية الصبر فهي أشبه بأيوب، ومن ناحية العفة هي نظير يوسف بن يعقوب وكلانا على أتم التفاهم والاتفاق قد قررنا أن نعقد قراننا يوم الأحد القادم.

كاترينا : اني أفضّل أن أراك مشنوقاً يوم الأحد.

جيراميو : هل سمعت يا بتروسيو ؟ هي تعلن أنها تفضّل أن تراك مشنوقاً.

ترانيو (لبتروسيو) : هل تعتبر هذا نجاحاً ؟ وداعاً إذاً لعهودنا.

بتروسيو : صبراً يا سادة، أنا اخترتها لنفسي، فإذا كنا كلانا راضيين فما شأنكم أنتم ؟ لقد تمّ الاتفاق بيننا نحن الاثنين عندما كنا منفردين على أن تواصل مشاكستها أمام الناس فقط. أؤكد لكم أن مقدار تعلقها بي لا يحصره وصف، يا لها من فتاة مخلصة ! لقد عانقتني وطبعت على خدي قبلة الشوق وأقسمت لي يمين الوفاء، مبرهنة بذلك على هيامها بحبي، أنتم بدائيون في هذا الحقل، وأنا أعتبر أمراً عجيباً أن يروّض طالب زواج في خلوة واحدة أشرس المتوحشات، أعطني يدك يا كاتي، أنا ذاهب الى البندقية لأشتري لك جهاز العرس اللازم لزفافنا، أعدّ الحفلة يا عمّاه، وأرسل الدعوات الى الأهل

والأصحاب لحضور الحفلة، أريد أن أعاين كم ستكون كاترينا ساحرة في هذه المناسبة السعيدة.

باتيستا : لا أدري ماذا أقول، ولكن هات يدك، أتمنى لك السعادة والتوفيق يا بتروسيو، فلقد ربحنا القضية.

جيراميو وترانيو : آمين، وسنكون خير الشهود.

بتروسيو : وداعاً يا عماه، وداعاً أيتها الحسناء، وداعاً يا سادة، أنا ذاهب الى مدينة البندقية، وهناك سأشتري ما يلزم من خواتم وحلل رائعة وهدايا جميلة، عانقيني يا كاتي (يقبّلها) سنتزوج يوم الأحد

(يذهب بتروسيو وكاترينا كل من جهة).

جيراميو : هل شاهدت زواجاً تم بمثل هذه العجلة ؟

باتيستا : لعمري، اني أقوم، يا سادة، بدور التاجر المهووس الذي يغامر في سبيل مصلحة لا أمل له في نجاحها.

ترانيو : هذه السلع التي ربما تفسد بقربكم، إما أن تدرّ عليكم الربح الوافر، وإما أن تتلف أثناء نقلها اليكم في البحر فتنزل بكم خسارة فادحة.

باتيستا : الربح الذي أتوخاه من هذه الصفقة هو السلام والوئام.

جيراميو : يجب أن أقرّ بأن هذا الغنم النادر يتحقق بهدوء وأمان، والآن يا باتيستا لنتكلم عن ابنتك الصغرى، ها قد أتى اليوم الذي انتظرته أنا طويلاً، فارأف بحالي أنا المستجير بك، وأول عاشق في ديارك.

ترانيو : لا تنسَ اني أنا أيضاً طالب زواج وإني أحب بيانكا أكثر مما يبوح به تصريحي الواضح وما يصوره لك خيالك الخصب.

جيراميو : يا لك من مخادع ماكر، لن يتسنى لك أن تحب بحنان أكثر مني.

ترانيو : أيها العجوز المتصابي، إن حبك مثل الثلج لن يلبث أن يذوب.

جيراميو : وحبك أنت مثل الزبد لن يلبث أن يزول، فما عليك أيها الدجّال إلا أن تتراجع وتنسحب لأن المرغوب في الثمرة هو نضوجها.

ترانيو : لكن الشباب في نظر الغواني هو الزهرة الفواحة.

باتيستا : هدئوا روعكم، يا سادة، سأبت في هذا الخلاف سريعاً، واستناداً الى الوقائع سأمنح الفائز ما يستحقه من جائزة، فمن منكما يسعه أن يخصص أوفر

بائنة لابنتي الكبرى، يظفر بيد بيانكا، قل لي يا سنيور جيراميو، ماذا بإمكانك أن تؤمِّن لها كبائنة ؟

جيراميو : أولاً، كما تعلم، ان منزلي في المدينة غني بأثاثه وبالأواني الذهبية والفضة والطسوت والأباريق لغسل الأيدي الناعمة، سجَّاداتي جميعها من صنع صور، وقد كدَّست دنانيري في خزائني العاجية، وستائري وثيابي وجميع رياشي هي من الأصناف الفاخرة الغالية الثمن نظير الوسائد التركية المزركشة باللآلىء والأحجار الكريمة والموشاة بالذهب، عدا الأواني النحاسية وشتى الأواني البيتية وصناديق السرو التي تحفظ فيها. ثم مزرعتي تحوي مئة بقرة حلوب وعشرين ثوراً صخماً، وكل ما تبقى هو بهذه النسبة. لقد بدأت السنون تثقل كاهلي، وأنا لا أنكر ذلك. لكن، ان مت غداً، جميع هذا ينتقل اليها اللهم اذا رضيت بأن تكون لي ما حييت.

ترانيو : ليس من حسنة في كل ما ذكرت سوى الخاتمة. (لباتيستا) أنصت إليّ الآن يا سيدي. أنا ابن وحيد، وأبي لا وريث له غيري، فإذا تسنى لي أن أحظى بابنتك كزوجة لي، سأترك لها في أحياء مدينة بيزا الفخمة ثلاث أو أربع منازل أجمل من التي يملكها العجوز السنيور جيراميو في بادوَا، ما عدا مدخول قدره مئتا ألف ريال، قوامه أراض ستكون من أهم أرزاقها. هل يزعجك هذا يا سنيور جيراميو ؟

جيراميو : مدخول من مئتي ألف ريال قدامه أراضٍ ! كل أرزاقي لا توازي هذا المبلغ ولكن سيكون لها فوق ذلك، حالاً، سفينة راسية على رصيف مرسيليا، وهذه السفينة وحدها يسيل لها اللعاب اشتهاءً.

ترانيو : يا جيراميو، مِن المسلم به أن ميراث أبي لا يقل عن ثلاث سفن كبيرة ومركبين واثني عشر زورقاً، أؤمّنها لها جميعها، وأنا على استعداد لمضاعفة عرضك عليها مهما كان جزيلاً.

جيراميو : لقد قدمت كل ما يخصني ولا مزيد عندي، فلا يسعني أن أهدي ما لا أملك، فإن قبلت أنت بي، سأكون أنا ملك يديها مع جميع ما يخصني.

ترانيو (لباتيستا) : الفتاة من نصيبي أنا، لا لأحد سواي، حسب وعدك النهائي ، وهكذا لم يعد لجيراميو في هذا الموضوع أي حساب.

باتيستا : يجب علي أن أعترف بأن عرضك هو الأنسب، وإذا شاء والدك أن يضمن لك هذه الثروة، فابنتي هي من نصيبك. وإلا، أرجوك أن تعذرني، فإن مت أنت قبله، لا أدري ماذا يحلّ بتركته.

ترانيو : هذا أمر مفروغ منه. هو عجوز، وأنا في عز الشباب.

جيراميو : ألا يموت الشبان كما يموت الشيوخ ؟

باتيستا : كفى يا سادة. هذا قراري الأخير ولا مردّ له. وأنتم تعلمون بأن ابنتي كاترين ستتزوج يوم الأحد القادم. (لترانيو) وأنت ستتزوج بيانكا متى حصلت على ضمانة أبيك، وإلا ستكون من نصيب السنيور جيراميو، وعلى هذا الأساس أستأذنكم شاكراً

(يخرج).

جيراميو : الوداع يا جاري العزيز. (لترانيو) الآن لم أعد أخشاك. لعمري، أيها المهرِّج الصغير، إن أعطاك والدك منذ الآن ما يملك أعدّه من المغفلين، لأنك قد لا تتردد، أيام شيخوخته، في إهماله وحرمانه من حقوقه الشرعية. هذا عمل صبياني، وأظن أن الثعلب الإيطالي العجوز لن يبلغ هذا الحدّ من الغباء، يا ولدي. (يخرج).

(يخرج).

ترانيو : بُليتَ بقتلك أيها العجوز الأشمط اللئيم. من حسن حظي رددت عليك بأفضل أجوبتي، وقد قصدت أن أعرف ما يعود من خير العواقب على معلمي. لا أدري لماذا لم يتخذ لوسنتيو المزعوم أباً مزعوماً، اسمه فنسنتيو. ان هذه الوسيلة حقاً رائعة. إذ جرت العادة أن يصنع الأب ابنه، انما في عرف هؤلاء العشاق وبفضل مهارتي، أصبح الإبن هو الذي يصنع والده.

(يخرج).

الفصل الثالث

المشهد الأول

في جناح بيانكا

(يدخل لوسنتيو وهورتنسيو تتبعهما بيانكا)

لوسنتيو : كفُّوا عن العزف أيها الموسيقيون. أنت تتصرف بحريّة زائدة يا سيدي هورتنسيو. هل نسيت بهذه السرعة ما خصّتك به أختها كاترينا من استقبال فاتر ؟

هورتنسيو : اعلم، أيها المتفلسف الثقيل الظل، انك هنا أمام سيد الطرب، فدعني أتقدم عليك، وبعد أن نقضي ساعة من الزمن في سماع أعذب الأنغام، سيكون أمامك الوقت الكافي لإلقاء دروسك.

لوسنتيو : يا لك من حمار بليد. يبد عليك انك غير واسع الاطلاع لتدرك روعة الموسيقى وتأثيرها العجيب في إنعاش ذهن الإنسان بعد عناء الدروس وتعب الأشغال اليومية. دعني إذاً ألقي الآن درسي في الفلسفة. وبينما أنا أرتاح تقدم أنت ألحانك الرائعة.

هورتنسيو : لن أتحمل طويلاً غلاظتك المقذعة يا جاهل.

بيانكا : جميعكم، يا سادة، تزعجونني بمناقشاتكم العميقة في أمر يتعلق بي

وحدي. أنا لست تلميذة ساذجة تساق بالعصى، ولست مقيدة بمواعد معينة، بل أود أن أتلقى دروسي حين يحلو لي ذلك، فحسماً لكل نزاع بينكم تعالوا نجلس هنا. (لهورتنسيو) أرجوك أن تتناول عودك لتعزف لنا قطعة مرحة، فإن درسه سينتهي قبل أن تضبط الآلة.

هورتنسيو (لبيانكا) : ستتركين درسه حالما أنتهي من ضبط أوتاري.

لوسنتيو : إذاً واصل تهيئة عودك (ينسحب هورتنسيو جانباً).

بيانكا : أين توقفنا ؟

لوسنتيو : هيا يا سيدتي. أنا لوسنتيو بن فنسنتيو من مدينة بيزا، وقد تنكرت هكذا ليتسنى لي كسب مودَّتك، ولوسنتيو هذا الذي جاء يغازلك هو وصيفي ترانيو الذي حلّ محلّي للتمويه على والدك الشيخ.

هورتنسيو (وهو عائد) : ان آلتي الموسيقية أصبحت جاهزة، فاسمعوا إذاً (يعزف هورتنسيو بعض الأنغام) تباً لهذا الوتر العلوي الذي يخنّ.

لوسنتيو : ابصق في ثقب الملواة، يا صديقي، وأعد ضبط الوتر (ينسحب هورتنسيو ثانية).

بيانكا : والآن جاء دوري في الكلام. أنا لا أعرفك ولا أصدقك. فاحذر أن يسمعك أحد، ولا تبالغ في الادعاءات، وبنوع خاص لا تيأس أبداً.

لوسنتيو : أجل، ما عدا الوتر السفلي.

هورتنسيو : السفلي مضبوط. (على حدة) ولكن سفالتك يا خبيث هي الشاذة، ما أكره تشامخك وجسارتك أيها الفيلسوف المنكود الحظ ! بحياتي، أنت حقاً مغفَّل حتى تغازل حبيبتي. يا غشاش سأراقبك عن كثب

(يقترب).

بيانكا : قد أصدقك يوماً ما. غير أني لا أزال أرتاب بك حتى هذه الساعة.

لوسنتيو : لا تثقي به (يلمح هورتنسيو) هو يروغ منك كما يروغ الثعلب.

بيانكا : يجب علي أن أصدق معلمي، وإلا نبَّهتك الى تخوفي من هذه النقطة التي تبعث على الشك. ولكن، لنقف عند هذا الحد. (لهورتنسيو) والآن جاء دورك يا ليسيو. أرجوك يا أستاذي الكريم أن لا تحنق عليّ لأني جاملتك هكذا.

هورتنسيو (للوسنتيو) : يمكنك أن تتجوّل قليلاً وتتركني وشأني لحظة. ففي دروسي الموسيقية لا مجال لإشراك ثلاثة طلاب معاً.
لوسنتيو : أراكم تتكلّفون في معالجة قضاياكم يا سادتي. (على حدة) حسناً سأبقى لأراقب سير الأمور، فأنا ألاحظ، ان لم أكن مخطئاً، ان موسيقيّنا الظريف عاشق متيّم.
هورتنسيو : قبل أن تمسّي الآلة، يا سيدتي، سأعلمك كيف تستعملين أصابعك أثناء العزف، ثم أبدأ بتلقينك مبادىء الفن الأساسية سأعلمك السلّم الموسيقي بطريقة أقصر وأبهج وأفيد وأنجع من الطريقة التي درج عليها زملائي، وها هي ذا مكتوبة على هذه الورقة، بخط جميل. (يسلمها الورقة).
بيانكا : لقد حفظت السلّم منذ زمن بعيد.
هورتنسيو : اعتصمي دوماً بسلّم هورتنسيو الأمين.

سلّم	دو	: أنا مجموع كل الأوزان.
١	ره	: أوحّدها للإفصاح عن أشواق هورتنسيو.
٢	مي	: إقبليه زوجاً لك يا بيانكا.
٣	فا	: لأنه يحبك بكل نزاهة وإخلاص.
٤	صول	: عندي لهذا القرار بندان.
٥	لا ر مي	: ارأفي بحالي، وإلا مت كمداً.

هذا ما يدعى سلّماً، رغم أنه لا يعجبني كثيراً، فأنا أفضل الطريقة القديمة، أنا لست عاجزاً عن وسائل ألجأ اليها لأعيد القواعد الأصلية باستنباطات سفسطائية.

(يدخل وصيف)

الوصيف : يا سيدتي، والدك يرجوك أن تتركي كتبك هنا لتذهبي وتساعدي في تزيين حجرة شقيقتك، فغداً كما تعلمين هو موعد قرانها..
بيانكا : عليّ أن أترككم، يا أساتذتي الاعزاء، فإلى اللقاء
لوسنتيو : بعد الآن لم يعد من حاجة لبقائي في هذا المكان (تخرج بيانكا والوصيف ثم لوسنتيو).

هورتنسيو (وحده) : أما أنا فلدي رغبة في المكوث هنا لمراقبة هذا المتفلسف الذي يبدو لي أنه غائص في بحر الغرام، آه منك يا بيانكا ! ان كنت تريدين، ولو بقليل من الوضاعة، أن تشملي بعطفك أول القادمين، فليتزوجك من يشاء، وإذا تصرفتِ بطيش، فهورتنسيو يكون في حل ليغيّر رأيه ويختار سواك

(يخرج).

المشهد الثاني

أمام منزل باتيستا

(يدخل باتيستا وترانيو وكاترينا وبيانكا ولوسنتيو في موكب فخم يتبعهم المدعوون إلى العرس).

باتيستا (لترانيو): سنيور لوسنتيو، ها هو اليوم المعيّن لزفاف كـاترينا وبتروسيو، ومع ذلك لم نتلقّ حتى هذه الساعة أي نبأ عن وصول صهرنا، ماذا سيقول الناس عنا ؟ ما هذه الفضيحة التي يثيرها غياب العريس أثناء انتظار كاتب العقد لإتمام مراسم الزواج ؟ وبماذا سيتبجح لوسنتيو حيال العار الذي يلحق بنا.

كاترينا : أنا وحدي أتحمل وقر هذا العار، لأني مضطرة، بالرغم مما يتمناه قلبي، الى القبول بشاب خال من العقل، بعيد عن الكياسة والمسايرة، بعد أن غازلني باستعجال، يتباطأ في القدوم الى عرسه. لقد قلت لك أنه مهووس نزق، يخفي السخرية المرة تحت مظاهر الصراحة القاسية. ولكي يظنه الناس ظريفاً تراه يغازل ألف امرأة ويعيّن لكل واحدة موعداً للاقتران بها، ويدعو الاصدقاء ويعدّ كل مقتضيات الحفلة بدون أن ينوي الزواج، هكذا يشير الناس بإصبعهم الى كاترينا قائلين : ستصبح امرأة المهووس بتروسيو، يوم يخطر بباله أن يأتي ليتزوجها.

ترانيو : صبراً يا كاترينا الطيِّبة، صبراً يا باتيستا الكريم. صدقوني، ان قلت لكم ان نيّة بتروسيو سليمة، وأن ظروفه تمنعه عن الاعتذار، وإن بدا قليل اللياقة، فأنا أعلم أنه يدرك ما يفعل، ومع أنه يظهر غير مبالٍ، فأنا واثق بأنه رجل شريف يحترم عهوده.

كاترينا : أتمنى أن لا أكون قد عرفته (تخرج باكية وتتبعها بيانكا وبعض المدعوين الى العرس).

باتيستا : اذهبي يا بنيتي. فأنا لا يسعنى أن ألومك على نحيبك. لأن مثل هذه الإهانة التي لا تغتفر تغيظ قديساً، فكم بالحري فتاة نزقة سامية الطموح نظيرك.

(يصل بيوندالو راكضاً)

بيوندالو : سيدي، لدي خبر هام، خبر سار لم تسمع به بعد.

باتيستا : خبر سار ؟ ماذا تقصد ؟

ترانيو : ما هو ؟ أوليس خبرك وصول بتروسيو ؟

باتيستا : هل وصل حقاً ؟

بيوندالو : كلا، يا سيدي.

باتيستا : ماذا تريد أن تقول إذاً ؟

بيوندالو : سيصل.

باتيستا : ومتى يحضر الى هنا ؟

بيوندالو : عندما يقف أمامنا ونراه بأم أعيننا.

ترانيو : تكلم أيها البليد، تكلم. ما هو خبرك الهام ؟

بيوندالو : لقد وصل بتروسيو، وعلى رأسه قبعة جديدة، وهو يلبس سترة قديمة وسروالاً رثاً مقلوباً ثلاث مرات، وجزمة كانت سابقاً كيس شمع، فردة منها بأزرار وفردة بسير، وفي وسطه خنجر أكل الدهر عليه وشرب وقد ذهب بحدِّه الصدأ، مأخوذ من مستودع أسلحة البلدية، قبضته مخلوعة، وغمده ضائع، ومهمازه محطم وحصانه مشدود عليه سرج عتيق عفن، زمامه موصّل، وهو فوق ذلك مريض محدودب الظهر كالجمل، هزيل الجثة مخدّش الجلد

مشوه الشدقين، أصفر اللون، زائغ البصر، مقوس القوام، مكسور الشكيمة، الخ، الخ...

باتيستا : ومن يرافقه ؟

بيوندالو : خادمه، وهو على شاكلة حصانه، في رجله الواحدة جراب من قطن وفي رجله الأخرى جراب من صوف خشن مشدود بخيط غليظ أحمر وأزرق، وعلى رأسه قبعة بالية، لها بدل الريشة باقة من الزهور الذابلة كأنه في لباسه القبيح مسخ لا يشبه أبداً أي وصيف في خدمة الأعيان.

ترانيو : لا بد من أن يكون ذوقه الفاسد قد أوحى إليه هذا الهندام الذري، وهو الذي لا يرتدي على الدوام إلا مثل هذه الألبسة المهلهلة.

باتيستا : أنا سعيد بأن يكون قد أتى لابساً هذه الثياب السمجة.

بيوندالو : لكنه، يا سيدي، لم يصل بعد.

باتيستا : ألم تقل أنه قادم ؟

بيوندالو : مَن ؟ بتروسيو ؟

باتيستا : نعم، بتروسيو.

بيوندالو : كلا، يا سيدي. لقد قلت ان حصانه آت وهو على ظهره.

باتيستا : الأمر واحد في الحالتين.

بيوندالو : كلا، أراهن على أن الرجل وحصانه اثنان لا واحد، ولا ثالث لهما.

(يصل بتروسيو وكريميو كلاهما مرتدين كما وصفهما بيوندالو)

بتروسيو : قل لي، أين الشبان ؟ ومن الذي بقي في المنزل ؟

باتيستا : أهلاً بك يا سيدي.

بتروسيو : اني أستطيع أن أرتدي ثياباً أفضل من هذه.

باتيستا : أنا لا أرى فيك أي مظهر غريب.

ترانيو : انما لست متأنقاً، كما كنت أتصور وأتمنى.

بتروسيو : كان علينا أن نستعجل للوصول في الوقت المعيّن. ولكن أين كاترينا ؟ أين خطيبتي الحبيبة ؟ وكيف حال والدها عمي ؟ اني ألاحظ على وجوهكم، يا سادة، مسحة من الكآبة، لماذا كل هذا الجمع واجم كما لو

كان في مأتم، أو أمام مشهد مذهل، أو أحد الكواكب المذنّبة أو أحدى العجائب الخارقة.

باتيستا : يا سيدي، أنت تعلم أن اليوم هو موعد عرسك. أولاً نأسف لتأخرك، وكنا نخشى أن لا تأتي، وها نحن أكثر حزناً لمشاهدتك كئيباً. تباً لك. اخلع عنك هذه الألبسة المخجلة نظراً الى مستواك ودورك في فرحتنا المرتقبة.

ترانيو : وما هو السبب الوجيه الذي أبقاك هكذا بعيداً طوال هذه المدة عن عروسك، وجعلك تصل الينا في ثياب رثة غير التي عهدناها فيك ؟

بتروسيو : حجتي يصعب علي تبيانها، ويسوؤك سماعها. يكفي الآن أن ترى أني جئت لأفي بوعدي رغم بعض العراقيل القاهرة التي سأكشفها لك في ظروف أكثر ملاءمة، وستعذرني عليها لأنها مُقنعة. ولكن أين كاترينا ؟ لقد مضى زمن طويل وأنا بعيد عنها. ها قد انقضى قبل الظهر، وعلينا أن نكون هذه الساعة في الحفلة.

ترانيو : لا تدع خطيبتك تشاهدك في هذه الثياب غير اللائقة. امض الى غرفتي وارتد بعض ملابسي.

بتروسيو : لن أفعل ذلك. صدّقوني أني أريد أن أراها وأنا هكذا.

باتيستا : غير اني لا أعتقد بأنك تريد أن تتزوج بهذه الأسمال البالية.

بتروسيو : إذا تم القران، أكون من أسعد السعداء. والآن لنوقف نقاشنا عند هذا الحد. هي ستقترن بشخصي لا بثيابي. ولو تمكنت من تعويض ما ستهريه فيّ بمثل سهولة تغيير ملابسي الحقيرة، فإن ارتياح كاترينا يجعلني أكثر ابتهاجاً منها، ولكن أي بهلول أنا لأثرثر معكم، بينما يتوجب عليّ أولاً أن أسلّم على خطيبتي، وأن أتمنى لها نهاراً سعيداً، ثم أوطد علاقاتي بها بقبلة حارة.

(يخرج بتروسيو وكريميو وبيوندالو).

ترانيو : ان له غاية من بقائه بهذه القيافة المقذعة. فلنحاول اقناعه ان أمكن، بأن يستبدل ثيابه بما يناسب الموقف ويذهب الى حفلة زواجه.

باتيستا : سأتبعه لأرى نهاية المهزلة.

(يخرج).

ترانيو (للوسنتيو) : ولكن، يا سيدي، يهمني أن أضيف الى حب بيانكا رضى أبيها. وللحصول عليها، كما أخبرت سيادتك، سأكلّف رجلاً، كائناً من كان، لا يهم، لأنني سألقنه ما يجب أن يقول، لينتحل شخصية فنسنتيو القادم من بيزا الى مدينتنا بادوَا، ويتعهد بتقديم مبالغ أضخم من التي وعد بها، وهكذا ستتمتع بالسعادة المنشودة وستتزوج بيانكا الفاتنة بموافقة والدها.

لوسنتيو : لو لم يكن رفيقي الأستاذ يراقب عن كثب خطوات بيانكا لفضّلت أن أتزوّج سراً. وأمام الأمر الواقع، لو قاومني العالم برمّته سأحتفظ بكنزي الغالي رغم أنف الناس أجمعين.

ترانيو : سأحاول أن أصل الى غايتي رويداً رويداً، وسأغتنم الفرصة المناسبة لتحقيق أمنيتي. فعلي أن أحتاط لألاعيب المخاتل جيراميو والوالد الرقيب مينولا وهذا الموسيقي البارع والعاشق ليسيو، كل ذلك لتأمين مصلحة معلمي لوسنتيو.

(يدخل كريميو).

ترانيو : يا سنيور جيراميو، هل تريد أن تأتي الى الحفلة ؟

جيراميو : أجل وبكل سرور كما كنت أفعل أيام تهربي من المدرسة.

ترانيو : هل عاد العريس والعروس ؟

جيراميو : أنت تسأل عن العريس الذي أعتبره أنا رجلاً خسيساً خشن الطباع. والذي ستختبره المسكينة بعد فوات الأوان.

ترانيو : هل هو يثير الأعصاب مثلها ؟ هذا مستحيل !

جيراميو : هو شيطان رجيم، بل ابليس لعين.

ترانيو : وهي امرأة خبيثة ماكرة لا مثيل لها بين ربات الكيد والخداع.

جيراميو : هي ليست في الحقيقة سوى نعجة وديعة بلهاء بالنسبة اليه. سيبيِّن لك ذلك لوسنتيو عندما يحضر كاتب العقد ويسألك عما اذا كنت فعلاً تريد كاترينا زوجة لك. فجوابك بنعم سيدهشه ويتركه مشدوهاً فيسقط العقد من يده على الأرض، وعندما ينحني ليلمّه سيسقط هو بدوره، فيبادر المدعوون الى رفعهما معاً منعاً للتشاؤوم من هذا الزواج العجيب.

ترانيو : وماذا تقول المسكينة حين ينهض كاتب العقد ؟

جيراميو : سترتجف وترتعش بينما هو يضرب الأرض برجله ويشتم، كما لو أراد عاقد القران أن يسحره. أخيراً بعد مراسم عديدة يشرب نخب الحاضرين كأنه نجا من كارثة جسيمة. ثم يطوّق العروس بذراعيه ويطبع على ثغرها قبلة صاخبة تردد صداها جدران القاعة، وحالما تعاين ذلك تهرب خجلاً، وأنا على يقين بأن الموكب سيتبعني إذ لن يشاهد أحد زواجاً بذيئاً مثل هذا، ثم تعزف موسيقى الوداع.

(تعزف الموسيقى ويصل بتروسيو وكاترينا وبيانكا وباتيستا
وهورتنسيو وكريميو وجميع المدعوين)

بتروسيو : سادتي وخلّاني، أشكركم على ما تجشمتموه بحضوركم من عناء. أنا أعلم بأنكم تنتظرون أن تتعشّوا اليوم معي، وإنكم تمنون أنفسكم بمآكل لذيذة في هذا العرس، ولكن أعمالي المستعجلة، مع الأسف، تدعوني بعيداً عن هذا المكان. لذلك استأذنكم بالذهاب.

باتيستا : هل يجوز أن ترحل عنا هذا المساء ؟

بتروسيو : عليّ أن أغادركم قبل حلول الظلام، ولن تستغربوا أبداً حجتي متى اطلعتم عليها، بل سترجونني أن أمضي بدلاً من أن أبقى فيما بينكم. أشكركم على رفقتكم المشرفة، وعلى حضوركم حفلة اقتراني بامرأة أعتبرها الأحلى والأفضل بين جميع النساء. تناولوا العشاء مع والدها عمّي، واشربوا نخبي، والآن علي أن أذهب، فالوداع إذاً.

ترانيو : أتوسّل اليك أن تمكث معنا الى ما بعد العشاء.

بتروسيو : هذا مستحيل.

جيراميو : وأنا أتوسَّل اليك.

بتروسيو : هذا مستحيل.

كاترينا : وأنا أيضاً أتوسل اليك.

بتروسيو : بكل ممنونية أودّ أن ألبي طلبك.

كاترينا : أكرر توسلي اليك أن تبقى.

بتروسيو : لا أبهج عندي من قبول توسلك، انما قررت أن لا أبقى حتى إن توسلت إلي بكل ما لديك من قوة إلحاح.

كاترينا : ان كنت حقاً تحبني، لا ترد طلبي.
بتروسيو : جيراميو، هيىء لي جوادي.
كريميو : أمرك مطاع، يا سيدي. هو جاهز. وقد أكل شعيره.
كاترينا : تصرف أنت كما تشاء. أما أنا فلن أرحل اليوم معك، ولا غداً ولا قبل أن يشتهي خاطري. الباب مفتوح أمامك، يا سيدي. وهذا طريقك منفسح قدامك ويمكنك أن تنهب الأرض نهباً ما دامت جزمتك متينة. أكرر عليك أني لن أذهب قبل أن أشاء أنا الذهاب. يبدو لي أنك ستكون زوجاً عنيداً، ولمست ذلك في تمسكك بهذا الرفض المتعنِّت.
بتروسيو : هدئي روعك يا كاتي. أرجوك أن لا تحنقي.
كاترينا : أنا حانقة. فماذا يسعك أن تفعل ؟ كن هادئاً يا أبي، واطمئن الى أنه سيبقى هنا الى ما أشاء أنا.
جيراميو (لباتيستا الذي يشير اليه بتروسيو) : لعمري، ها هو قد بدأ يستسلم.
كاترينا : يا سادة، تعالوا ننتقل الى وليمة العرس. أعتقد أن المرأة تميل الى الانهيار إذا لم يشجعها أحد على المقاومة.
بتروسيو : هؤلاء الأفاضل يمضون الى العشاء كما طلب منهم، يا كاترينا. أطيعوا العروس جميعكم أيها السائرون في موكبها. اذهبوا الى المأدبة وامرحوا وكلوا واشربوا نخب عفّتها، وإلا امضوا الى الجحيم. أما كاتي صديقتي الحبيبة فسترافقني. (لكاترينا) هيا اخلعي عنك هذا المظهر الكئيب، ولا تتهيبي ولا تتأثري، أنا أريد أن أكون سيِّد المرأة التي تخصني، فكاترينا هي ملكي وستنقاد إليّ صاغرة. هي بيتي وأثاثي وحقلي وأهرائي وحصاني وثوري وحماري وكل كياني. (ينتضي خنجراً) وهذا سلاحي فمن يجرؤ على الوقوف في وجهي ؟ سأضع كل من يجسر على اعتراض سبيلي في حدوده. هنا في بادوَا يا كريميو، عليك أن تتقدمنا وتفسح لنا الطريق، لأن اللصوص يطوقوننا، انقذ سيدتك ان كنت رجلاً، وأنت يا ملاكي لا تخشي مكروهاً. فلن يمسّك أحداً بسوء، يا حبيبتي كاترينا، سأكون درعك الواقي وإن جابهنا ألوف المعتدين. (يخرج بتروسيو مصطحباً كاترينا ويتبعهما كريميو).
باتيستا : هيا، دعوا هذين العروسين المسالمين وشأنهما.

جيراميو : لو لم يبادر الى الذهاب، لأغربت في الضحك.
ترانيو : بين جميع الزيجات المتهورة لم أرَ لهذا الزواج من شبيه.
لوسنتيو (لبيانكا) : يا سيدتي، ما رأيك بشقيقتك ؟
بيانكا : هي متهوسة، وانسجمت مع مخبول نظيرها.
جيراميو : أنا أؤكد ذلك. ها هوذا بتروسيو خطيب كاترينا.
باتيستا : يا جيراني وخلاني الأفاضل، إذا كان العروسان سيتركان فراغاً فيما بيننا على المائدة، فاعلموا أن المآكل اللذيذة لن تغيب عنا في هذه المأدبة. لوسنتيو، اجلس مكان العريس، وأنت يا بيانكا اجلسي مكان أختك العروس.
ترانيو : ستجرب الفاتنة بيانكا إذاً أن تصير عروساً.
باتيستا : هذا بديهي، يا لوسنتيو. هيا بنا نمضي، يا سادة.

(يخرجون).

الفصل الرابع

المشهد الأول

في منزل بتروسيو

(يدخل كريميو)

كريميو : تباً لجميع المشاكسات المتعبات ولجميع المستبدين المزعجين، هل من رجل بليد ثقيل يضايق الناس أكثر مني ؟ أنا أتقدمهم لأشعل النار كي يتبعوني ويتدفأوا، فلو لم أكن حقيراً تافهاً لتجلدت شفتاي على فمي ولجفّ لساني في حلقي ولجمد قلبي بين ضلوعي قبل أن تتأجج النار في أحشائي لتذيب جليدي، غير أني سأتدفأ وأنا أنفخ النار، ففي هذه الأيام، لا ينجو أقوى جبّار من البرد والزكام، أليس كذلك يا كرتيس ؟

(يدخل كرتيس)

كرتيس : من يناديني بهذا الصوت المرتعش ؟

كريميو : قطعة جليد، وإذا شككت بالأمر يمكنك أن تلمس يدي وجبيني، فإني أرتجف برداً من رأسي إلى أخمص قدميّ، عجِّل وأئتني بالنار يا كريتس.

كرتيس : هل سيأتي معلمي وزوجته، يا كريميو ؟

كريميو : أجل، يا كريتس. إليّ بالنار، وإياك أن تجللها بالرماد.

كرتيس : هل هي متأججة كما أشتهي.
كريميو : كان ذلك، يا كرتيس الكريم، قبل هذا الصقيع، ولكنك تعلم أن الشتاء يروض الرجال والنساء والحيوانات والأشياء معاً، وقد روض حتى معلمي ومعلمتي الجديدة وروضني أنا أيضاً يا صاحبي كرتيس.
كرتيس : إذهب إلى الجحيم أيها المسخ الذي لا يتعدى طوله ثلاث بوصات أنا لست حيواناً.
كريميو : أأنا مسخ طوله ثلاث بوصات ؟ تباً لقرونك التي يفوق طولها القدم. أنا على الأقل أطول منها. هل تريد أن تشعل لنا النار ؟ إن لم تمتثل شكوتك الى معلمتك، فيصيبك من قساوتها ما تستحقه من عقاب ولا سيما إذا تباطأت في إنجاز المطلوب منك.
كرتيس : أرجوك يا كريميو العزيز أن تخبرني بما يقوله الناس عني.
كريميو : هم لا يبالون بك، يا كرتيس، مهما كانت مشاغلك، عليك إذاً أن تتمم واجباتك لتصل الى مبتغاك، فمعلمي ومعلمتي يوشكان أن يموتا من البرد.
كرتيس : ها هي النار متأججة فليتدفأ. أرجوك يا كريميو أن تزوّدني بالأخبار.
كريميو : لدي منها ما تشاء.
كرتيس : أنت تحب دائماً أن تتسلّى بحكايات الناس.
كريميو : كلا، لم ينلني سوى البرد القارس. إليّ بالنار إذاً. أين الطاهي ؟ هل العشاء جاهز في المنزل المزيّن بالأزهار والأشرطة والنجوم المتدلية كالعناكب ؟ هل ارتدى المدعوون ملابسهم الجديدة وجواربهم البيضاء ؟ وهل لبس أهل العروسين حلل العرس ؟ وهل اكتملت جميع الترتيبات على ما يرام ؟ وهل فرش السجاد وصفّت أواني المائدة ؟
كرتيس : أجل كل شيء جاهز، فأرجوك أن تطلعني على ما وراءك من أخبار.
كريميو : أولاً، إعلم أن حصاني منهوك القوى، وأن معلمي ومعلمتي قد سقطا أرضاً.
كرتيس : كيف ؟
كريميو : من على السرج الى الوحل، هذه قصة طويلة.

كرتيس : اروِها لي يا كريميو الطيِّب.
كريميو : قرِّب أذنك.
كرتيس : ها هي.
كريميو (وهو يصفعه) : خذ.
كرتيس : هذا شعور بالقصة لا سماعها.
كريميو : هذه الطريقة تجعل القصة محسوسة، والصفعة ليس إلّا وسيلة لاجتذاب أذنك وحملك على الإصغاء، والآن أبدأ : لقد نزلنا على منحدر هائل، ولما كان معلمي على ظهر الحصان خلف معلمتي...
كرتيس : كلاهما على جواد واحد ؟
كريميو : وما ضرر ذلك ؟
كرتيس : هذا يرهق الحصان.
كريميو : إذاً أتابع لك القصة : لو لم تقاطعني لكنت علمت بأن الجواد سقط وأضحت هي تحت الحصان، وتلوثت بالوحل، ولكنت علمت بأنها اتسخت بكاملها وإنه تركها تحت الجواد، وإنه ضربني لأن الحصان تعثّر، وإنها تخبطت في الوحل لإنقاذ نفسها وإنها شتمت، وإنها صلَّت، هي التي لم تعرف الابتهال في حياتها، وإنها صرخت، وإن الزمام الذي تمسكت به انقطع وإنها فقدت توازنها... وألف تفصيل آخر يستحق الذكر، وإنها ستغيب في هوّة النسيان بينما أنت سيضمّك القبر بكل جهلك الفاضح.
كرتيس : نعم، وهذا ما ستعترف به أنت، عندما يعود معلمي لأنه أشجع من فيكم، ولكن ما نفع قولي هذا لك ؟ استدع نتنايل ويوسف ونقولا وفيليب ووالتر وبسكي وجميع الباقين هنا لتنظيف خيولهم وثيابهم الزرقاء أيضاً، وكل حمّالات جواربهم وبزاتهم لينحنوا احتراماً، وليركعوا على ركبتهم اليسرى ويحترسوا من لمس شعرة واحدة من ذيل جواد معلمي، قبل أن يقبّلوا يده هل هم جاهزون ؟
كرتيس : بأجمعهم.
كريميو : استدعهم فوراً إذاً.
كرتيس (ينادي) : يا جماعة ! هل تسمعون ؟ يجب عليكم كلكم أن تذهبوا

الى ملاقاة معلمي، ولتسلموا على معلمتي.

كريميو : ملاقاتها ؟ هي قادرة على المجيء وحدها.

كرتيس : ومن ينكر ذلك ؟

كريميو : أنت، على ما يظهر، تدعو الجماعة إلى استقبالها والسلام عليها.

كرتيس : أنا أدعو الى تقديم الاحترام اللائق بسيدتي.

كريميو : الاحترام ؟ وهل فقدته حتى وجب تقديمه لها ؟

(يدخل عدة وصفاء)

نتنايل : أهلاً وسهلاً بك يا كريميو.

فيليب : كيف حال كريميو ؟

يوسف : ما بك، يا كريميو ؟

نقولا : يا رفيقي كريميو !

نتنايل : كيف حالك يا صديقي القديم ؟

كريميو : أهلاً بك، كيف حالك ؟ أراك هنا، يا صاح. لقد ولَّت الأيام الحلوة السعيدة. والآن يا شجعان، هل كل شيء جاهز ! وهل كل شيء أصبح نظيفاً ؟

نتنايل : كل شيء جاهز، إلى أين وصل معلمنا؟

كريميو : هو على بعد خطوتين، وقد نزل عن جواده. لا داعي لقلقكم عليه، فإني أسمع صوته يقترب.

(يدخل بتروسيو وتتبعه كاترينا)

بتروسيو : أين هؤلاء الأغبياء ؟ ماذا أرى ؟ لا أحد على الباب يمسك بركابي ويأخذ جوادي ؟ أين نتنايل وكريكوار وفيليب ؟

جميع الوصفاء : نحن هنا يا سيدي، نحن هنا.

بتروسيو : وأنا هنا يا سيدي، أنا أيضاً هنا. يا رؤوس الحطب، يا ساسة الخيل المعتوهين، أين أنتم ؟ لا أجد الخدمة مؤمنة هنا. لا اهتمام ولا احترام. أين الغبي السخيف الذي أرسلته أنا لاستقبالي ؟

كريميو : ها أنا ذا يا سيدي، غبي بقدر ما أنا مسرع لاستقبالك.

بتروسيو : منافق، ابن عاهرة، بغل عجوز. ألم أقل لك أن تأتي لمقابلتي في الحديقة وأن تصحب هؤلاء الدجالين.

كريميو : يا سيدي، إن رداء نتنايل لم يكن جاهزاً تماماً، وحذاء جبرايل كان مفتوقاً عند الكعب، ولم يكن أي مشعل موقداً حتى نسوّد قبعة بطرس، وخنجر والتر بدون غمد، لم يكن مستعداً سوى آدم ورالف وكريكوار، أما الباقون فكانوا في ثيابهم الرثة المشعثة البالية، ولكنهم مع ذلك جاؤوا كما هم للمثول بين يديك.

بتروسيو : اذهب يا خبيث، اذهب واجلب لي الحساء (يخرج بعض الوصفاء).

(يغني)

أين عمري الذي ضيّعته ؟

أين الأصحاب ؟.. اجلسي يا كاترينا. أهلاً وسهلاً بك (يجلس) أفٌّ أفٌّ. (يعود الوصفاء حاملين الحساء) عجلوا، يا كاتي الكريمة الحلوة، افرحي. يا نتنايل اخلع جزمتي من رجلي. عجِّل يا غبي.

(يغني)

كان المتسول في ثياب رمادية يتنزه على الطريق (يمد فردة جزمته إلى وصيف ليخلعها) إلى الجحيم يا مغفل. لقد فتلت لي قدمي. خذ (يضربه) وتعلم أن تشد الثانية بطريقة أريح. افرحي يا كاتي. إليّ بجرعة ماء. أين كلبي ترويلس ؟ أسرع أيها البليد وقل لابن عمي فرديناند أن يوافيني إلى هنا. (يخرج وصيف). يا كاتي، يجب أن تعانقي هذا الشخص وتعرفي من هو. أين خُفّي ؟ هل سيحضر الماء ؟ (يقدم له طست). هيا يا كاتي اغسلي يديك. أهلاً بك في داري، حيث استقبلك بكل فرح وسرور (يضرب وصيفاً رمى الابريق) كيف تفعل هذا يا شقي، يا ابن العاهرة، كيف تسقطه ؟.

كاترينا : أرجوك أن تصبر قليلاً عليه. هذه غلطة غير مقصودة.

بتروسيو : ابن الزانية، رأس الحطب، حمار طويل الذنب والأذنين. تعالي يا كاتي اجلسي. أنا أعرف أن شهيتك للأكل ممتازة. (يجلسان إلى المائدة) هل تريدين أن تتلي صلاة الشكر يا كاتي أو أتلوها أنا ؟ ما هذا ؟ هل هو لحم غنم ؟

الوصيف الأول : أجل يا سيدي.

بتروسيو : من جاء به ؟

الوصيف الأول : أنا.

بتروسيو : هو محروق مثل سائر لحومك السابقة، يا كلب، أين الطاهي القذر ؟ كيف تجاسرت على الاتيان بهذا وتقديمه لي، وأنا لا أحبه ؟ هيا، خذ هذا الصحن من أمامي مع الأقداح وسائر ما تبقى (يقذف إلى أرض المسرح كل ما هو موجود على المائدة) تباً لك من جلفٍ غشاش دجال، وفوق ذلك تغمغم. سأنزل بك أشد العقاب بدون امهال.

كاترينا : أرجوك يا زوجي العزيز أن لا تنفعل هكذا، لقد كان اللحم جيداً، لو رضيت به.

بتروسيو : أؤكد لك يا كاترينا أنه محروق وناشف ومحرم عليّ أن أتناول أي طعام مثله، لأنه يولد الغضب ويبعث على التقزز. وبما أننا في طبيعتنا كلانا سريعا التأثر فالأجدر بنا أن نظل صائمين وأن لا نأكل لحماً محروقاً. ألا اصبري، فغداً يتحسن وضعنا، وهذا المساء سنتعشى مع الجماعة، تعالي أوصلك إلى غرفتنا في أول ليلة زفافنا (يخرج بتروسيو وتتبعها كاترينا ثم كرتيس).

نتنايل (يتقدم) : هل رأيت يا بطرس شيئاً مماثلاً لما يجري هنا ؟

بطرس : لقد قتلها بدعابته السمجة.

(يعود كرتيس)

كريميو : أين هو.

كرتيس : في غرفة سيدتي، وهو يغرقها بالأرشاد والاقناع، ويسب ويشتم ويصرخ. وهي المسكينة لا تدري كيف تتصرّف حياله ولا تكلمه من شدة وجومها وكأنها أفاقت من حلم غريب. هيا بنا نخرج، فها هو قادم.

بتروسيو (وحده) : هكذا بدأت حكمي بسياسة حازمة، وأملي أن أصل إلى مبتغاي. ها هو ذا صقري قد أثاره الحرمان، وإلى أن يتمّ ترويضه، لا أرغب في اشباعه، لأن المظاهر عندئذ لن تخدعه، لدي طريقة أخرى للسيطرة على طائري المتوحش ولتعويده على الرجوع إليّ والتعرف إلى صوتي، أنا صاحبه. سأبقيه متيقظاً وسأعامله معاملة المتمرد الذي يأبى أن يطيع. هي لم تأكل شيئاً

ولن تأكل اليوم. في الليلة السابقة لم تنم ولن تنام هذه الليلة أيضاً، كذلك عند العشاء سأجد علة وهمية لطريقة ترتيب السرير، وسأرمي بالوسادة من هنا وباللحاف والشرشف من هناك. وفي وسط هذه الفوضى سأدّعي بأن أفعل كل ذلك لأجل راحتها، بالنتيجة، ستظل طوال الليل ساهرة، وإن أغمضت جفنها سأشتم وسأتثائب وسأدعها ساهرة بما أطلقه من انتقادات واعتراضات، هكذا أنهك أعصاب المرأة بمظاهر الحنو، وهكذا أخضع عنفوانها وتمردها وعنادها، ومن يعرف طرقا غيرها للإذلال والاستبداد فليعجل ويدلني عليها، فسيسدي إليّ أولى معروف. (يخرج).

المشهد الثاني

في بادوَا ـــ وسط حديقة مجاورة لمنزل باتيستا

(يدخل ترانيو وهورتنسيو)

ترانيو : هل من الممكن يا صديقي ليسيو أن تميل بيانكا إلى لوسنتيو آخر ؟ أكرر عليك يا سيدي أنها تشجعني على هذا التصرف بأنجع الطرق.

هورتنسيو : لزيادة اقتناعك بما أقول، قف جانباً وراقب كيف يلقي عليها لوسنتيو درسه.

(تدخل بيانكا ويتبعها لوسنتيو).

لوسنتيو : استفيدي من مطالعاتك يا سيدتي إلى أقصى حدّ.

بيانكا : وأنت يا معلمي ماذا تقرأ ؟ أجبني أولا على سؤالي هذا.

لوسنتيو : أنا أقرأ ما تخصصت به وهو فن الحب.

بيانكا : هل يسعك يا سيدي أن تكون أستاذاً في فنّك ؟

لوسنتيو : ما دمت تقبلين بأن تكوني مالكة قلبي، يا صديقتي الحلوة.

(يبتعدان معاً وهما يتحادثان)

هورتنسيو : ما هذه المشية البطيئة ؟ أرجوك أن تقول لي ما هو رأيك أنت الذي لا تتردد في التأكيد بأن معلمتك بيانكا لا تحبّ انساناً في العالم كما تحب لوسنتيو.

ترانيو : ما أشد غيرتك أيها العاشق المتقلّب ! إني أعلن لك يا ليسيو أن تصرفك مدهش للغاية.

هورتنسيو : كف عن خداع نفسك، أنا لست ليسيو، ولا موسيقي كما توحي به هيئتي، وأكره أن أحيا طويلاً بهذا التنكر لأجل مخلوق ينتحل شخصية أحد الأعيان هنا، ويتخذ له زميلاً نظير هذا المخادع. اعلم يا سيدي ان اسمي هورتنسيو.

ترانيو : سنيور هورتنسيو، كثيراً ما سمعت الناس يتكلمون عن مودّتك الصادقة لبيانكا، وبما أني واثق بحسن نيّتك، أريد بموافقتك أن أتخلى عن بيانكا وعن حبها إلى الأبد.

هورتنسيو : انظر إليهما، ولاحظ قبلاتهما وهيامهما يا سنيور لوسنتيو، أني أرفع يدي وأقسم وأتعهد بكل تأكيد أن أكف عن مغازلتها وأن أنبذها لانها لا تستحق الاعتبار الذي أبديته نحوها حتى الآن.

ترانيو : وأنا نظيرك، أقسم بدون تحفظ بأن لا أتزوجها، ولو توسلت هي إليّ، تباً لها من عنيدة شرسة، أنظر أي ميل شهواني تكن له.

هورتنسيو : أريد أن يعاديها كل الناس ما عداه، أما أنا، فلكي أكون أكثر ثقة بوفائي لقسمي سأتزوج قبل مضي ثلاثة أيام أرملة ثريّة، أجل أرملة ثرية لم تنقطع عن حبي طوال مدة تعلقي بهذه المتبجحة المتشامخة المتدللة، وعلى هذا، أودعك يا سنيور لوسنتيو، فإن حنان المرأة لا جمالها هو الذي يستأثر بعواطفي، أستأذنكم بالذهاب لأني مصمم على تنفيذ ما تعهدت بتحقيقه. (يخرج هورتنسيو).

(يعود لوسنتيو بصحبة بيانكا إلى مقدمة المسرح).

ترانيو : يا سيدتي بيانكا، أسأل الله أن يمن عليك بكل الهناء الذي يتمناه

المحبون السعداء، لقد فاجأتك أثناء قيلولتك يا صديقتي اللطيفة، أنا وهورتنسيو لم يعد لنا أية رغبة فيك.

بيانكا : أنت تمزح يا ترانيو، أحقاً لم يعد لأي منكما رغبة فيّ ؟

ترانيو : نعم يا سيدتي.

لوسنتيو : ها نحن قد تخلصنا من ليسيو.

ترانيو : أجل. لعمري، أنه ينوي الاقتران بأرملة غنية غازلها ليتزوجها في نفس اليوم.

بيانكا : أسعده الله.

ترانيو : وهو واثق بأنه سيتمكن من ترويضها.

بيانكا : هذا ما يدّعيه يا ترانيو.

ترانيو : أقسم بشرفي، أنه أستاذ في مدرسة المرأة المستبدة التي أخضعها.

بيانكا : ماذا تقول ؟ هل هناك مدرسة تعلّم الترويض ؟

ترانيو : أجل يا سيدتي، وبتروسيو هو الأستاذ الذي يعلّم شتى الحيل لترويض مثل هذه الشرسة وللجم ثرثارة نظيرها.

(يصل بيوندالو راكضاً ويأخذ لوسنتيو جانباً).

بيوندالو : يا سيدي، لقد راقبت طويلاً حتى تعبت، ورأيت أخيراً من التلة عجوزاً محنّكاً وهو مستعد للقيام بالدور المرغوب.

ترانيو : من هو يا بيوندالو ؟

بيوندالو : لست أدري، يا معلمي، ان كان تاجراً أو مربياً، غير أن هندامه وتحفظه ومشيته تخلع عليه وقار الأبوة.

لوسنتيو : وماذا أيضاً يا ترانيو ؟

ترانيو : انه أهل للثقة ويؤمّن لنا بالفعل نجاح خطتنا تجاه باتيستا مينولا، كما لو كان فنسنتيو الأصيل بذاته. خذ حبيبتك واتركني وحدي (يخرج لوسنتيو مع بيانكا).

(يدخل المربّي)

المربّي : حفظك الله يا سيدي.

ترانيو : وأنت أيضاً، يا سيدي. أهلاً بك. هل ينتهي سفرك هنا أم أنك راحل الى مكان أبعد ؟

المربّي : سفري يتوقف هنا مدة أسبوع أو أسبوعين، ثم أواصل رحلتي الى مكان أبعد، لأنني ذاهب الى روما ومن هناك الى طرابلس إذا أحياني الله.

ترانيو : أرجوك أن تخبرني من أية مدينة أنت ؟

المربّي : من منتوَا.

ترانيو : أنت من منتوَا، يا سيدي ؟ نجّاك الله من المكوث في بادوَا، أوَلا تخشى على حياتك ؟

المربّي : لماذا أخشى على حياتي، يا سيدي أرجوك أن تنوّرني لأن هذه مسألة جديّة.

ترانيو : الموت يتربّص بكل شخص من سكان مانتوَا، أوَلا تدري ما هو السبب ؟ ان الحظر مفروض على كل سفنهم في البندقية. وأميرنا، بسبب مشادة فردية بينه وبين أميركم، قد نشر خبر هذه المشكلة في كل مكان. هذا أمر مقلق، ولو جئت قبل الآن بقليل، للمست هول الخطر المحدق بك.

المربّي : يؤسفني يا سيدي، ويحزنني أن أحضر لتقديم أوراقي المحوّلة من فلورنسا إلى هنا.

ترانيو : يا سيدي، في سبيل خدمتك، سأقدم لك نصيحة لوجه الله، لكن قل لي أولاً : هل ذهبت الى بيزا قبل الآن ؟

المربّي : نعم، يا سيدي، ذهبت عدة مرات الى بيزا المشهورة بخطورة مواطنيها.

ترانيو : هل تعرف منهم أحداً اسمه فنسنتيو ؟

المربّي : أنا لا أعرفه، إنما سمعت بأنه تاجر يملك ثروة ضخمة لا مثيل لها.

ترانيو : هو أبي، يا سيدي، وفي الحقيقة، كم وجهاكما يتشابهان ؟

بيوندالو (على حدة) : تماماً كما تشبه التفاحة صدفة المحار.

ترانيو : فلإنقاذ حياتك في هذه الظروف العصيبة أنا مستعد لأن أسدي اليك معروفاً. فكِّر كم حظُّك سعيد في شبهك بفنسنتيو. ستتخذ اسمه وتعرّف بنفسك كأنك هو، وستحل ضيفاً علي كصديق عزيز، واجتهد أن تقوم بدورك

على أكمل وجه. هل فهمت ما اقترحه عليه يا سيدي ؟ ستبقى عندي الى أن تنهي أشغالك في المدينة. أرجوك أن تقبل هذا العرض الذي آمل أن يوافقك.

المربّي : بكل طيبة خاطر، وسأعتبرك على الدوام منقذ حياتي وأدين لك بحريتي.

ترانيو : تعال إذاً معي لتنفيذ المهمة. بالمناسبة، أعلمك بأن أبي ينتظر كل يوم هنا، ليؤمّن لي بموجب عقد قانوني، ميراثاً سأهديه لابنة باتيستا التي سأتزوجها. ولأجل كل هذه الاعتبارات سأشرح لك مشكلتي. فتعال معي، يا سيدي، لألبسك الثياب التي تليق بالمقام (يخرجان).

المشهد الثالث

عند بتروسيو

(تدخل كاترينا مع كريميو)

كريميو : كلا، كلا. في الحقيقة أنا لن أجسر على ذلك طوال حياتي.

كاترينا : ان قسوته عليّ تظهر بجلاء لدى كل بادرة تصدر عنه، فهل تزوجني ليدعني أموت جوعاً ؟ لم يكن على المتسولين الذين يطرقون باب أبي إلا أن يطلبوا الإحسان لكي يحصلوا عليه فوراً بسخاء، وإن مُنع عنهم، فإنهم يجدونه حتما عند سواه. أما أنا فلم أعرف أبداً كيف أتوسّل، فأنا جائعة بسبب فقدان الطعام، وأكاد أنهار من شدة تعبي وافتقاري الى النوم. لقد ظللت ساهرة على صوت الشتائم، وختاماً أعياني الصخب، وما يغيظني أكثر، هو حرماني من الراحة أيضاً، وهذا كله يتم باسم الحب والإخلاص، إذ يعتقد بتروسيو، حسب ادعائه، بأن كثرة النوم والطعام تسبب أمراضاً فتاكة تفضي إلى الموت العاجل. أرجوك أن تجلب لي أي طعام لأسد به جوعي، بشرط أن يكون صالحاً ومغذياً.

كريميو : ما رأيك بفخذ عجل ؟
كاترينا : انه لذيذ. أرجوك أن تأتيني به عاجلاً.
كريميو : أخشى أن يكون لحمه عسير الهضم، فما رأيك بشريحة غنم مشوية جيداً.
كاترينا : اني أحبها كثيراً يا كريميو. فاذهب واجلبها لي بدون تأخير.
كريميو : أنا لا أعرف ان كانت هذه الشريحة طرية، وأخشى أن تضايقك فما رأيك بشريحة بقر عليها قليل من الخردل ؟
كاترينا : هذا طعام شهي أودّ الحصول عليه سريعاً.
كريميو : ولكن الخردل من التوابل الحامية جداً.
كاترينا : طيب. اجلب لي شريحة البقر بدون خردل.
كريميو : لا، أنا لا أستطيع تقديمها معاً، سأجلب لك الخردل بدون شريحة.
كاترينا : هيا، اجلب أي طعام تريده، المهم أن تسرع.
كريميو : حسن، سآتيك بالخردل بدون لحم.
كاترينا (تضربه) : اغرب من وجهي يا لعين، هل تسخر مني ؟ أنت تريد أن تشبعني بذكر أسماء الطعام فقط، تباً لك من خبيث منافق، وبئس مصيبتي بك. هيا أغرب من وجهي يا عنوان الشؤم.

(يدخل بتروسيو حاملاً صحناً من اللحم يتبعه هورتنسيو)

بتروسيو : كيف حال عزيزتي كاترينا ؟ كيف حال فاتنتي الجذابة.
هورتنسيو : كيف حالك اليوم، يا سيدتي ؟
كاترينا : على أسوأ حال.

بتروسيو : عودي الى وعيك، وانظري إليّ بابتهاج، وثقي بأني أهتم بصالحك، وأني أعد لك طعامك وسأجلبه لك فوراً (يضع صحناً على المائدة)، وأعتقد بأن اخلاصي هذا لكِ يستحق شكرك، يا كاترينا. على ما أرى أنت لا تقدرين ذلك، وأن سعيي في هذا السبيل يضيع سدى (لوصيف) هيا خذ هذا الصحن.
كاترينا : أرجوك أن تبقيه.

بتروسيو : ان أية خدمة مهما كانت زهيدة تستحق الشكر طبعاً. فعليك إذاً أن تشكريني قبل أن تلمسي هذا الصحن.
كاترينا : أشكرك يا سيدي. (تجلس إلى المائدة ويظل بتروسيو واقفاً).
هورتنسيو (يجل أمام كاترينا) : سنيور بتروسيو، أنا ألومك على تصرفك الذي لا يستحق إلا التنديد، يا سيدتي كاترينا أودّ أن أظلّ بصحبتك.
بتروسيو (بصوت خافت لكاترينا) : كلي جميع ما هو أمامك، إذا كنت تحبينني فعلاً (بصوت عالٍ) أرجو أن يكون لك هذا الطعام كله صحة وعافية، كلي يا كاتي بسرعة. وبعد لحظة، يا أحلى من العسل على مهجتي، سنرجع الى والدك لندشّن أجمل الثياب الحريرية والقبعات والخواتم الذهبية والقلادات والأساور والمراوح وجميع لوازم الزينة البراقة. هل فرغت من عشائك ؟ إن الخياط ينتظر أن تتعطفي وتدعيه يزين قامتك الهيفاء بما لديه من ثمين الملابس.

(يدخل أجير الخياط وبيده ثوب)

بتروسيو : تعالَ أيها الخياط لنرى هذا الرداء، ابسطه هنا من فضلك.
صانع القبعات : هذه هي القبعة التي أوصيتني عليها، يا صاحب السعادة.
بتروسيو : ما هذه ؟ انها مصنوعة في القالب كأنها وعاء من المخمل. تباً لها، هي غير مناسبة وغير متقنة، هي صغيرة كالصدفة أو قشرة الجوزة. هل ظننت أنها قبعة طفل ؟ خذها إذاً واعطني غيرها أوسع منها.
كاترينا : أنا لا أريد أوسع منها، هذه مصنوعة على آخر طراز، والنساء الأنيقات يلبسن مثلها تماماً.
بتروسيو : بعد أن تبرهني لي عن عواطفك، لا بعد، ستحصلين على القبعة.
هورتنسيو (على حدة) : وهذا لن يكون في القريب العاجل.
كاترينا : أعتقد بأن لي الحق في الكلام يا سيدي وسأتكلم. أنا لست طفلة. وهناك رجال أفضل منك قد تحملوا صراحتي، فإذا كنت أنت لا تتحملها فما عليك إلا أن تسدّ أذنيك. سيعبر لساني عن كل ما يختلج به قلبي، ولو تحطم هذا القلب من جراء التصريح بما يضيق به، ولكي لا أعرضه إلى الانفجار، لا بد لي من التمتع بالحرية التامة كما يحلو لي.

بتروسيو : إن ما تجاهرين به حق. أما هذه القبعة فقبيحة فعلاً، وأنا أفضل أن لا تحبيها ولا تقبليها.
كاترينا : إن أحببت أنت هذه القبعة أو لم تحببها فأنا أريدها وسأحصل عليها ولن أرض بسواها.
بتروسيو : جاء الآن دور الثوب، هيا يا خياط، أرنا إياه. يا إلهي ! ما هذه المهزلة ! ما هذه الأكمام ؟ إنها مثل الخرج، والثوب مفصل من أعلاه إلى أسفله مثل كيس البصل، لا أناقة ولا انسجام فيه، بربك يا خياط، أسألك أن تقول لي كيف تدعو هذا الهندام.
هورتنسيو (على حدة) : أرى أن سيدتي لن تحصل على القبعة ولا على الثوب.
الخياط : لقد أوصيتني أن أعتني بالتفصيل وأجعله على طراز اليوم.
بتروسيو : نعم، ولكن إذا كنت تذكر جيداً، لم أطلب منك أن تسيء الصنع وتشوّه، هيا احمل بضاعتك وانصرف. وإنما إيّاك أن تفرض عليّ تدجيلك هذا، فأنا لن أرضى به، ويمكنك أن تنسحب حالاً وسريعاً.
كاترينا : أنا لم أشاهد في حياتي ثوباً أحلى وأجمل وأليق وأتقن منه، ويبدو عليك أنك أردت به أن تجعل مني دمية ساحرة.
بتروسيو : هذا صحيح، كان يريد أن يجعل منك دمية ولكن قبيحة.
الخياط : هي تقول إن سيادتك تريد أن تجعل منها دمية.
بتروسيو : يا لك من منافق وقح، أنت كاذب محتال، يا صرصِور، يا خنفس حقير، إني أتحداك يا مخبول. وأنا مستعدّ لأن أؤدبك إذا لزم الأمر، أكرر عليك إنك شوّهت هذا الثوب.
الخياط : أنت مخطىء يا صاحب السعادة، فالثوب مصنوع كما يجب، حسبما أوصيت عليه معلمي، بواسطة كريميو الذي أعطى التعليمات.
كريميو : أنا لم أعطه أية تعليمات، إنما سلمته قطعة النسيج فقط.
الخياط : ولكن كيف طلبت منه أن يتم الصنع ؟
كريميو : بالإبرة والخيط.
الخياط : ألم تطلب أن يجري التفصيل على شكل معين !

كريميو : أظن أن مقصك عالج أنسجة مختلفة في هذه الأثناء.
الخياط : نعم يا سيدي !
كريميو : إذاً لا تعالجني أنا، لقد ألبست رجالاً عظماء، فلا تتعاظم عليّ. أنا لا أريد أن تناقشني، ولا أن تتحداني، أكرر عليك أني طلبت من معلمك، أن يخيط هذا الثوب لا أن يشوّهه، تباً لك من منافق.
الخياط : برهاناً على صدق كلامي، ها هو ذا نموذج التفصيل.
بتروسيو : أرني إياه.
كريميو : النموذج لا ينطبق على التعليمات.
الخياط (يشرح) : التفصيلة لثوب واسع الخصر.
كريميو (لبتروسيو) : يا معلمي، إذا قلت أنا ان الثوب واسع الخصر، فليخيط فمي ولأضرب بالسياط حتى أموت، ولأشنق بحبل غليظ، لقد قلت إن الثوب...
بتروسيو : أكمل.
الخياط : مستدير العنق.
كريميو : أنا لا استنكر شكل العنق.
الخياط : والأكمام عريضة.
كريميو : ولا أستنكر الأكمام.
الخياط : وهي مفصلة بدقّة.
بتروسيو : هذا هو عين الغش.
كريميو : لقد سها عن بالك ما قلت يا سيدي، أنك أوصيت على تفصيل الأكمام أولاً ثم على شكل العنق بعد ذلك.
الخياط : إن ما أفوه به هو عين الصواب، ولو أمسكت بك في مكان ما لجعلتك لا تنكر أي شيء.
كريميو : أنا تحت أمرك، استلم إذاً دفترك فوراً وخذ ذراعك وانصرف.
هورتنسيو : سامحك الله يا كريميو، ان اللعبة غير متعادلة.
بتروسيو (للخياط) يا سيدي بكلمة مختصرة، هذا الثوب ليس لي.
كريميو (لبتروسيو) : الحق معك يا سيدي، هو لمعلمتي.

بتروسيو : هيا خذه؛ وضعه بتصرف معلمك.

كريميو (للخياط) : يا محتال لا تحاول أن تظهر براعتك أمامي، كيف أضع ثوب معلمتي بتصرف معلمي !

بتروسيو (لكريميو) : ما هذه الفكرة المستهجنة !

كريميو : الفكرة معقولة أكثر مما تتصوّر، ضع ثوب معلمتي بتصرف معلمي.

بتروسيو (بصوت خافت للخياط) : أيها الخياط، سأدفع لك ثمن الثوب غداً، لا تسيء تفسير كلامي الصريح، قلت لك : امض وبلّغ معلمك أطيب تحياتي (يخرج الخياط وصانع القبعات).

بتروسيو : تعالي يا كاترينا نذهب إلى والدك بهذه الملابس البسيطة اللائقة فإن جيوبنا لن تكون عامرة إلا متى تواضعت ثيابنا والمعنويات هي التي تنشط الأبدان. وكما أن الشمس ترسل أشعتها من خلال الغيوم الدكناء، هكذا تستشف الاستقامة عبر الملابس البسيطة. وهل الطاووس أفضل من النسر لأن ريشه أجمل ! وهل الثعبان أنفع من الحنكليس لأن ألوان جلده تسحر الأنظار !. كلا يا عزيزتي كاتي؛ أنت لا تخسرين شيئاً من صفاتك الحميدة في هذا الهندام المتواضع. فإن كان ذلك عاراً في نظرك، فألقي به على كاهلي، وكوني مرحة لأننا ذاهبون إلى وليمة فاخرة يعدّها والدك لنفرح ونبتهج معه. (لكريميو) اذهب وناد جماعتي كي تخرج الى الطريق، فسنسير على أقدامنا مسافة قصيرة ثم نمتطي جيادنا. الآن الساعة هي السابعة، وأعتقد أننا سنصل تماماً في موعد العشاء.

كاترينا : صدقني يا سيدي، ان الساعة تقارب الثمانية، وسنصل حتماً بعد العشاء.

بتروسيو : ستبلغ الساعة السابعة قبل أن أمتطي حصاني، أراك دائماً تناقضني في كل ما أقول وأفعل (لجماعته) اتركوني يا سادة، فاليوم لن أرافقكم وسأقرر اللحاق بكم حين أشاء.

هورتنسيو : تباً لهذا المغرور الذي يريد أن يتحكم بنور الشمس (يخرجّون).

المشهد الرابع

بادوَا ـــ أمام منزل باتيستا

(يدخل ترانيو والمربّي بلباس فنسنتيو)

ترانيو : ها هوذا المنزل، يا سيدي. هل تريد أن أنادي على من فيه ؟

المربّي : أجل. وهل يمكنني عمل غير ذلك ؟ إذا كنت لا أزال أتمتع بحافظة جيدة فالسنيور باتيستا يسعه أن يتذكر أنه رآني قبل عشرين عاماً تقريباً في جينوَا حيث نزلنا كلانا في فندق بيغاس.

ترانيو : هذا صحيح، أرجوك أن تتصرف كما يليق بالسلطة الأبوية.

المربّي : اني أضمن لك ذلك. ولكن، يا سيدي، هوذا غلامك آتٍ، ومن الضروري أن تؤنّبه.

ترانيو : كن مطمئن البال من نحوه. يا بيوندالو، حان وقت قيامك بالواجب. انتبه، هوذا فنسنتيو الحقيقي الأصيل.

بيوندالو : لا يقلق لك بال.

ترانيو : هل أدّيت مهمتك حيال باتيستا ؟

بيوندالو : لقد أخبرته بأن أباك كان في مدينة البندقية، وإنك تنتظره اليوم في بادوَا.

ترانيو : أنت شاب فطن، خذ هذه الإكرامية. ها هو باتيستا. فكن على حذر، يا سيدي.

(يدخل باتيستا ولوسنتيو)

ترانيو : سنيور باتيستا، أنا سعيد بلقائك (للمربّي) هذا هو الشخص الذي كلّمتك عنه. أرجوك أن تكون أباً صالحاً، وتجعل بيانكا من نصيبي.

المربّي : تمهل يا ولدي (لباتيستا) اسمح لي، يا سيدي. لقد جئت إلى بادوَا لتحصيل ما لي من ديون، فأعلمني إبني لوسنتيو بأنه بينه وبين ابنتك قصة حب جدّية، فبالنظر إلى ما بلغني عنك من أنباء حسنة، وبالنظر إلى الحبّ الذي يكنّه

ولدي لإبنتك، ولكي لا أدعه ينتظر طويلاً أمنحه رضاي الأبوي وموافقتي على هذا الزواج، وإن كنت أنت أيضاً على أتم الاستعداد والرضى مثلي لعقد الاتفاقية ستجدني يا سيدي محبّذاً ومباركاً هذا القران، إذ لا يجمل بي أن أناقشك كثيراً في هذا الموضوع الدقيق يا سنيور باتيستا ما دمت قد سمعت عنك أطيب الأخبار.

باتيستا : اعذرني، يا سيدي، على ما أنا مزمع أن أوضحه لك، أن صراحتك وقرارك يعجبانني جيداً، صحيح أن ابنك لوسنتيو، الحاضر هنا يحب ابنتي وهي تحبه وكلاهما يتبادلان أسمى عواطف الودّ، فبالمقابل ما عليك إلا أن تعدني بأن تتصرف تجاهه كأب عطوف، وأن تؤمّن لإبنك إرثاً كافياً فيتحقق هذا الزواج على أكمل وجه، ويزف ابنك إلى ابنتي بموافقتنا.

ترانيو : أشكرك. أين تريد أن تتم الخطوبة وأن يسجل العقد حسب رضى الطرفين ؟

باتيستا : ليس في بيتي يا لوسنتيو، لأنك تعلم أن للحيطان آذاناً صاغية وعندي الكثير من الخدم، ثم ان العجوز جيراميو هو دائم التيقظ، ومن المحتمل جداً أن يباغتنا أحد.

ترانيو : فإذاً سيجري الزفاف في بيتي أنا. إذا لم يكن لديك من مانع يا سيدي، فهناك يمكث أبي، وسنعقد القران فيما بيننا على أحسن ما يرام، فارسل في طلب ابنتك بواسطة الغلام الذي يرافقك، ويذهب غلامي لاستدعاء كاتب العقد، انما لعدم اعلامي بقدومك في الوقت المناسب، لن تجد عندي إلا طعاماً عادياً بدل الوليمة التي تليق بك.

باتيستا : عرضك يعجبني (للوسنتيو) يا كمبيو، أسرع إلى المنزل وقل لبيانكا أن تستكمل استعداداتها، وأخبرها بما يدور هنا، وبأن والد لوسنتيو قد وصل من بادوَا وبأنها على الأرجح ستغدو قرينة لوسنتيو.

لوسنتيو : أتمنى من كل قلبي أن تكون له عروس سواها.

ترانيو : لا تمزح وامضِ في سبيلك، هل تريد أن أدلّك على الطريق يا سنيور باتيستا ؟ أهلاً بك، انما لن يتسنى لي أن أقدم لك كعشاء إلا لوناً واحداً من

الطعام. تفضل بالمجيء الى بيزا حيث أستطيع أن أستقبلك وأقوم بواجب الحفاوة أفضل من هنا.
باتيستا : سألحق بكم (يخرج ترانيو والمربّي وباتيستا).
بيوندالو (للوسنتيو الذاهب) : يا كمبيو.
لوسنتيو (وهو عائد) : ماذا ترغب يا بيوندالو ؟
بيوندالو : هل رأيت معلمي يغمزك بطرف عينه ويبتسم لك ؟
لوسنتيو : ما معنى هذا يا بيوندالو ؟
بيوندالو : لا شيء لكنه تركني هنا في المؤخرة ليشرح لي دلالة هذه الإشارات.
لوسنتيو : ما هو مفادها ؟
بيوندالو : هو : أن باتيستا موجود في مكان أمين ويتكلم مع ابن مستعار عن ولدٍ وهمي.
لوسنتيو : وبعد ذلك ؟
بيوندالو : ستمضي أنت لتأتي بابنته الى العشاء.
لوسنتيو : ثم ماذا ؟
بيوندالو : ان كاتب العقد قادم ليكون تحت تصرفك ويتمم مراسم الزفاف.
لوسنتيو : وما هي عاقبة كل هذه اللعبة ؟
بيوندالو : اليك ما يمكنني أن أوصيك به : بينما يكون أهل العرس منشغلين في نص العقد الصوري، اشرح لها ما يجري هنا ثم غافل الجميع واخرج بها الى حيث نكون مع الشهود لنذهب الى مكان آخر ونعقد لك عليها بشكل قانوني رسمي، وإذا لم توافق على هذه الخطة الوحيدة التي تحقق لك أمنيتك فإني أنصحك أن تودع بيانكا الوداع الأخير الى الأبد (يبتعد).
لوسنتيو : اسمع يا بيوندالو.
بيوندالو : لا يسعني أن أبقى أكثر مما فعلت، لقد عرفت صبيّة تزوجت بعد ظهر أحد الأيام وهي ذاهبة الى الحقل لتقطف البقدونس وتمزجه باللحم وتحشو به أرنباً. فيمكنك أن تتزوج أنت أيضاً على هذه الطريقة يا سيدي،

وإلا أستودعك الله، فإن معلمي طلب مني أن أوافي الكاتب الذي سيعقد قرانك الحقيقي، وسنكون بانتظار وصولك مع مرافقيك (يخرج).
لوسنتيو : أنا أرغب في تنفيذ هذه الخطة شرط أن توافق العروس عليها، لا شك في أنها ستغتبط بذلك، فليتمم ما قدّره الله لنا. سأقابلها وأطلب منها أن تلحق بي، والويل لكمبيو إذا وافاني بدون أن تكون هي بصحبته (يخرج).

المشهد الخامس

في الطريق

(يدخل بتروسيو وكاترينا وهورتنسيو)

بتروسيو : الى الأمام. بربّكم الى الأمام. ولنواصل طريقنا الى بيت أبي. يا إلهي، ما أجمل هذا القمر الساطع في كبد السماء !
كاترينا : أين القمر ؟ هذه هي الشمس المشرقة، إذ لم يبقَ من أثر لضوء القمر في هذه الساعة.
بتروسيو : أنا أقول ان القمر هو الذي يسطع هكذا بنوره البهي.
كاترينا : لا بل هي الشمس التي تسطع.
بتروسيو : لعمري، أنا لا فرق عندي إن كان القمر أو أي كوكب آخر هو الذي يرسل نوره أثناء مواصلتي السير للوصول الى بيت أبيك، هيا أعيدوا لنا جيادنا، اني لا ألاقي إلا المشاكسة دائماً.
هورتنسيو (بصوت خافت لكاترينا) : أبلغيني ما يقوله هو، وإلا لن نذهب أبداً.
كاترينا : أستحلفكم بأعز ما لديكم أن تتابعوا سيركم، وبما أننا قطعنا شوطاً بعيداً فلا فرق عندي أنا أيضاً إن أضاء القمر أو أنارت الشمس، سمّوها كما

يحلو لكم، وإذا شئتم أن تدعوها سراجاً، لا بأس عندي، شرط أن أرى دربي.

بتروسيو : أنا أؤكد أنه القمر.

كاترينا : وأنا أقول ذلك.

بتروسيو : إذاً أنت تكذبين. فهذه هي الشمس.

كاترينا : تبارك الله بشمسه هذه النيِّرة. عندما تؤكد انها الشمس، تكون الشمس حقاً، وستنقلب قمراً على هواك، وإذا كان هذا ما تشاء، فأنا كاترينا أريد الشيء ذاته تماماً، على الدوام.

هورتنسيو : يا بتروسيو، أكمل طريقك فالبريّة ملك يديك.

بتروسيو : الى الأمام، الى الأمام. وهكذا تتسارع الأمور في تقدمها بدون أن تتعرض لخطر الاصطدام بأية عقبة، ولكن تمهل. من الآتي إلى هنا ؟

(يدخل فنسنتيو بثياب السفر)

بتروسيو (لفنسنتيو) : نهارك سيعد أيتها السيدة الظريفة، إلى أين أنت ذاهبة ؟ قولي لي يا كاترينا الحلوة، قولي لي بصراحة هل رأيت امرأة بهذه النضارة ؟ ما هذه البشرة الناعمة البيضاء ؟ وما هذا الورد في وجنتيها ؟ وهل في كبد السماء ماستان تلمعان بمثل بريق عينيها في محياها الملائكي ؟ أيتها الحسناء الحبيبة، مرة أخرى أتمنى لك نهاراً سعيداً. عانقيها يا عزيزتي كاترينا أكراماً لجمالها.

هورتنسيو : انه سيسبب الجنون لهذا الرجل الذي يصرّ على أن يعتبره امرأة.

كاترينا : أيتها الصبية العذراء الشبيهة ببرعم الورد، الى أين أنت ذاهبة ؟ أين تسكنين ؟ ما أسعد الأهل الذين أنجبوا ابنة بمثل جِمالك ! وما أسعد الرجل الذي يمنّ عليه حظه الميمون بحسناء نظيرك تكون له أحن رفيقة في السرير !

بتروسيو : ما قولك يا كاتي ؟ أرجو أن لا تكوني قد فقدت عقلك. إن من ترينه هنا هو عجوز مجعَّد الوجه ذابل العينين، وليس صبية عذراء، كما تتوهمين.

كاترينا : كوالدي المتقدم في السن، سامح انخداع نظري الذي بهرته الشمس

المتوهجة حتى بت أرى كل شيء بلون أخضر زاهٍ. الآن فهمت أنك شيخ وقور، أرجوك أن تصفح عن خطأي الفاضح.

بتروسيو : أجل. العفو يا جدّي العجوز، قل لنا أي طريق تريد أن تسلك حتى ننعم برفقتك، ان كان سبيلك هو سبيلنا.

فنسنتيو : يا سيدي الكريم، وأنت يا سيدتي الجميلة الجليلة، الحميدة الخصال أنا أدعى فنسنتيو، وأقطن مدينة بيزا، وأنا ذاهب الى بادوا لأرى ولدي الذي فارقته منذ زمن طويل.

بتروسيو : ما اسمه ؟

فنسنتيو : لوسنتيو، يا سيدي.

بتروسيو : صدفة سعيدة، ولا سيما لولدك. أعلم جيداً يا صاح، أن الشرع وكذلك هيبة عمرك يسمحان لي بأن أدعوك أبي المحبوب. إن شقيقة زوجتي، أخت هذه السيدة الكريمة، الماثلة أمامك، تتزوج ابنك في هذه اللحظة. فلا تتعجب ولا تستغرب، هي طيبة السمعة، وافرة البائنة شريفة المنبت موهوبة تتمتع بأخلاق عالية وتستحق أن تصبح قرينة أنبل الذوات، هلما نتعانق أيها الشيخ الوقور فنسنتيو، ولنتابع معاً طريقنا إلى ولدك الكريم الذي سيبتهج حتماً بلقائك.

فنسنتيو : هل هذا صحيح ؟ أو أنك تتلهى بي أثناء سفرك كالهارب من الهم فتهزأ بمن تصادفه على دربك من الناس المسالمين ؟

هورتنسيو : معاذ الله. أؤكد لك أيها الشيخ الجليل بأن هذه هي الحقيقة الأكيدة.

بتروسيو : تعالَ معنا إذاً لتثبت لك صحة الواقع، اننا نلاحظ أن خبرتك السابقة جعلتك حذراً. (يخرج بتروسيو وتتبعه كاترينا ثم فنسنتيو).

هورتنسيو : بكل تأكيد يا بتروسيو، هذا يشجعني، وها أنا مسرع إلى أرملتي مهما كانت خشنة الطباع، فقد علّمتني أنت أن أكون حازماً. (يخرج).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في بادوَا ــ أمام بيت لوسنتيو

(جيراميو يتمشى في مقدمة المسرح. يصل من صدر الطرف الآخر بيوندالو وبيانكا بدون أن يراهم جيراميو)

بيوندالو : تمهل وتنقّل بخطوات خفيفة لأن كاتب العقد ينتظرك.

لوسنتيو : أكاد أطير فرحاً يا بيوندالو، ان لم يكن أحد بحاجة إليك في البيت، دعنا نفترق هنا.

بيوندالو : كلا، أريد أن أكون على يقين من تحقيق زواجك، ثم أعود الى معلمي على عجل (يخرجان).

جيراميو : أنا أتساءل كيف لم يصل كمبيو بعد.

(يدخل بتروسيو تتبعه كاترينا وفنسنتيو ووراءهم جماعتهم)

بتروسيو (لفنسنتيو) : هاك الباب، يا سيدي. فهذا منزل لوسنتيو، أما بيت أبي فهو أبعد قليلاً، بجانب الساحة العامة، وعليّ أن أمضي الى هناك، وأن أتركك هنا يا سيدي.

فنسنتيو : أملي أن لا ترفض شرب كأس معي قبل ذهابك. أعتقد اني استطيع

أن أؤمّن لك هنا استقبالاً لائقاً، وأنا واثق بأننا سنتناول أطعمة لذيذة. (يطرق الباب).

جيراميو : هم منشغلون في الداخل. فالأولى أن تطرق الباب بقوة. (يطرق فنسنتيو طرقات متكررة).

المربّي : من يطرق الباب هكذا كأنه يريد أن يحطمه ؟

فنسنتيو : هل السنيور لوسنتيو في بيته، يا سيدي ؟

المربّي : أجل هو في بيته يا سيدي، ولكن، من يودّ أن يكلّمه ؟

فنسنتيو : كيف تستقبل رجلاً يأتيه بمئة أو مئتي دينار لأجل مسألة تافهة ؟

المربّي : احتفظ بدنانيرك المئة لنفسك. فلن يحتاج اليها ما دمت أنا في الوجود.

بتروسيو (لفنسنتيو) : أتذكر أني كنت أقول لك أن ابنك محبوب للغاية في بادوَا ؟ هل سمعت يا سيدي ؟ (للمربِّي) فلكي نضع حداً لهذا الحديث غير المجدي، أرجوك أن تبلغ السنيور لوسنتيو أن أباه وصل من بيزا، وإنه ينتظره في الباب ليكلمه.

المربّي : هذا غير صحيح، لأن والده الآتي من بيزا هو الذي ينظر اليك من هذه النافذة.

فنسنتيو : أأنت والده ؟

المربّي : نعم يا سيدي. إذا صدق قول والدته.

بتروسيو (لفنسنتيو) : ما معنى كل هذا، يا سادتي ؟ ان انتحال اسم الغير هو عين الغش والخداع.

المربّي : اقبضوا على هذا الدجّال الذي أتهمه بأنه، بانتحاله إسمي، يريد أن ينصب على أحد أهالي هذه المدينة (يعود بيوندالو).

بيوندالو : لقد رأيتهما معاً قبل أن يصلا الى هنا. سدَّد الله خطاهما الى محجَّة الصواب. ولكن ماذا أرى ؟ معلمي الشيخ فنسنتيو ؟ لقد هلكت وآل مصيري الى العدم.

فنسنتيو (يلمح بيوندالو) : تعالَ إلى هنا يا وجه النحس.

بيوندالو : يمكنني أن أفترض ما أشاء.

فنسنتيو : اقترب يا محتال، أونسيتني ؟
بيوندالو : أنساك أنا ؟ أبداً يا سيدي، لا يسعني أن أنساك طوال عمري.
فنسنتيو : كيف، يا وجه الشؤم، لم تر أبداً فنسنتيو والد معلمك ؟
بيوندالو : أجل، هذا معلمي الشيخ المحترم ها هوذا هنا يطل من النافذة.
فنسنتيو (وهو يضربه) : حقاً ؟
بيوندالو : النجدة، النجدة ! متهوّس هائج ينوي أن يقتلني (يهرب).
المربّي : النجدة، يا بني النجدة ! يا سنيور باتيستا (يتراجع عن النافذة).
بتروسيو : أرجوكِ يا كاترينا، أن تقفي معي جانباً لنرى خاتمة هذه المهزلة (ينسحبون).

(يظهر المربي ويتبعه باتيستا وترانيو وعدة وصفاء)

ترانيو : من أنت يا سيدي حتى تجرؤ وتضرب الناس ؟
فنسنتيو : أتسأل من أنا ؟ بل من أنت يا سيدي ؟ آه ! يا إلهي ارحمني ! يا لخراب بيتي ! بينما أنا أقتصد في نفقاتي، أرى ابني وخادمه يبددون ثروتي برمتها.
ترانيو : ماذا تقول ؟
باتيستا : هل هذا الرجل مجنون !
ترانيو : يا سيدي، يبدو عليك إنك شيخ وقور وجدير بالاحترام، ولكن كلامك يشبه الهذيان. ماذا يهمك من كل هذا ؟ إن كنت أملك لآلىء أو ذهباً، فالفضل يعود إلى والدي الذي يزودني بما يتيح لي اقتناء ما أشتهي.
فنسنتيو : والدك ! آه منك أيها الشقي، هو صانع أشرعة في بركامو.
باتيستا : أنت على ضلال يا سيدي، على ضلال ظاهر، أرجوك أن تقول لي هل تعرف اسمه ؟
فنسنتيو : تسألني عن اسمه، كما لو كنت لا أعرفه، أنا ربيته منذ نعومة أظفاره، اسمه ترانيو.
المربّي : تباً لك من حمار خامل، إن اسمه لوسنتيو، وهو ابني الوحيد، ووريث أملاكي، أنا السنيور فنسنتيو.

فنسنتيو : لوسنتيو اغتال معلمه وانتحل اسمه ؟ امسكو به، أستحلفكم بكل عزيز لديكم. ولدي ولدي. قل لي يا دجال، أين ولدي لوسنتيو ؟
ترانيو : نادوا الحارس.

(يدخل وصيف يتبعه حارس)

خذوا هذا المحتال اللعين إلى السجن، يا باتيستا أرجوك أن تسعى لاحضاره.
فنسنتيو : تأخذونني إلى السجن أنا ؟
جيراميو : قف أيها الحارس، لن يذهب هذا الرجل إلى السجن.
باتيستا : لا داعي لتدخلك، يا سنيور جيراميو، أنا أؤكد أنه سيذهب إلى السجن.
جيراميو : احذر يا سنيور باتيستا أن تكون مخدوعاً في هذه القضية. أنا أحلف بأن هذا هو فنسنتيو الحقيقي الأصيل (يشير الى فنسنتيو).
المربّي : أقسم يميناً مغلظة بأنك لا تجسر.
جيراميو : كلا، أنا لا أجسر أن أقسم.
ترانيو : إذاً يجمل بك أن تعترف بأني لست لوسنتيو.
جيراميو : وإذا فعلت، أقر بأنك السنيور لوسنتيو.
باتيستا : اذهب أيها المهرج الى السجن فوراً.
فنسنتيو : أهكذا يقابل الغرباء عندكم بأسوأ معاملة ؟ بئس هذا الدور البغيض !

(يعود بيوندالو، بصحبة لوسنتيو ومعه بيانكا)

بيوندالو : لقد هلكنا، ها هو ذا، أنبذوه ولا تؤيدوه، فقد خيب أملنا جميعاً.
لوسنتيو (ينطرح عند أقدام فنسنتيو) : سامحني يا والدي الكريم.
فنسنتيو : ابني الحبيب، أنت إذاً حيّ. (يهرب بيوندالو وترانيو والمربي).
بيانكا (تركع أمام باتيستا) : سامحني يا أبتاه.
بيانكا : ما هو ذنبك ! أين لوسنتيو.
لوسنتيو : أنا لوسنتيو ابن فنسنتيو الحقيقي، وقد تزوجت ابنتك، بينما من انتحل اسمي كان يخدعك.
جيراميو : هذه مؤامرة جازت علينا كلنا.

فنسنتيو : أين المحتال ترانيو الذي تجاسر وخدعني.
باتيستا (لبيانكا) : أصدقيني، أوليس هذا كمبيو ؟
بيانكا : أجل، لقد تحول كمبيو إلى لوسنتيو.
لوسنتيو : هو الحب الذي حمل هؤلاء على اللجوء الى هذه الحيلة، إن حبي لبيانكا دفعني إلى تغيير شخصيتي، وحدا بي إلى جعل ترانيو ينتحل اسمي في المدينة. وأخيراً أنا سعيد ببلوغ مرادي وتحقيق أمنيتي الغالية. وما فعله كريميو، أنا طلبته منه. فسامحه يا ابي العزيز اكراماً لي.
فنسنتيو : سأحطم رأس الغبي الذي أراد أن يزجني في السجن.
باتيستا (للوسنتيو) : ولكن قل لي يا سيدي، هل كنت تنوي أن تتزوج ابنتي بدون الحصول على موافقتي ؟
فنسنتيو : معاذ الله، ثق يا باتيستا بأنني أصر على نيل رضاك، فلا تحنق، إنما لن أتراجع عن الانتقام من هذا الخدّاع.
باتيستا : وأنا سأكتشف تفاصيل هذه اللعبة (يتبع فنسنتيو).
لوسنتيو : لا تكوني هكذا شاحبة اللون يا بيانكا، فوالدك لن يغضب أبداً
(يدخل لوسنتيو تتبعه بيانكا إلى البيت).
جيراميو : لقد خاب أملي وخسرت كل شيء، ما عدا مكاني في الوليمة.
(يدخل الى بيت لوسنتيو).
(يعود بتروسيو ومعه كاترينا إلى مقدمة المسرح).
كاترينا : تعالَ يا زوجي الحبيب لنتبعهم ونطّلع على حل هذه الأحجية.
بتروسيو : أنا موافق يا كاتي، فقبليني أولاً.
كاترينا : أفي منتصف الشارع !
بتروسيو : وهل تستحين بي ؟
كاترينا : معاذ الله، يا عزيزي أن أستحي من تقبيلك.
بتروسيو : إذاً لنعد إلى بيتنا (لوصيف) هيا نذهب يا غبي.
كاترينا : كلا، سأمنحك قبلة. فأرجوك أن تبقى هنا يا عزيزي (تقبله)
بتروسيو : ألا تجدين القبلة لذيذة يا فاتنتي كاتي ؟ خير لي أن أحصل عليها متأخرة من أن لا أحصل عليها أبداً، وها قد حان أوانها. (يدخلان الى بيت لوسنتيو).

المشهد الثاني

قاعة طعام في بيت لوسنتيو، وعلى المائدة حلويات

(يدخل باتيستا وفنستيو وجيراميو والمربي ولوسنتيو وبيانكا وبتروسيو، وكاترينا وهورتنسيو والأرملة التي تزوجها، وترانيو وبيوندالو وكريميو وسواهم من الخدم).

لوسنتيو : أخيراً، بعد خلافنا الطويل، ها نحن على أتم الوفاق. ولقد حان أوان الهزء بالمخاطرة التي ذللناها والمخاوف التي تخطيناها بعد انتهاء معركتنا الحامية يا حلوتي بيانكا، هنّئي والدي، كما أهنئك أنا. ويا أخي بتروسيو وأختي كاترينا، وأنت يا هورتنسيو إنعم بقرب أرملتك اللطيفة. قبلوا بعضكم بعضاً، أنا أرحب بكم جميعاً في بيتي. وهذه الحلوى تفتح شهيتنا قبل المأدبة الفاخرة التي نشترك فيها، أرجوكم أن تجلسوا إلى المائدة هذه المرة لتتحادثوا وأنتم تأكلون (يجلس الجميع).

بتروسيو : ما أروع هذه الوليمة. فلنأكل فقط، أجل لنأكل بدون نقاش.

باتيستا : إن مدينة بادوَا تشتهر بكل هذه الحلويات، يا ابني بتروسيو.

بتروسيو : وهل في بادوَا غير الحلوة ؟

هورتنسيو : أود أن يكون كلامنا صادقاً.

بتروسيو : أعتقد بأن هورتنسيو يخاف أرملته ؟

الأرملة : وهل أنا مخيفة ؟

بتروسيو : أنتِ كلك لطف وذوق، إنما اختيارك يبدو مشبوهاً، أقصد أن هورتنسيو يحسب لك ألف حساب.

الأرملة : من طاش صوابه يظن أن الدنيا تدور به.

بتروسيو : ماذا تقصدين بقولك يا سيدتي ؟

كاترينا : هكذا، بفضله أتمكن من الفهم والأدراك.

بتروسيو : تفهمين بفضلي أنا ؟ ما رأي هورتنسيو بذلك ؟

هورتنسيو : أرملتي تفيد بأنها تعي ما تعني.

بتروسيو : تفسيرك يدل على براعة، فقبّليه على فصاحته أيتها الأرملة المرحة.
كاترينا : تقولين أن من طاش صوابه يظن أن الدنيا تدور به، فأرجوك أن تفسري لي ما تقصدينه بهذه العبارة.
الأرملة : إن زوجك الذي بليَ بامرأة صعبة المراس يقيس بشقائه ما عاناه زوجي من أحزان مريرة، وعليكِ أن تحذري بماذا أفكّر.
كاترينا : أجد تفكيرك سقيما.
الأرملة : هذا صحيح كنت أفكر فيك.
كاترينا : أنا إذاً، حسب قولك، مسكينة بائسة.
بتروسيو : تباً لكاتي.
هورتنسيو : بل تباً لأرملتي.
بتروسيو : أراهن بمئة دينار على أن كاتي ستفحمها.
هورتنسيو : هذا هو رأيي أيضاً.
بتروسيو : هذا كلام رجل مخلص جريء. جاء دورك يا بني (يشرب نخب هورتنسيو).
باتيستا : وما هو رأي جيراميو بهذا الهجوم الفكري !
جيراميو : هم يجأرون عالياً يا سيدي لكي لا يسمع أحد صوتاً غير صوتهم.
بيانكا : إن صاحب الذهن اليقظ يدرك أن المرء لكي يجأر لا بدّ له من أن يكونَ ذا قرنين.
فنسنتيو : عجباً يا سيدتي المخطوبة. هل أيقظك هذا الحوار.
بيانكا : أجل، ولكنه لا يقلقني. لذلك سأعود إلى النوم.
بتروسيو : أمن أجل هذا ؟ كلا. بما أنك غامرت سأرميك بسهامي.
بيانكا : هل تظنني عصفوراً، سأغير مأواي. وحينئذ ترشقني بنبالك، كما تشاء بدون أن تصيبني. تحياتي للجميع. (تخرج بيانكا وكاترينا والأرملة).
بتروسيو : شكراً على تنبيهك. سنيور ترانيو، هاك العصفور الذي قصدت أن ترميه. وأنا أشرب نخب جميع القناصين الفاشلين.
ترانيو : يا سيدي، لوسنتيو أطلقني نظير كلب الصيد الذي يركض وراء الطريدة فيلتقطها ويقدّمها لصاحبه.

بتروسيو : تشبيه مناسب، لكنه مبتذل كالدودة الحقيرة.
ترانيو : أحسنت صنعاً يا سيدي بأن تصطاد بنفسك. إنما يقال مع ذلك أن الغزال الهارب ينهك قوى من يلاحقه.
باتيستا : وا أسفاه يا بتروسيو؛ أصبح ترانيو يستهدفك الآن.
لوسنتيو : شكراً على هذه المداعبة يا ترانيو.
هورتنسيو : أعترف، أعترف بأنه أصابك في الصميم.
بتروسيو : أقرّ بأنه ألحق بي خدشاً طفيفاً، ولكن بما أن الخدش أصابني في الواقع، فإني أراهن بعشرة مقابل واحد على أنه أصابكما أنتما الاثنين أيضاً.
باتيستا : هذا إذا تكلمنا جدياً، يا بني بتروسيو. أظنك حصلت على أعند امرأة في الدنيا.
بتروسيو : هذا غير صحيح، وهاك حجتي. ليطلب كل واحد أمراً من زوجته، فإن من تكون امرأته أطوع من سواها وتلبي طلبه كما يجب يربح الرهان الذي سأدفعه.
هورتنسيو : أنا موافق. ولكن ما هو الرهان ؟
لوسنتيو : عشرون ريالاً.
بتروسيو : عشرون ريالا؛ هذا ما أغامر به على صقري أو كلبي. إنما على امرأتي سأربح عشرين مرة أكثر منه.
لوسنتيو : فلنجعله مائة ريال.
هورتنسيو : أنا موافق.
بتروسيو : تمت الصفقة إذاً.
لوسنتيو : أنا طبعاً. اذهب يا بيوندالو، وقل لمعلمتك أن تأتي إلى هنا.
بيوندالو : أنا ذاهب. (يخرج).
باتيستا (للوسنتيو) : يا صهري العزيز، أنا مغك خمسين في المئة، بأن بيانكا ستأتي.
لوسنتيو : أنا لا أريد شريكا، فإني أتمّ كل شيء وحدي.

(يرجع بيوندالو)

لوسنتيو : ما وراءك من الأخبار ؟
بيوندالو : يا سيدي، تقول معلمتي أنها مشغولة، وإنها لا تستطيع المجيء.
بتروسيو : كيف، هي مشغولة، لا تستطيع المجيء ؟ هل هذا جواب ؟
جيراميو : نعم هو جواب مهذب. ادعو الله يا سيدي لكي تتحفك زوجتك بجواب أسوأ.
بتروسيو : كنت آمل أن يكون ردّها إيجابياً.
هورتنسيو : يا صديقي بيوندالو، اذهب وتوسَّل إلى زوجتي كي توافيني حالاً.
(يخرج بيوندالو).
بتروسيو : أواه ! أتتوسَّل اليها ؟ لا بد لها من أن تجيء.
هورتنسيو : أخشى يا سيدي مهما فعلت أنت، أن لا تستجيب الى توسّلك.

(يرجع بيوندالو)

هورتنسيو : أين زوجتي ؟
بيوندالو : أنها تقول لك أن تلازم الهدوء. فهي لا تريد أن تأتي اليك بل تسألك أن تذهب أنت لمقابلتها.
بتروسيو : وهل يوجد أسوأ من هذا الردّ ؟ هي لا تريد أن تأتي، وهذا فظيع غير معقول ولا مقبول. أيها الغبي جيراميو، اذهب الى زوجتي وبلّغها أني آمرها بالمجيء إليّ حالاً. (يخرج جيراميو).
هورتنسيو : أنا أعرف جوابها سلفاً.
بتروسيو : ما هو ؟
هورتنسيو : أنها لا تريد أن تأتي.
بتروسيو : يا لسوء حظي ! هل هذا ردّها النهائي ؟

(تدخل كاترينا)

باتيستا : ها هي ذا كاترينا.
كاترينا : ماذا تريد مني حتى أرسلت في طلبي ؟
بتروسيو : أين شقيقتك ؟ وأين زوجة بتروسيو ؟
كاترينا : هما تتحادثان في القاعة جالستين بقرب النار.
بتروسيو : اذهبي واجلبيهما معاً. وإذا رفضتا الحضور معك، ارسليهما كل

واحدة الى زوجها ولو بالقوة. اخرجي وعودي بهما سريعاً. (تخرج كاترينا).

لوسنتيو : إذا تكلمت عن العجائب، اعتبر هذه واحدة منها. وبماذا يمكن أن يتنبأ هذا العبقري ؟

بتروسيو : هذا النبأ يبشر بالسلامة والمحبة والحياة الرغيدة والتصرفات اللائقة والتفوّق المشكور، وبكلمة يدعو إلى البهجة والارتياح.

باتيستا : ليكن الهناء مشتركاً بيننا يا بتروسيو الكريم. أنت ربحت الرهان. وأنا أودّ أن أزيد لمن خسر عشرين ألف ريال كبائنة إضافية، أجدني مديناً بها لابنتي المتطورة التي تغيّرت كثيراً الى درجة أنها اصبحت امرأة أخرى.

بتروسيو : أنا أريد أن أقبض رهاني. وفي الوقت ذاته أقدّم لك برهانا ساطعاً على طاعتها وعلى فضيلتها الحديثة العهد.

لوسنتيو : ها هيذا تعود برفقة زوجتك تختال عجباً بأنوثتها الساحرة. كاترينا، هذه القبعة لا تلائمك. فتباً لها من خرقة مشعثة ! اطرحيها أرضاً عند قدميك. (تنزع كاترينا قبعتها وترميها أرضاً).

الأرملة : ربّاه ! هل قدّر لي أن يسحقني الحزن يوم اضطرتني الظروف الى الاستسلام متذلّلة.

بيانكا : تباً لك. كيف تكافئين الطاعة العمياء هكذا ؟

لوسنتيو : أنا أودّ أن تكون طاعتك مثالية كهذه يا بيانكا الوديعة. فقد كلفني نبذك الطاعة مئة ريال : ولا سيما بعد العشاء.

بيانكا : أنت مغفل. كيف تراهن على طاعتي !

بتروسيو : أنا أطلب منك أن تسألي هؤلاء النساء المتمردات، ما هي واجبات المرأة نحو زوجها ؟

الأرملة : كفاكم سخرية بنا أيها الرجال. نحن لا نقبل أن نتلقّى أي درس منكم.

بتروسيو (يشير الى الأرملة) : تكلمي من فضلك، ووجّهي قولك إليها أولاً.

الأرملة : لن تنال شيئاً.

بتروسيو : أكرر طلبي : وجّهي قولك إليها أولاً.

كاترينا : تباً لك أيتها الأرملة. ابدلي عبوسك بقليل من البشاشة، ولا ترشقيني بهذه النظرات الساخطة المزرية التي تجرح فؤاد مولاك وملكك وولّي نعمتك. ان مظهرك الكئيب يذوي جمالك، كما يجفف الجليد العشب الأخضر، ويشوّه سمعتك كما تتلف العاصفة أجمل البراعم. فمهما كنت عطشى لن تتنازلي الى بلّ شفتيك بنقطة ماء. لا تنسي أن زوجك هو مولاك وحياتك وحارسك ومليكك وولّي أمرك الذي يهتم بك وبحاجاتك، والذي يفرض الأشغال الشاقة على جسمك وروحك أينما كنت، ويسهر عليك أثناء النهار حين تهبّ العاصفة وأثناء الليل عندما يشتدّ البرد، بينما أنت تغطين في النوم دافئة في سريرك بكل طمأنينة وأمان. هو لا يرجو منك أية مكافأة غير الوفاء وابتسام ثغرك وسرعة الطاعة التي تعتبر دفعة صغيرة على حساب دينه الوافر المتوجب عليك. إن الطاعة المفروضة على الرعية تجاه الحاكم هي عادلة نظير الطاعة المتحتمة على كل امرأة نحو زوجها. وعندما تكون الزوجة عنيدة خشنة الطباع مشاكسة مزعجة لا تطيع أوامر رجلها المشروعة تعد متمردة عاصية تجاه مولاها الأمين، وخائنة بحقه لا تكنّ له أيّ حبّ أو تقدير. أنا أخجل من رؤية المرأة الخسيسة التي تشنّ الحرب على من يجب أن تدعو له بالأمان والسلامة، جاثية على ركبتيها. كما أخجل من التي تطالب بالسلطة والتفوّق والتحكم بمن يجب عليها أن تخدمه وتحبه وتطيعه. لماذا يا ترى نلاحظ أن جسم حواء نحيل ضعيف غير مهيأ للتعب والمشاكل في هذه الدنيا، إن لم يكن للإتاحة لذوقها وعواطفها الرقيقة أن تنسجم مع طبيعتها اللطيفة الطيِّبة الناعمة لأجل رفاهية رجلها الذي تحبه. تباً لي من حشرة حقيرة ماكرة. لقد ظننت أنني تحلّيت بحيوية خيّرة وقلب طموح وحجة مقنعة، ربما لمقارعة الكلام بالكلام وللمحاورة والمناقشة. أما الآن فألاحظ أن رمحي ليس إلا قصبة مرضوضة، وإن قوّتي ضعف، وضعفي لا يوصف وإني في الواقع دون ما أتظاهر به من الجبروت. فلأكن إذاً أقل كبرياء لأنها لا تفيدني، ولأضع ثقتي بمقدرة زوجي الذي ما عليه من الآن وصاعداً إلا أن يطلب لألبّيه ويسأل

لأستجيب وبرهاناً على طاعتي واستسلامي، ها هي يدي جاهزة أمدّها اليه قانعة إذا كان هذا يرضيه.

بتروسيو : هيا أيتها الفتاة الحبيبة كاتي، تعالي وعانقيني.

لوسنتيو : هنيئاً لك. لقد فزت أخيراً يا صديقي العزيز. وأصبحت لك الكلمة الأخيرة.

فنسنتيو : ما أعذب الانقياد للرجل بوداعة وإيمان !

لوسنتيو : وما أقسى استبداد الزوجة بعجرفة وتمرد !

بتروسيو : هلمي يا كاتي الى السرير. ها نحن ثلاثة رجال متزوجين انما شخصان فقط، أنا وأنت، تسنى لنا الانسجام التام. (للوسنتيو) ومع أني قد ربحت الرهان، أراك باقترانك ببيانكا قد غنمت الكثير الكثير (لبيانكا) بصفتك فائزة مثلي، أتمنى لك ليلة سعيدة. (يخرج بتروسيو وتتبعه كاترينا).

هورتنسيو : أجل أيها الرابح الكبير، أكمل طريقك بعد أن روّضت أعنف الشرسات.

لوسنتيو : اسمح لي أن أعرب لك عن دهشتي من استسلامها إليك ومن نجاحك في ترويضها غير المأمول. (يخرجان).

﴿ تمّت ﴾

العبرة في النهاية

تعريب

أ. ر. مشاطي

أشخاص المسرحية

ملك فرنسا
دوق فلورنسا
برتران: كونت روسيّون
لافو: سيد عجوز
بارول: صديق برتران.
المهرّج
سادة فرنسيّون في خدمة دوق فلورنسا.
وكيل الصرف.
غلام.
رجال حاشية.
ضباط
جنود
كونتيس روسيّون: والدة برتران.
هيلانة: مرافقة الكونتيس.
ارملة عجوز من فلورنسا
ديانا: ابنة الأرملة
فيولنْتا: } صديقتا الارملة.
قريانا: }
تجري الأحداث تارة في فرنسا وطوراً في توسكانا.

الفصل الاول

المشهد الاول
في قصر كونت روسيّون.

(يدخل برتران وكونتيس روسيّون وهيلانة ولافو. جميعهم يرتدون ثياب الحداد.)

الكونتيس : بمفارقتي ولدي الحبيب ادفن زوجاً عزيزاً ثانياً.
برتران : وانا برحيلي يا سيدتي الوالدة، ابكي مجدداً موت ابي، غير اني مضطر الى الخضوع لأوامر السيد الجليل الذي أجدني من اتباعه وتحت رعايته.
لافو : ستلاقين في الملك زوجاً يا سيدتي، وانت يا سيدي ستجد اباً احاط الجميع دوماً بافضاله، ولا بد من ان يحفظ لكما ايضاً كل عطف وتقدير يجدر بكما ان لا تحرما نفسيكما منهما.
الكونتيس : هل من أمل في شفاء الملك؟
لافو : لقد صرف اطباءَه يا سيدتي، بعد أن استنفدت علاجاتهم كل امل في استرداد صحته ولو على المدى الطويل.
الكونتيس : (تشير الى هيلانة) كان لهذه السيدة الشابة والد يحزنني ذكر اسمه لأنه اتّصف بالشهامة والعلم الذي كان يضفي طول العمر على الطبيعة البشرية ويبعد الموت عن الناس. ولو كان على قيد الحياة، انا واثقة بأنه كان شفى الملك من مرضه العضال.

لافو : ما هو اسم الشخص الذي تتكلمين عنه يا سيدتي؟
الكونتيس : كان يدعى جيرار دي نربون، وكان رجلاً شهيراً في مهنته كطبيب يا مولاي.
لافو : اجل، في الحقيقة يا سيدتي، كان رجلاً متفوقاً: لان الملك تحدث عنه في وقت قريب باعجاب وأسف شديد على غيابه نظراً الى مهارته. وكم تمنى ان يكون حياً لأنه موقن بان العلم يتغلب على المرض.
برتران : ما هي العلة التي يشكو منها الملك يا مولاي؟
لافو : يشكو من جفاف في العروق يا سيدي.
برتران : هذه اول مرة اسمع فيها بهذا المرض.
لافو : المسألة ليست كثيرة التعقيد. هل هذه السيدة ابنة جيرار دي نربون؟
الكونتيس : أجل، ابنته الوحيدة يا مولاي. وقد اوكل امرها اليّ. وانا لي وطيد الأمل بأن تكون عند حسن ظني بتربيتها الممتازة، اذ ورثت خصالاً تزيد صفاتها الحميدة روعة، وتضيف الى مواهبها العديدة علو النفس وطيبة القلب. لأن المواهب اذا لم تقترن بالفضيلة تتحول الى نقائص مخزية. بينما اذا زيّنتها البراءة تزيدها وفاء ونبل اخلاق.
لافو : ثناؤك يا سيدتي يستدر دموع عرفانها بالجميل.
الكونتيس : هذا الماء المالح هو اول ما يمكن الفتاة ان تمزج به المديح الذي تلقاه. لأن ذكرى والدها لا تفارق ذهنها، فيستبدّ بها الحزن ويسبب لها شحوب خديها ويسرق منها زهو حياتها. كفى يا هيلانة، هيّا نذهب. يبدو عليك انك تستسلمين للكآبة بعكس ما ينبغي عليك.
هيلانة : اذا ظهرت على وجهي علامات الكدر فهذا يعني انه يعصر قلبي عصراً.
لافو : صدقيني، ان الحزن المعتدل دين علينا نحو الاموات، بينما الحزن الشديد هو عدّو الأحياء.
هيلانة : اذا قاوم الاحياء آلامهم بتصميم، لا يلبث تفاقمها ان يقضي عليهم بسرعة.
لافو : كيف يجب ان نفهم ذلك؟

برتران : انا ألتمس صلواتك، يا سيدتي.

الكونتيس : أباركك، يا برتران، واتمنى ان تكون خير خلف لابيك بفضائلك وافعالك وسلوكك في الحياة. لا بد لأصلك من ان يوازي علو اخلاقك، ولطيبة قلبك من ان تعادل رفيع محتدك. أحبب كل الناس يا ولدي، ولا تثق إلا بالنخبة منهم دون ان تسبب ضرراً لأحد تسلح لمجابهة عدوك بالتحذير لا بالعنف، واترك خصمك دوماً تحت رحمة مقتضيات مصالحك. دع الناس تأخذ عليك السكوت ولا تفسح لهم مجال لومك على كثرة الكلام. إلتمس من السماء ان تمطرك بنعمها وأن تجود عليك ببركاتها. الوداع. (للافو) هذا مولى حديث العهد فأرجو أن تزوده بنصائحك الصالحة.

لافو : يمكنك ان تتكل على اصدق اخلاصي له.

الكونتيس : بركة السماء تشملك، يا برتران، الوداع.

(تخرج)

برتران : (لهيلانة) اتمنى لك ان تتحقق جميع آمالك واحلامك. وان تكوني تعزية امي سيدتك التي آمل ان تحيطيها بأحنّ العناية والرعاية.

لافو : وداعاً ايتها السيدة الجميلة. لا تنسي ان تمجدي ذكرى والدك.

(يخرج برتران ولافو).

هيلانة : (وحدها) لو اقتصر الامر على ذلك فقط لما فكرت بأبي الذي تليق به احرّ دموعي إجلالاً لذكراه العزيزة. كيف كان! لست ادري تماماً لاني اكاد انسى صورته لان مخيلتي لم تحفظ إلا رسم برتران. لا ليس لوجودي من مبرر اذا ابتعد عني برتران. يحمل بي ان اعشق نجماً متلألئاً ولا افكر بالاقتران به لأنه ارفع مني نسباً بما لا يقاس. واذا وصلت اليّ انواره فأحسّ بانها اشعاعات بعيدة لا يصعب عليّ الارتقاء الى اجوائها. وها هو املي بحبه ينقلب عذاباً أليماً. لان النعجة التي تطمح الى مشاركة الاسد في حياته محكوم عليها بالموت المحتم مختنقة بهموم هواها. كانت ابهج امانيّ ان اشاهده في كل ساعة بقربي، وإن جرحتني سيوف لحظه الفاتن، ومهما حزّت في قلبي خصال شعره الذهبي وكواني شوقي الى التمتع برؤية قسمات وجهه الصبوح. اما الآن وقد غاب عن نظري، فان حسرتي

تكاد تخنقني ولهفتي عليه تخترق كالسهام صدري المنقبض. بالله عليكم، اين هو؟ ارشدوني الى مكانه.

(يدخل بارول)

هذا رجل من حاشيته، أحبه لأجله رغم اني اعرف جيداً انه كاذب حقير وغبي لئيم بكل معنى الكلمة وجبان خسيس. انما نقائصه هذه تلائم وضعه الى حد جعلها مقبولة. لان الفضيلة غريبة عن طبعه الفولاذي وإن ارتجف عطفه في وجه الرياح الشمالية الجليدية اذ غالباً ما يفوز غير المستحقين بامانيهم رغم حماقتهم وبلادتهم.

بارول : حماك الله ايتها الملكة الرائعة.

هيلانة : وانت ايضاً ايها الملك الوقور.

بارول : هل انا ملك؟

هيلانة : وهل انا ملكة؟

بارول : اراك تتأملين ربما بمسألة البتولية.

هيلانة : أجل، كما تفكز انت بامور الجندية. دعني اطرح عليك سؤالاً: يقال ان الرجل عدو البتولية. فكيف نستطيع ان نحتمي منه نحن النساء.

بارول : ابعدي عن دربه.

هيلانة : لكنه لا يكفّ عن مهاجمتنا. ومهما كانت المرأة جريئة وشجاعة في الدفاع عن نفسها تظل بتوليتها ضعيفة.

بارول : هذا غير صحيح، نظير ما ينسب الى الرجل انه متى وجد نفسه امامها يحتال عليها لينال منها وطره.

هيلانة : اطلب من السماء ان تحمي بتوليتنا من كل هجوم وانهيار. أوَليس هناك من طرق عسكرية لوقايتنا من الرجال والفوز عليهم؟

بارول : حين تُغلب البتولية على امرها تخور عزيمة الرجل. انما عندما تنفتح الثغرة التي تحدثها المرأة امامه، لا يلبث ان يعود الى الحصار والانتصار. ما دام لا سبيل في دولة الطبيعية البشرية لحماية البتولية، وما دام زوالها يمهد الى ازدهار الثروة الانسانية. ولن تُخلق اية عذراء اذا لم تنتزع هذه البتولية اولاً، والنسيج الذي تتكوّن منه الانوثة يشكل افضل حمىً للعذارى.

اذ حين تزول البتولية يعوض عنها بعشرة من العذارى بينما المحافظة عليها خسارة فادحة لا يعقبها اي كسب. صدقيني، هذه معركة بارعة تقتضي دراية ومهارة.

هيلانة : اود ان اتريّث قليلاً ولو اضطررت الى قضاء العمر كله عذراء.

بارول : لا مجال للتوقف طويلاً عند هذه النقطة لانها تخالف ناموس طبيعة البشر. مع العلم ان الاصرار على دوام البتولية اهانة لا تغتفر موجهة الى والدتك بالذات. اذ ليس اصعب من الموت كعذراء. اما البتولية التي تنتهك فلا بد من دفنها على الطرقات العامة بعيداً عن كل احترام وتكريم لانها تكون متهمة بارتكاب جناية يائسة بحق الطبيعة، ما دامت البتولية تولّد الدود نظير الجبنة التي تؤكل مع ذلك حتى آخرها، وتستهلك هكذا بسبب المبالغة في اشباع النهم. من جهة اخرى نرى البتولية كئيبة متعجرفة باطلة مفعمة بالكبرياء غارقة في احقر المعاصي ولو حمتها جميع الاسلحة. لا تتمسكي بها، لانها بعد عشرة اعوام تتضاءل عصمتها، وهذا ربح لا يستهان به يضاف الى رأس المال الذي يظل على حاله. فما عليك الا ان تجربي حظك.

هيلانة : ما العمل، يا مولاي، لكي أجود بها حسب تلميحك؟

بارول : لعمري، لا سبيل الى خيار أولى من الذي قرّ رأيك عليه. اذ لا بد من اختيار يدعمه التفضيل. فهذه سلعة تفقد رونقها اذا ظلت محفوظة في مستودعها. وكلما زاد الحرص عليها كلما نقصت قيمتها. فما عليك إلا ان تمنحيها من يقدّرها ويرغب في الحصول عليها. لان البتولية تبدو كالعاشق العجوز الذي يلبس ما لا يليق بعمره، بينما حبيبته ترفل في اجمل حللها التي ان طال بها الزمن بطل زيّها نظير الليمونة التي ترمى بعد عصرها أو حين يدركها الذبول والعفن. فما اجمل الفواكه النضرة وما اقبحها عندما تفقد رونقها، وما اشبهها بالبتولية المسنة التي بمرور الزمن وبدون تذوّقها تصبح دميمة المظهر كريهة الطعم لا تصلح عندئذ إلا للرمي في سلة النفايات. فما رأيك بذلك؟

هيلانة : انا لا ارغب الآن في التفريط ببتوليتي. هناك في البلاط يسعى سيدك ان ينتقي بين الف من صاحباته من تصبح اماً وصديقة ويدعوها عصفوره

الجميل وقائده وعدوه ودليله وملاكه وملكته ومرشدته وخائنته وحبيبـ زكم ياءه وحقارته ووضاعته المتجبرة ولحنه النشاز وانسجامه الرخيم. هناك الف اسم واسم جذاب مشوق يترنّم به اله الحب الأعمى كوبيد. حينئذ يصبح... لا ادري ماذا يصبح... كان الله في عونه. فالبلاط مدرسة مفيدة تزوّد الرجل بالخبرة والهمة.

بارول : قل لي، من اية فئة من الرجال هو؟

هيلانة : هو رجل اود له كل خير. لكن الشرّ...

بارول : اين الشر؟

هيلانة : ارجو ان لا تتبلور امانيك، حتى لا تتيح لنا الظروف نحن المسكينات ان نكيل لأخصامنا ما يشعرهم بفعالية سلبيّتنا، ونعبّر عما يخامرنا من افكار لا تستحق اي تقدير.

(يدخل احد الغلمان)

الغلام : يا سيدي بارول، مولاي يستدعيك.

(يخرج الغلام).

بارول : وداعاً يا هيلانة الرقيقة. اذا لم تخنّي ذاكرتي، سأفكر فيك عندما اكون في البلاط.

هيلانة : يا سيدي بارول، انت تحت رعاية اي برج عطوف ولدت؟

بارول : انا ولدت تحت رعاية برج إله الحرب.

هيلانة : هذا ما توقعته لك.

بارول : لماذا؟

هيلانة : لان الحرب قد انهك قواك، ولا بد من ان تكون تابعاً لهذا البرج.

بارول : في تحكّمه وسيطرته.

هيلانة : بل بالحري في حركته الرجعية.

بارول : ماذا يدعوك الى هذا الظن؟

هيلانة : مهارتك في التراجع.

بارول : للاستفادة من كل فرصة.

هيلانة : عندما نهرب يكون هذا لصالحنا، لا سيما اذا وجدنا سلامتنا في

التخوف والحذر. على كل حال، هذا المزيج من الشجاعة والفزع الذي تشعر به هو فضيلة مجنّحة ستخدمك زمناً طويلاً.

بارول : انا الآن مثقل بالمشاغل، ولا يسعني ان اردّ عليك بقارص الكلام، فأعود عاشقاً مكتملا، اذ ذاك تطمس دروسي كل علومك مهما استوعبت من نصائح خبير مثلي، وفهمت توجيهاتي. وإلا اضعت عمرك سدى في وجودٍ عقيم، وأطاح بك جهلك ورماك في شر المهالك. الوداع. عندما يتسنى لك وقت فراغ، عليك ان تتضرعي وتبتهلي. واذا لم تحصلي على مرادك، تذكري اصدقاءك وحاولي ان تلاقي بينهم زوجاً صالحاً تبادلينه نفس شعوره. وداعاً

(يخرج)

هيلانة : غالباً ما نحوي في اعماقنا الدواء الذي نلتمسه من السماء لشفاء علتنا. فالمصير الذي يخبئه لنا القدر يتركنا احراراً في اختيار مهنتنا. ولا تتأخر مشاريعنا إلا عندما نظل حيارى جامدين بدون حراك. لعمري، ما هي القدرة التي ترفع حبى هكذا عالياً، وتتيح لي ان اشبع نظري من بهاء طلعة حبيبي؟ كثيراً ما نرى ابعد الاشخاص عن الخطر، نظير اهل الهوى، يضمهم الشوق في عناق منسجم أصيل. فالامور الرائعة مستحيلة في منظار العرف العام على من يهاب الصعاب ويتصور الامر البعيد المنال لا سبيل للمرء الى الوصول اليه، مهما طال وجال. فمن هي التي بعد كل هذه الجهود لاثبات اهليتها، لم تنجح في ارضاء حبيبها! اما مرض الملك فقد يصعب في مشروعي على ما ارجوه له من شفاء عاجل، انما تصميمي لا رجوع عنه ابداً وانا واثقة كل الثقة بان التوفيق سيكون حليفي.

(تخرج).

المشهد الثاني

في باريس داخل القصر الملكي.

(تسمع موسيقى. يدخل ملك فرنسا بيده رسائل ويتبعه سادة ووجهاء في خدمته).

الملك : ها هم اهالي فلورنسا واهالي سيانا قد حاربو بإمكانيات متساوية، ولا يزالون يشنّون الى الآن حرباً ضروساً.

السيد الاول : هذا ما يتداوله الناس في قول، يا مولاي.

الملك : (وهو غير بعيد عن الواقع) ها قد بَلَغنا تثبيت هذا النبأ في رسالة من ابن عمي النمساوي الذي ينبهني الى قرب التماس اهالي فلورنسا منا العون السريع. وهذا الصديق العزيز يلبي طلباتهم وعلى ما يبدو ينتظر منا الرفض.

السيد الاول : لقد خبرت يا صاحب الجلالة مراراً اخلاصه وحكمته. وهذا يستحق من قبلك كل تقدير.

الملك : اجل، استجاب طلبي وسلمهم اسلحة. بينما رفضت فلورنسا قبلاً ان تقدم لك طلبك. على كل حال بين وجهائنا من يودّ أن يخدم في توسكانا. وهم يستطيعون ان ينحازوا الى اية جهة ترضي اهواءهم.

السيد الثاني : من هنا، علينا ان نستخلص درساً يستفيد منه نبلاؤنا الذين يماطلون في استغلال الرغبات والظروف.

الملك : من القادم إلينا؟ (يدخل برتران ولافو وبارول).

السيد الاول : يا مولاي الكريم، هوذا برتران الشاب كونت روسيّون.

الملك : (لبرتران) ايها الفتى انت تشبه اباك كل الشبه. فطبيعته الحرّة واخلاصه النزيه قد انتقلا الى شخصك بالوراثة. وأملي ان تستمدّ منه ايضاً جميع صفاته الحميدة، اهلاً بك في باريس.

برتران : اقدم لك جزيل شكري وولائي، يا مولاي.

الملك : ليتني املك تمام عافيتي كما كنت في عهد ابيك الذي ربطتني

به رفقة السلاح في ربيع عمرنا. وكنا في تلك الأيام اشجع الفرسان لا نهاب المنايا. لكن الشيخوخة داهمتني وانهكت عزيمتي. كم يسرني التحدث عن والدك! لاننا عندما كنا في عزّ صبانا كان جيمع رجال البلاط يحسدوننا ويمازحوننا وكنا لا نتورع عن التنكيت بدورنا. وكان والدك الشهم لا يفوته شيء من المروءة والمجد، لا سيما حين يتحداه احد المغرورين. فيثبت جدارته وتفوُّقه ويناقش عند اللزوم، ويلجأ الى سيفه اذا اقتضى الامر. وكان لشدة كرمه يحسن معاملة رجاله ويكرمهم ويفتخر بهم ولا يترك مجالاً لأي انتقاد او تطاول. هكذا كان ابوك وكما كنت انا، مثالاً للشرف، فربحنا ثقة الجميع وصداقتهم الخالصة. ولم يجرؤ احد حتى الآن على الخروج على هذا المنهج الخيّر.

برتران : يا مولاي، ارى ان ذكراه مطبوعة في ذهن سيادتك اكثر مما هي على صفحات التاريخ. وثناءك على بطولته لا يقلّ عما تتمتع به جلالتك من هيبة ووقار.

الملك : انا آسف لفراقنا، كما كان من عادته ان يقول، كأن صوته لا يزال يرن في اذني. ولم يكن يلقي كلامه جزافاً بل يتلفظ به بطريقة تجعل وقعه مأنوساً على الاذن حيث يرسخ وينمو ويثمر. وكم مرة سمعته يقول: اود أن أموت لاني لا احب ان اكون مصباحاً خالياً من الزيت لا اضيء للاجيال التي خبا ذكاؤها ولم تعد آمالها تتعدى اناقة الملابس وبهرجة المظاهر التي تتبدد قبل ان يتغيّر زيّ الثياب. هكذا كانت امانيه وآمالي انا ايضاً. لكني الآن، وقد ثقلت على كاهلي السنون، لم اعد اجني لا شمعاً ولا عسلاً من الأزهار لخلّيتي، وآن لي ان ارحل لأفسح المجال لغيري من العاملين.

السيد الثاني : انت محبوب يا مولاي، وحتى اخصامك سيتحسرون على غيابك بعد العمر الطويل.

الملك : انا اعرف اني لا املأ مكاني. ارجوك ايها الكونت ان تقول لي منذ كم سنة مات طبيب والدك، وهو في أوج الشهرة؟

برتران : منذ ستة اشهر يا مولاي.

الملك : لو كان على قيد الحياة لحاولت الاستفادة من خبرته. ارجوك ان

تمسك بيدي. اما معظم اطبائي فألاحظ انهم يستنفدون صحتي بتجريب علاجاتهم في جسمي المرهق، ومن الآن وصاعداً يستطيعون ان يحاولوا ويجربوا كما يشاؤون. اهلاً بك ايها الكونت، فانت بمقام ولدي.
برتران : أشكر جلالتك على هذه الثقة الغالية.
(يخرجان. وتصدح الموسيقى).

المشهد الثالث
في قصر كونت روسيّون.

تدخل الكونتيس ووكيل الصرف والمهرج.

الكونتيس : الآن كلي آذان صاغية لسماعك. ماذا قلت عن هذه السيدة الصبيّة؟
وكيل الصرف : اود ان تتذكري دائماً يا سيدتي، ما اسديت لك من خدمات جليلة، وان تضيفيها في سجلي الى اعمالي السابقة. لاننا بيدنا كثيراً ما نجرح كبرياءنا ونسوّد صفحة سلوكنا.
الكونتيس : (تلتفت الى المهرج) ماذا يصنع هذا اللعين هنا؟ اذهب ايها الغبي لأن ما قُدّم بحقك من الشكاوى لا. تصدق ولا تشرف. وانا ادرى الناس بصفاتك وبأفعالك التي لا ترفع الرَأس نظراً الى تصرفاتك الدنيئة.
المهرج : انت تعرفين جيداً يا سيدتي، اني رجل بائس مسكين.
الكونتيس : لا اجهل ذلك.
المهرج : ليس اذاً من صالحي يا سيدي كما هو معلوم، ان اكون فقيراً مع ان اغلب الأثرياء لا ينعمون بحال افضل من حالي. انما ان سمحت يا صاحبة السموّ سنسعى انا والمدعو ايزابو الى تحقيق امانينا.
الكونتيس : يسعك اذاً ان تصبح متسوّلاً.

المهرج : اجل، فقط لألتمس اذنك في معالجة هذه القضية.
الكونتيس : اية قضية؟
المهرج : قضيتي وقضية ايزابو. فالخدمة ليست وراثة، وانا على يقين باني لن انال ابداً رضى الله قبل ان انجب اولاداً لأن الاطفال بركة كما يقال.
الكونتيس : اخبرني، ما الداعي الى زواجك؟
المهرج : جسمي يفرضه علي يا سيدتي. فانا انقاد الى جسدي، وعلى المرء ان يسير الى حيث يجره ابليس.
الكونتيس : هل هذه هي كل اسبابك يا صديقي؟
المهرج : في الحقيقة يا سيدتي، لدي اسباب اخرى تقوية.
الكونتيس : هل من الممكن ان نعرفها؟
المهرج : كنت مثقلاً بالذنوب يا سيدتي، نظيرك ونظير جميع الناس المخلوقين من لحم ودم، وانا اود الزواج لأتوب.
الكونتيس : الزواج لا الشر.
المهرج : انا لا اصدقاء لي، وآمل ان اعوض عن هذا النقص بزوجة صالحة.
الكونتيس : امرك غريب، لأن هؤلاء الاصدقاء هم بالحري اعداء.
المهرج : انت تحكمين على الناس بدون تبصر في كنه الامور يا مولاتي. ثقي بان هؤلاء من اعزّ الاصدقاء المحبّين، ولانهم اغبياء يفعلون ما يضنيني من الاعمال. فمن يحرث ارضي يوفر التعب على بهائمي ويدعني اجني غلتي واذا خانني احد منهم استغلّه كأنه دابتي. ومن يسلّي زوجتي يوفر علي عناء ارضائها. ومن يؤمن لي كل هذه الحاجات يحبني ويكنّ لي صداقة خالصة. وهكذا من يعانق امرأتي يثبت انه من اغلى الاصحاب. ولو قنع الناس بما هم حاصلون عليه لما بقي من خوف في حقل الزواج. في الحقيقة ارى الشاب المرح يشرب والمتدين المتزمت يختلف عن سائر الاتقياء المتشابهين. ما داموا يستطيعون ان يشبكو قرونهم بقرون سائر اوعال القطيع.
الكونتيس : لن تقلع عن النميمة وسيظل لسانك لاذعاً كالسوط، يا لعين.
المهرج : انا لست نبياً يا سيدتي، انما أذيع الحقيقة من اقصر السبل (يتمتم):
دأبي ترديد انشودة

على كل لسان مسرودة
لان الزواج قسمة ونصيب
وحسد الناس امر عجيب.

الكونتيس : اخرج من هنا يا سيدي. اودّ ان اقول لك في الحال كلمتين.

وكيل الصرف : اتريدين يا سيدتي ان تطلبي منه استدعاء هيلانة، لانني اريد أن اكلمك عنها؟

الكونتيس : يا مغفل قل لمرافقتي هيلانة ان تأتي، لأني اريد ان اتحدث اليها.

المهرج : من تقصدين بهذا الاسم يا سيدتي
ذات الوجه الصبوح موضوع مودتي؟
كان إسمها سبباً في حرب طروادة
اذ احبها الفتى باريس بلا هوادة
وكانت فرحةِ الملك بريام
بما اصدره لاجلها من أحكام
اذ قدّر فيها الكرم والحنان
منذ أطلّ عليها حبيبها الولهان
وهي الصبية الصالحة بين عشرة
تطيب بجوار حسنها العِشرة.

الكونتيس : ماذا تقول يا غبي؟ انت تشوّه الانشودة. اهي حقاً صالحة بين عشرات النساء.

المهرج : بقولي هذا انا بالعكس ارفع شأن المغنية لانها فعلاً افضل الفتيات. وانا اتمنى نظيرها لجميع الشبان. اما انا فلن اتذمر إن حصلت على واحدة مثلها، إن كان الامر منوطاً بي. فواحدة من عشرة إن كانت حقاً صالحة يغمر وجودها اي رجل بالسعادة والهناء. لأنها كالشهاب تمر مسرعة في سمائه، وان اهتزت الأرض لانوثتها يكون نصيبها افضل الهبات. اذ من السهل على الرجل ان يقتلع قلبه من مكانه لكي يحظى بامرأة فاضلة تسعد ايامه.

الكونتيس : الا تريد ان تخرج يا مغفل، وان تنفذ حالاً ما أمرتك به؟

المهرج : مشيئة الله ان يطيع الرجل اوامر زوجته بدون ان يرتكب اي شر.

فالشرف عندي وان لم اكن متزمتاً يأبى عليّ ان آتي اي محظور. فهي تلبس ثوب التواضع الاسود وتخفي قلباً عطوفاً نقياً ناصع البياض. انا ذاهب لأنادي هيلانة كما ترغبين.

(يخرج المهرج).

الكونتيس : انا مصغية.

وكيل الصرف : انا اعرف يا سيدتي انك تحبين كثيراً مرافقتك هيلانة.

الكونتيس : اجل، لأن والدها اوصاني بها كوديعة غالية. ولو لم تكن موضوع هذه التوصية لكانت حازت مع ذلك على ما تستحقه من محبة ورعاية لان الجميع، نظراً الى كرم اخلاقها مستعدون لمنحها اكثر مما تطلب بسخاء ودون تحفظ.

وكيل الصرف : مكثت بقربها يا سيدتي منذ لحظة، مدة اطول مما هي تتمنى. وسمعتها تخاطب نفسها بهذه اللهجة بدون ان تظن طبعاً اني اسمعها تردد لنفسها هذه الافكار الغريبة بصوت عالٍ، وفهمت بصورة غير مباشرة انها تحب ولدك، اذ قالت : « شاء حظي ان يجعل بيني وبينه هذه الفوارق العائلية، والحب لا يخضع للنظام ولا يعترف بالنفوذ والجاه والمال ولا بتفاوت المستوى بين المحبّين. فديانا ليست خيرة العذارى، لأنها فوجئت واستسلمت بدون شرط ». هذا ما كانت تقوله بمرارة اليمة وبشكل لم يسبق لعذراء ان باحت به امامي. فظننت من واجبي ان اعلمك بالامر سريعاً لدرء اي خطر او شر يمكن ان يطرأ وانت راغبة في الاطلاع على ما يدور في خلدها.

الكونتيس : تصرفك لا اشرف منه. احفظ هذا في قلبك فان ظنونا عديدة كانت تساورني وكنت اتأرجح بين الشك واليقين. ارجوك ان تكتم هذا السر في اعماق صدرك، وانا اشكرك على غيرتك وشهامتك. سنتحدث في هذه القضية عن قريب. (يخرج وكيل الصرف). هكذا كان حالي عندما كنت صبية. وهذا امر طبيعي لان الشكوك لا ينفصل عن ورود الشباب في فورة العنفوان، بل هو ميزة الطبيعة الحقة المتحكمة بالهيام والشوق المتبادل المتجاوب بين حنايا الضلوع. ها هي تذكارات ماضي حياتي تعيد الى ذهني

نفس المشاهد والاخطاء، وهي ليست وقفاً عليّ وحدي. فان نظراتها التائهة تنبىء بما يعصف في قلبها من وجد وحنين.

(تدخل هيلانة)

هيلانة : ماذا تريدين يا مولاتي؟

الكونتيس : انت تعلمين يا هيلانة اني احبك كوالدتك.

هيلانة : اجل يا سيدتي الكريمة.

الكونتيس : بل انا بمقام امك. ولماذا لا اكون كوالدتك؟ لاحظت عليك بعض الارتعاش عندما كلمتك في هذا الموضوع، كأن افعى لدغتك. فلماذا تجعلك لفظة الام ترتجفين هكذا؟ اكرر عليك اني اعزك مثل امك واعتبرك كأنك ابنتي وقطعة من كبدي. وما اكثر الحالات التي يكون فيها الربيب اغلى من الولد الشرعي، وإن كان من صلب غريب. انت لم تسببي لي آلام مخاض الامومة وسهر الليالي، مع ذلك اكنّ لك حنو الوالدة. سامحني الله. هل من داع لاي تحفظ بين الام وابنتها؟ ماذا يستدر دموعك هكذا؟ ولحظك شبيه بالنرجس الزاهي الالوان. ايزعجك ان اعدّك كابنتي؟

هيلانة : لكني في الواقع لست ابنتك.

الكونتيس : انا اعتبر نفسي كوالدتك.

هيلانة : ارجوك يا سيدتي، ان لا تنسي ان كونت روسيّون لا يمكن ان يكون اخي. فانا من اصل وضيع وهو عريق النسب. اهلي ليسوا نبلاء، بينما جميع ذويه من الاشراف. هو سيدي العزيز، وانا خادمته المطيعة سأظل امينة على عهده، دون ان يكون شقيقي.

الكونتيس : ولا ان اكون انا امك.

هيلانة : انت بمقام والدتي يا سيدتي، انما لا سمح الله ان يكون سيدي ابنك شقيقي. ولا ان تكن انت امي الحقيقية. ولو كنت حقاً والدتنا نحن الاثنين، لما كانت سعادتي اعظم، تماماً كما لو كنت انا اخته. ليت هناك وسيلة لان اكون ابنتك بدون ان يكون هو اخي.

الكونتيس : هذا ممكن فقط، يا هيلانة، اذا اصبحت كنّتي. اسأل الله ان لا يبعد عنك قبول هذه الفكرة. فاسماء البنات والامهات لن يؤثر على مستواك.

اولا تزال وجنتاك شاحبتين لقد خامرتني الظنون حول مودتك، وفهمت الآن سر ميلك الى العزلة والتأمل واكتشفت مصدر دموعك السخية. وايقنت بانك بدون شك تهوين ولدي وهذا ما يدفعك الى اخفاء شعورك وتمويه هذا الواقع، ونكران ما تضمرينه له من حب عميق. فاصدقيني الحقيقة بدون تكتم. ها هي خدودك تعلن هذا الحب الذي اراه بكل وضوح في حركاتك وفي تعابيرك. لان الحياء وحده يمنع لسانك عن البوح بسركِ الجلي. تكلمي، قولي لي ان هذا صحيح. ولا تخفي عني انك تحبينه، بل اكدي لي اني غير مخطئة في هذا الموضوع. على كل حال اطلب منك ان تبيّني لي رغبتك وانا اتعهد لك بان اساعدك على نيل مرامك.

هيلانة : سامحيني يا سيدتي الكريمة.

الكونتيس : هل حقاً تحبين ولدي؟

هيلانة : ارجوك ان تسامحيني، يا سيدتي النبيلة.

الكونتيس : هل تحبين ابني؟

هيلانة : الا تحبينه انت، يا سيدتي؟

الكونتيس : لا تواربي في كلامك. ان حبي له لا يضاهيه اي حب على وجه الارض لاني امه. هيا انبئيني عن شغف قلبك لان اضطرابك يشير الى تعلقك به.

هيلانة : (وهي تجثو) لا يسعني إلا ان اعترف هنا راكعة امامك وامام السماء باني احب ابنك. كان اهلي فقراء، لكنهم شرفاء. وهكذا حبي له شريف. فلا تحنقي، فإن حبي لابنك لن يسفر عن اي شر. وانا لا ألاحقه لأستولي عليه ولن ارضى به زوجاً قبل ان استحق محبته. ربما انا احب عبثاً وآمل بما قد لا يتحقق يوماً. هذا لا يهم فاني ساثابر على محبته مهما كابدت من قلق وتضحية في سبيله. فانا كالهندي الذي يعبد الشمس في ديانته الخاطئة، ويلتمس ان ترسل اليه اشعتها التي لا يراها إلا حين تضيء عليه. ارجو يا سيدتي الكريمة ان لا تعكسي حبي حقداً عليّ لان شعوري يلتقي بعاطفتك نحو من اهوى. وانت ذاتك يا من يؤكد عطف شيخوختك الجليلة فضيلة شبابي، اذا احسست بان قلبي يضطرم بمثل هذه الشعلة المقدسة تكونين

قد لمست في آن واحد صفاء رغبتي وحنو اشواقي. فالالهة ديانا كانت هي ايضاً عاشقة. اتوسل اليك ان ترحمي ضعفي الذي لا يقوى على منعي من بث مودتي الشخص الذي انا واثقة بانه صعب المنال بالنسبة اليّ نظير من يبحث عن حل احجية عسير حلها.

الكونتيس : او لم تتكلمي بصراحة منذ ايام قليلة عن رغبتك في الذهاب الى باريس؟

هيلانة : نعم يا سيدتي.

الكونتيس : لماذا تريدين الذهاب الى باريس؟ قولي لي الحقيقة.

هيلانة : اقسم بالنعمة التي تولينها اياي اني سأبوح لك بها. انت تعرفين ان والدي ترك لي واوصاني بوصفات عجيبة مجرّبة استخلصها من مطالعاته واختباراته في الحياة. وألحّ علي قبل ان يموت بان احتفظ بسر كتاباته هذه مهما كلفني الامر، نظراً الى قيمتها وفعاليّتها التي تفوق بالحقيقة ما يتوقعه العاقل من هذه الرموز. وتضم من جملة العلاجات دواء لا يخطىء لمعالجة الامراض المستعصية نظير علة الملك التي نفض الاطباء ايديهم من شفائها.

الكونتيس : هل هذا هو السبب الحقيقي لذهابك الى باريس؟ تكلمي.

هيلانة : مولاي ابنك هو الذي حملني على التفكير بذلك. لان الاطباء والملك نفسه أقلعوا عن المحاولات العقيمة المكررة بدون جدوى.

الكونتيس : لكن يا هيلانة اذا عرضت على الملك مساعدتك هذه، هل يقبل بها يا ترى؟ واية ثقة يوحي اليه اقتراح صبية جاهلة، مثلك بينما مجموع الاطباء قد نفدت حيلهم وتركوه بين انياب الخطر الذي يتهدده؟

هيلانة : هذا الشعور يتملكني ويفوق علم ابي الذي برع في مهنته وأوصاني بهذه الوصفة العجيبة وكلي امل بان تفضي الى النتيجة المتوخاة يا سيدتي. فارجوك ان تسمحي لي بالقيام بهذه المحاولة وانا اتعهد بتكريس حياتي لشفاء جلالته في هذه الحال الحرجة.

الكونتيس : هل تؤمنين بفعاليتها؟

هيلانة : انا واثقة من النجاح واضمنه يا سيدتي.

الكونتيس : فاذا اكرر لك يا هيلانة خالص مودتي واستعدادي لمساعدتك

على تنفيذ خطتك واحمسك على الذهاب باقصى السرعة كي تسعي لدى المسؤولين في البلاط لعمل ما يلزم. وانا سأبقى هنا ألتمس لك بركة الله وتوفيقه. فاذهبي منذ فجر الغد وكوني على يقين باني ادعم محاولتك من كل قلبي راجية لك النجاح وللملك الشفاء العاجل.

(تخرجان).

الفصل الثاني

المشهد الاول
في باريس داخل القصر الملكي

(تصدح الموسيقى. يدخل الملك ويتبعه عدد كبير من السادة الشبان ذاهبين الى الحرب في فلورنسا، ثم يدخل برتران وبارول وبعض الخدم).

الملك : وداعاً ايها السادة الفتيان. لا تغفلوا عن أصول الحرب. وداعاً. ولا تنسوا نصيحتي بل استفيدوا منه بقدر استطاعتكم.
السيد الاول : املي يا مولاي، ان نعود مظفّرين، وان نجدك يا صاحب الجلالة بكامل صحتك.
الملك : لا، لا. هذا مستحيل. مع ذلك، لا اريد أن اعترف بان قلبي لن يشفى من العلة التي تتلف حياتي. الوداع أيها السادة الشبان. إن عشت او متّ، ارجو ان تكونوا ابناء فرنسا البررة الكرماء، وان تنزلوا بايطاليا الفاسقة ما تستحقه من عقاب وويلات لانها كانت سبب انحطاط الامبراطورية الرومانية. وانتم لا تلتمسون المجد التماساً بل تفرضونه فرضاً. وعندما يعود اشجع الكشّافة عليكم ان تحصلوا انتم على ما تبحثون عنه من شهرة وسمعة طيبة. مرة أخرى اقول لكم الوداع.
السيد الثاني : نتمنى لك الصحة التامة، يا صاحب الجلالة.

الملك : لا تثقوا بفتيات ايطاليا، بل تجنبوهن لانهن يدّعين اننا نحن الفرنسيين لا يسعنا ان نرفض لهن طلباً. فحذار من أن يأسرنكم بما يعرضنه عليكم من خدمات.
السيدان معاً : قلوبنا لن تحيد عن نصائحك.
الملك : وداعاً (لأحد السادة) ارجوك ان تساعدني (يتمدد الملك على سريره للاستراحة).
السيد الأول : (لبرتران) يا سيدي العزيز، لا يجمل بي ان اتركك هكذا ورائي.
بارول : ليس الذنب ذنبه، بل ذنب الشرارة...
السيد الثاني : ما هذه الصحبة الرائعة.
بارول : انا مسرور جداً بمشاهدتي هؤلاء المحاربين.
برتران : انا باقٍ بانتظار صدور الاوامر، ولا يستطيع احد ان يحجزني بقوله: سيأتي دورك في السنة القادمة لانك صغير السن ايها الفتى.
بارول : اذا كان قلبك يغريك بالمغامرة فانسحب بشجاعة.
برتران : علي ان ألازم مكاني هنا. فانا محكوم عليّ ان اسير على البلاط المالس الى ان لا يبقى من مجد باهر في اشهار سيف متشوق الى القتال. انا افضّل ان انسحب.
السيد الاول : وهذا سيكون فراراً شريفاً.
بارول : لا تتردد في اللجوء اليه، ايها الكونت.
السيد الثاني : هيا، سأكون شريكك. الوداع.
برتران : انا متمسك بالبقاء معك، وفراقك سهم اليم يخترق فؤادي.
السيد الاول : (لبارول) وداعاً ايها الهمام.
السيد الثاني : كلامك رقيق، يا سيدي بارول.
بارول : ايها الأبطال النبلاء، جميعنا اخوة في السلاح، وسيوفنا براقة بتّارة. ستجدون في فيلق جماعة « سبيني » قائداً يدعى سبوريو، جرحه سمة حزينة على خده الايسر، احدثه في وجهه حد سيفي المرهف. قل له اني لا ازال على قيد الحياة، واني اخبرتكم بهذا الحادث الطريف.
السيد الثاني : طبعاً ايها الزعيم النبيل.

بارول : كونوا اعز اولاد اله الحرب وبرهنوا على جدارتكم وشجاعتكم (يخرج السادة. لبرتران) ماذا تودّ ان تفعل؟
برتران : انا باقٍ هنا. لان الملك...
بارول : لا بد من ان تخصّ هؤلاء النبلاء بحفاوة بالغة. لانك لزمت جواً من الوداع بارد جداً. الرجاء ان تظهر لهم حرارة اكثر، ما داموا لا يعرفون اللهجة اللطيفة، بل يتصرفون ويتكلمون حسب التيار السائد. وعندما يضبط الشيطان وقع مسيرتهم، لا يترددون في الجري وراءه. الحق بهم وودعهم باحمس العبارات.
برتران : اجل، سأتبع تعليماتك.
بارول : لا تنسَ أنهم رفاق طيبون، وعلى ما يبدو، هم رجال سلاح مزودين بسيوف مرهفة الحد.

(يخرج برتران وبارول)
(يدخل لافو ويرتمي على اقدام الملك)

لافو : سامحني يا مولاي، وغضّ الطرف عن رسالتي.
الملك : نعم بشرط ان تنهض.
لافو : (ينهض) انت ترى الان رجلا دفع سلفا ثمن العفو عنه. اريد يا مولاي ان اركع امامك لطلب السماح مني فتمنحني اياه فوراً.
الملك : انا اريد ذلك ايضاً. لكن بعد ان أثني على إخلاصك. عندئذ تطلب العفو.
لافو : ضربتك جاءت الى جانب الهدف، يا مولاي الجليل. ها هوذا سؤالي: هل تريد ان تبرأ ممّا تشكوه من علة؟
الملك : كلا.
لافو : انت تريد ان تأكل عنباً يا مولاي كما يفعل الثعلب. مع ذلك هذه حجج رائعة تتذرع بها عبثا ان كنت حقا تريد الوصول الى مبتغاك. شاهدت اليوم طبيباً بارعاً يبعث الروح في الحجر، ويحرك جمود الصخر الأصم ويرقص الحزانى على اطرب الانغام. فلمسة منه تكفي لتقيم الميت من قبره. ماذا اقول؟ تكفي لجعل الجاهل يبادر الى القلم ويخط أروع رسائل الغرام.

الملك : تكلّم.

لافو : هو طبيب ماهر يا مولاي، بل طبيبة بارعة. فهل تريد أن تستقبلها؟ اقسم لك بشرفي، ان تفكيري سليم بعيد عن المزاح. واؤكد لك اني حدثت المرأة التي ادهشتني بانوثتها وصباها ومشروعها وحكمتها وتصميمها. فلمت ذاتي على ضعف اندفاعي. هل تريد ان تراها يا مولاي؟ انها ترغب في مقابلتك لتعرض عليك خطتها في المعالجة. اجل اضحك واهزأ بي كما يحلو لك.

الملك : أدخل، يا عزيزي لافو، هذه الدرّة الفريدة لكي اتمكن من مشاطرتك اعجابك وازالة دهشتي.

لافو : طبعاً سأعرف رأيك عند انتهاء هذه الزيارة.

(يخرج)

الملك : من طبعه ان يطيل المقدمات بدون الوصول الى نتيجة حاسمة.

(يدخل لافو ومعه هيلانة)

لافو : هيا ادخلي.

الملك : ارى الاستعجال يحملك على اجنحة المغامرة.

لافو : هيا ادخلي بغير وجل، فجلالته بانتظارك وابسطي له ما لديك من عرض. تبدو عليك سحنة المغامرين. انما جلالة الملك لا يخشى امثالك ابداً. انا واثق بحسن نيتك، ولا يقلقني ان تركتكما منفردين. الى اللقاء.

(يخرج)

الملك : ماذا تريدين مني ايتها الحسناء!

هيلانة : انا يا مولاي ابنة جيرار دي نربون الذي كان بارعاً في مهنته كطبيب.

الملك : اجل، عرفته.

هيلانة : لن اشيد اذاً بمزاياه، ما دمت تذكره. هذا يكفي بينما هو على فراش النزاع سلمني عدة وصفات، منها واحدة هي ثمرة خبرته الطويلة وعمله الناجح في اختباراته الواسعة، وقد اوصاني بالاحتفاظ بها بعناية نظير عين ثالثة أغلى من عيني الاثنين. وهكذا فعلت. واليوم حين علمت بان جلالتك مصاب بعارض مشؤوم، مداواته ممكنة بهذا العلاج الفعال الذي تركه لي

والدي رحمه الله، جئت اقدمه مع صدق اخلاصي وخضوعي " تواضع.
الملك : اشكرك ايتها الفتاة. انما لا يسعني ان اؤمن بمثل هذا الشفاء، حينما قطع منه الأمل ابرع اطبائنا مجتمعين، وقر رأيهم على ان فنهم رغم كل الجهود عاجز عن شفاء حالتي المرضية المستعصية. لا بد لي من ان اتخطى هذا الحكم واتجاوز ثقتي بهم وألجأ الى علاجك ولو كان فيه بعض المخاطرة ضارباً بحرصي عرض الحائط لأغفل الحكمة التي عرفت بها واقبل معالجتي بهذا الدواء غير المعقول في علة أعتبرها لا تقبل الشفاء حسب تأكيد الاطباء.
هيلانة : انا لا اريد ان افرض عليك خدماتي بل التمس بتواضع من كرمك الملكي ان تشملني برضاك. ويكفيني كمكافأة على اتعابي ان اقوم بواجبي نحو جلالتك.
الملك : لا يسعني ان امنحك اقل من ذلك، اذا لم ارد أن اكون من ناكري الجميل. وبما انك شئت ان تسعفيني، فاقبلي اذاً خالص شكري. انا اعرف جيداً مقدار احترامك اياي واعلم اي خطر اواجه بدون ان اقوى على درئه.
هيلانة : اي ضرر في تجربة ما استطيع عمله بعد إخفاق كل علاج؟ ان من يقوم بالاعمال العظيمة، غالباً ما يحققها بابسط السبل والوسائل. هكذا يرينا الكتاب المقدس مفعول حكمة الاطفال عندما يعجز الحكماء كما لو كانوا اولاداً قاصرين. فالأنهر الكبيرة تغذيها الينابيع والجداول الصغيرة، والبحار الواسعة تستقي مياهها من مجموع الانهار التي لا توازيها ضخامة. وغالباً ما تخطىء النبوءة الهدف وان حفلت بأجمل الوعود. واحياناً تبلغ الغاية رغم ضعف الآمال وانهيارها الى حضيض القنوط.
الملك : علي ان لا اصغي اليك. وداعاً ايتها الفتاة الأمينة. اخشى ان لا يثمر جهدك بالفائدة المرجوة التي يترتب علي ان اكافئك لقاءها؟ لان العروض غير المقبولة لا اجر لها سوى الشكر.
هيلانة : ارجوك ان لا تضيع استحقاق المرء سدىً. اذ لا احد يعرف كل شيء مثلي انا، لاني احكم على الامور حسب ظواهرها، واظن ان الادعاء من طرفي لا يعادل اشتراك السماء في اعمال البشر. ارجوك يا مولاي ان توافق على اجراء محاولتي ولا تتكل على عملي بل على قدرة الله. انا لست

دجالة اتعاطى ما لا سبيل الى انجازه، لكي اعلم، وانا على اتم اليقين، ان وصفتي ليست عاجزة وان داءك غير مستعصي الشفاء.

الملك : هل انت هكذا واثقة من النتيجة؟ كم من الوقت يقتضي علاجي حتى استرد عافيتي؟

هيلانة : بعون الله، آمل ان تغيب الشمس مرتين، وقبل ان يطفىء الناس مصابيحهم مرتين، ان يزول من جسمك كل ما يزعجك من سقم فتعود اليك صحتك وتتعافى كما كنت في الماضي وتتخلص نهائياً من كل مرض.

الملك : بماذا تضمنين فعالية عرضك هذا، وعلام تستندين في قناعتك هكذا ايتها الفتاة؟

هيلانة : لا على امل في غير موضعه، ولا على فضيلة وقحة تتذرع بها عاهرة فاجرة تغمغم اناشيد بذيئة مشبوهة.. انا اقبل، اذا اخفقت، ان يتلوث شرف بتوليتي، وان تنزل بي اقصى العقوبات وتختتم ايامي باشنع العذابات

الملك : يخيل الي ان وحياً سماوياً يتكلم بلسانك واسمع نبرته المجلجلة بصوتك اللطيف. وأظن ان ما يرفضه العرف كأنه غير قابل التحقيق، يستبدل بتدبير آخر نجاحه ممكن. حياتك جوهرة ثمينة لان كل الخيرات التي يسعنا ان نقتنيها في هذه الدنيا اراها مجتمعة في شخصك الكريم: من شباب وجمال وحكمة وشجاعة وفضيلة وكل المواهب السعيدة التي تؤدي الى الهناء في ربيع العمر. فلكي تغامري انت بجميع هذه القيم لا بد من ان تعتمدي اما على علم واسع أو على يأس رهيب. ايتها الطبيبة الفاتنة اريد ان اجرب العلاج الذي تأتيني به والذي سيوديك الى المهالك اذا انا فارقت الحياة.

هيلانة : إن تجاوزت المهلة المحددة، وفشلت في تحقيق ما اصبو اليه، ليحصدني منجل الموت مصحوبة باللعنات لاني استحق هذه النهاية. وان لم يتم الشفاء يكون الاعدام حتماً جزائي. لكن اذا ابرأتك فبماذا تعدني؟

الملك : اطلبي ما تشائين.

هيلانة : هل تلبي فعلاً طلبي؟

الملك : بدون اي شك. اقسم بصولجاني وبأملي في الجنة.

هيلانة : اذاً ستمنحني بارادتك الملكية زوجاً خاضعاً لسلطانك، سأدلك عليه. لاني لا اجسر على التفكير باختياره من الاسرة الملكية الفرنسية. ما دام اسمي الوضيع الاصل لا ينتمي الى اي منبت رفيع الشأن. فانا اريد احد اتباعك وأجرؤ على التماسه منك نظراً الى مقدرتك على تلبية رجائي حسب وعدك.

الملك : هذه يدي تعاهدك. فاذا اتممت ما تقترحينه عليّ سأحقق رغبتك حالاً فما بقي إلا ان تعيّني الوقت. لاني قررت ان اكون المريض الخاضع لعلاجك وانا متكل على الله وعلى مهارتك. كان علي ان اطرح عليك اسئلة اخرى. انما ثقتي بك باتت لا تتطلب سوى ان اعرف من اين اتيتِ ومن اوصلك الى هنا. مع ذلك هذا غير هام. اهلاً بك دون اي سؤال آخر. هلموا الى مساعدتي. من يوجد هنا؟ ان كنت ايتها الفتاة بمستوى المسؤولية التي تأخذينها على عاتقك، فان مكافأتي ستعادل معروفك.

(تصدح الموسيقى ويخرج الجميع).

المشهد الثاني

في قصر كونتِ روسيّون

(تدخل الكونتيس والمهرج).

الكونتيس : هيا يا سيدي، أود أن اختبر مدى حسن تصرفك.

المهرج : انا اتصرف كرجل يتغذى مثل الاغنياء وقد تربى كالفقراء. المهم ان ادخل البلاط الملكي لان هذا من اغلى امنياتي.

الكونتيس : الى البلاط الملكي فقط؟ وماذا تريد غيره؟ ألا تعتبر أن في الدنيا سواه. أتريد فقط أن تدخل البلاط؟

المهرج : في الحقيقة يا سيدتي. اذا منّ الله علي انسان ببعض المواهب

والمفاهيم، يمكنه ان يستفيد منها في البلاط بسهولة. فهناك اذا لم يعرف المرء كيف يحني رأسه ويخلع قبعته او يقبّل يد سيدة او يلفظ بعض الكلمات اللائقة في حينها لا يكون لديه يد أو شفة او قبعة، وفي الواقع لا يكون اهلاً لدخول اي بلاط. انما انا لدي على الدوام جواب لكل سؤال ابهر به سامعيّ.

الكونتيس : لعمري كلامك هذا لا غبار عليه ويصلح جواباً على كل سؤال

المهرج : هو نظير مقعد الحلّاق، على قياس جميع المؤخرات العريضة فيها والمستديرة والمربعة والمحدودبة، اجل على قياس جميع الناس.

الكونتيس : هل حقاً جوابك يصلح كردّ على كل الاسئلة؟

المهرج : نظير البندقية في يد الجندي، الدينار في يد المرابي، وخاتم الخطوبة في يد العاشق الولهان، وكأس الخمرة في يد المدمن على الشرب، والعاهرة الفاجرة بين ذراعي فاسق متهتك، وشفتي الخادمة الحسناء على ثغر سيدها الشاب الانيق، وبكلمة نظير الطعام الشهي امام الجائع الشره.

الكونتيس : نعم، نعم. تفسيراتك تنطبق على جميع الاستفهامات.

المهرج : من الدوق الى ابسط حارس، تلائم كل الاشخاص وجميع الحالات.

الكونتيس : لا بد من ان يكون جوابك هائلاً ليناسب كل الأسئلة.

المهرج : هذه حقيقة اكيدة في نظر العالم الذي يدرك ويقدّر الامر واضح جليّ. ما عليك الا ان تسألي وعلي انا ان اجيب. فانا خبير ولساني زلق لا يعييه اي موضوع.

الكونتيس : كم اود ان ارجع الى صباي لو استطعت اليه سبيلاً. لا بد من ان يكون طلبي غريباً. انما جوابك يضفي عليه. بعض القبول. بالله عليك اجبني، هل انت حقاً خبير.

المهرج : لعمري هذا سؤال وجيه اطرحي علي الف سؤال ايضاً وانا مستعد للإجابة عليها كلها.

الكونتيس : انا يا صاحبي، صديقة مخلصة واعطف عليك.

المهرج : يا الهي يا الهي. كفى كفى، لا تحرجي نفسك.

الكونتيس : اعتقد يا سيدي بانك غير قادر على الاكل من هذا الطعام الدسم العسير الهضم على معدتك.
المهرج : يا الهي! جربيني يا سيدتي، ولا ترددي.
الكونتيس : لقد ذقت طعم السوط منذ برهة يا صاح، على ما اظن.
المهرج : يا الهي، يا الهي! قلت لك، لا ترددي.
الكونتيس : تقول، يا الهي، لا ترددي، عندما اكلمك عن السياط التي نزلت على جسمك كالبرد. في الحقيقة هذا امتحان ناجح. هل ترد بمثل هذه الجرأة عندما تتلقى الضربات.
المهرج : لا، ابداً. لأن أملي بالله غير محدود. اعتقد بان الامور تخدم طويلاً لكن ليس دائماً.
الكونتيس : وقتي ضيق في الحقيقة ولا يسعني ان اطيل مزاحي هكذا مع مهووس مثلك.
المهرج : يا الهي. ها هي تشد الوثاق.
الكونتيس : كفى يا هذا. اذهب الآن الى عملك. (تعطيه ورقة) وسلّم هذه الى هيلانة واستعجلها في الجواب حالاً. اوصي اهلي وولدي بها ولا تبال.
المهرج : توصية حارة، يا سيدتي.
الكونتيس : هذه مهمة صعبة عليك. هل تفهمني؟
المهرج : لكنها مثمرة كثيراً وسأقوم بها فوراً.
الكونتيس : عد سريعاً.

(يخرج كل منهما من جهة مخالفة).

المشهد الثالث

في القصر الملكي بباريس وسط قاعة العرش

(يدخل برتران ولافو وبارول)

لافو : يقال ان عصر المعجزات ولى، ولدينا فلاسفة يؤكدون ببساطة اموراً خارقة الطبيعة لا تقبل التأويل. وهذا ما يجعلنا نعتبر اعجب القضايا كمواضيع صبيانية حين نلجأ الى ادعاء العلم بدلاً من ان نقر بجهلها المريع.

بارول : اجل هذه اندر اعجوبة تحدث في عصرنا الحاضر.

برتران :هذا صحيح.

لافو : بعد ان هجرنا اهل الفن.

بارول : هذا ما اقوله عن اشهر العلماء نظير كاليان وبارلْساز.

لافو : مع انهم من اشهر العلماء واجدرهم.

بارول : هذا تماماً ما اقوله انا ايضاً.

لافو : ومن قال خلاف ما ذكرت.

بارول : اجل هذا ما اؤكده بالذات.

لافو : لكن هذا يبعث على اليأس.

بارول : بالضبط كما اريد ان اقول.

لافو : اعني ان هذا جديد في الكون.

بارول : طبعاً اذا اردت برهاناً على ذلك ما عليك إلا ان تقرأه في... بربّك ما اسم هذا الكتاب؟

لافو : « شرح القوة السماوية على سطح الكرة الأرضية ».

بارول : هذا بالضبط ما اعنيه.

لافو : لعمري، وليّ العهد نفسه ليس انشط من ناحية...

بارول : امر غريب جداً. الكلمة وجيزة، لكن علينا ان نعود اليها على الدوام. وليس سوى العقول الفاسدة لا تعترف بأن...

لافو : حتى سلطة السماء ذاتها.
بارول : اجل هذا ما اقوله.
لافو : وفي أسوأ الاحتمالات...
بارول : آخر المسؤولين يظهر رغبة سامية متزايدة بان علينا، فوق قدرة الملك ان...
لافو : نعلن اعترافاً شاملاً.
بارول : هذا بالضبط ما كنت انوي قوله. كلماتك جواهر ثمينة. ها هوذا الملك.

(يدخل الملك ومعه هيلانة وبعض الخدم)

لافو : مهما كنت مسناً، اقسم بشرفي باني أحب الصبايا بحرارة ومودة طالما في فمي اسنان. لكن الا يجوز ان يراقص غيري؟
بارول : بذمتك أليست هذه هيلانة؟
لافو : اجل هي بعينها.
الملك : ارسلوا في طلب جميع رجال الحاشية (يخرج احد الخدم. لهيلانة) ايتها المحسنة الكريمة اجلسي بقرب مريضك، وبيدك الناعمة التي تعيد اليّ نشاطي الذي هجرني، أؤكد لك ما وعدتك به. والآن كلميني واعلميني من الذي وقع عليه اختيارك كزوج؟

(يدخل سادة عديدون ويصطفّون امام العرش بينما لافو وبارول ينسحبان الى صدر المسرح ليفسحا المجال للباقين).

الملك : ايتها الفتاة الحلوة، اجيلي حول الملك انظارك الفاحصة في هؤلاء الشبان النبلاء العازبين الذين يدينون لي بالطاعة والولاء. فلي عليهم سلطة مطلقة وفضل ابوي. اختاري بحرّية، لان هذا اصبح من حقك، بينما هم لا يجوز لهم ان يرفضوا اي طلب.
هيلانة : ما احلى ان تتيح فرص الحب منح كل منكم حبيبة فاضلة ما عدا واحد فقط. لافو (من صدر المسرح لبارول) اتنازل عن حصاني بسرجه ولجامه، واحلق لحيتي واقلع اسناني اذا كان حظي اقل من هؤلاء الشبان.
الملك : (لهيلانة) افحصيهم جيداً، فجميعهم من اصل نبيل.

هيلانة : ارى، يا مولاي، ان الله ردّ لجلالتك كامل صحتك.

الجميع : اشعر بذلك، واشركه تعالى على هذه النعمة الغالية.

هيلانة : انا عذراء بسيطة، وكل ثروتي كما اعلن، هي بتوليتي. فاذا شئت يا صاحب الجلالة، انا على اتم الاستعداد للقبول بحكمك. مع ان الاحمرار عندما يعلو وجنتي يهمس في اذني: انا اصبغ خدّيك خجلاً ممن ستختارينه. فاذا كان نصيبك الرفض سيسود الشحوب القاتل محياك، ولن اظهر بعدئذ ابداً على وجنتيك.

الملك : هيا اختاري، واعلمي جيداً ان من يرفض حبك يرفض مودّتي انا بالذات.

هيلانة : الآن يا ديانا، اهرب من هيكلك الى الحب الملكي، هذا الاله الطاغي الذي يكاد يرهق انفاسي (لاول سيد) هل انت مستعد يا سيدي ان تسمع طلبي؟

السيد الاول : وان ألبّيه ايضاً.

هيلانة : اشكرك يا سيدي، لم يعد لدي ما اضيفه (تلتفت الى السيد الثاني)

لافو : افضل ان اجرّب حظي في اختيارها، على ان اغامر بحياتي برمية زهر اللعب.

هيلانة : (للسيد الثاني) يا سيدي، الفخر الذي يبرق في عينيك الجميلتين، حتى قبل ان اتكلم، قد اثناني عن عزمي، بما تضمره من جواب غير مشجع. اتمنى ان يرفع الحب عشرين مرة الى اعلى، تلك العاطفة المتواضعة التي تنطوي عليه امنيتي.

السيد الثاني : انا لا ارجو اكثر من ذلك، اذا كنت انت راضية.

هيلانة : أملي ان تقبل رجائي، فانا التمس من الحب الكبير ان يحقق حلمي. لذا استأذنك بالانصراف

لافو : (من صدر المسرح، لبارول) هل رفضها الجميع؟ لو كانوا ابنائي لأمرت بجلدهم بالسياط، وارسلتهم الى التتري المستبد ليجعل منهم خصياناً.

هيلانة : (للسيد الثالث) لا تفزع اذا تناولت يدك. انا اقدرك كثيراً ولا اريد

اذيتك. اسأل الله ان يحقق رغباتك وارجو لك عروساً افضل مني اذا شئت ان تتزوج.
لافو : (في صدر المسرح) هؤلاء الفتيان قلوبهم من جليد، اذ لم يقبل احد منهم بها. لا شك في انهم جميعاً لقطاء معقّدين وليسوا اولاداً شرعيين
هيلانة : (للسيد الرابع) انت صغير السن ونبيل جداً، ولا ترضى بان يكون لك ولد من لحمي ودمي.
السيد الرابع : انا لا افكر هكذا ايتها الصبية الرائعة.
لافو : (يشير الى برتران) لا يزال في العنقود كم حبة عنب. اعتقد بان والد هذا الشاب كان يشرب الخمرة. واذا لم يكن الابن خماراً فانا اكون فتى في الرابعة عشرة من سنّي لاني اعرفه جيداً.
هيلانة : (لبرتران) لا أجرؤ على القول اني اختارك. لكنني اقبل بان اخدمك طوال عمري، واخضع لسلطتك المطلقة. هذا هو الرجل الذي اريده.
الملك : هيا ايها الفتى برتران، خذها فهي زوجتك.
برتران : زوجتي انا يا مولاي؟ التمس من جلالتك ان تأذن لي باختيار من تستلطفها عيناي.
الملك : أولا تعرف يا برتران، عظم الخدمة الجليلة التي أسدتها اليّ هذه الصبية؟
برتران : اجل يا مولاي الكريم، انما لا اعلم لماذا يجب علي ان اقترن بها.
الملك : أولا تعرف انها ابرأتني وخلّصتني من براثن آلامي المبرحة، وانتشلتني من أشداق الموت.
برتران : ألانها انهضتك من فراش المرض، يا مولاي، يتحتم عليّ ان اقع انا. اني اعرفها جيداً، لانها تثقفت على نفقة ابي. اتريد ابنة طبيب فقير أن تصبح زوجتي؟ لن اسمح لأية شقية مثلها ان تهبط بي الى مستواها.
الملك : انا مستعد لان امنحها اللقب الذي يجعلها من مقامك. امر غريب ان نعتبر دماءنا مختلفة باللون والسرعة والحرارة عن غيرها وهي عند هدرها متشابهة لا تمييز فيما بينها إلا بالفوارق التي نقيمها نحن احياناً. ان كنت تأنف من الاقتران بهذه الفتاة لمجرد كونها ابنة طبيب فقير، فانت مخطىء

اذ تزدري بالفضيلة، التي تحليها بسبب اسم غير عريق. لا تتصرف هكذا. فعندما تكون الاعمال مشكورة وان جاءت من مستوى متواضع، ترفع صاحبها الى اعلى المراتب. لان الخصال الحميدة تعليْ شأن من اتصف بها. والخير يكرم دوماً صاحبه كائناً من كان، كما ان الشر يذل فاعله وان كان من أنبل النبلاء. هي صبية عاقلة وجميلة. وهذا ما اورثته اياها الطبيعة ويعتبر خير حلية وشرف لها. انما لا يحتفظ إلا برواسب الشرف والاخلاق ومن يدعي بانه سليل المجد ولا يشبه اباه الكريم فالنبل منه براء. اعمالنا هي التي تصنعنا لا امجاد اجدادنا. اما لفظة شرف فهي كلمة لا يتم معناها إلا اذا نحن برهنّا على استحقاقنا مدلولها. هي شارة كاذبة نجدها على أضرحة الكثيرين ممن خدعوا البشر بمظاهرهم، وهم غير اهل لان تضم رفاتهم حفنة التراب الذي جبلوا منه. ماذا اقول لك؟ اذا كانت العفة تعجبك في هذه العذراء فانا قادر على جعلها تليق بك لأن فضيلتها وشخصيتها اكبر بائنة تأتيك بها. ما دامت الالقاب والثروات عرضة لعوادي الزمان. هذا ما اقدمه لك وألحّ عليك بان تقبل به.

برتران : لا يسعني ان احبها. ولست مستعداً لبذل اي مجهود في هذا السبيل.

الملك : انا واثق بانك ستندم اذا لم توافق على تلبية طلبي.

هيلانة : يكفيني يا مولاي ان اكون سعيدة بشفائك، ولا اريد ان أفكر بغير ذلك.

الملك : أصبحت هيبتي في الميدان، ولكي انقذها عليّ ان اسعى بكل قواي لتلبية رغبتك. هيا خذْ يدها ايها الفتى المستهتر بمثل هذه المواهب النادرة. انت تتجاسر على احتقار عطفي بوقاحة ولا تقيم وزناً لنصيحتي النزيهة. انت تتجاهل اني عندما اضع ثقلي في كفة الميزان تخف امجاد اسرتك كثيراً حيال ما انوي ان اخلعه عليها من تقدير وهبات، وما اتحف به عرسها من رفعة وجاه. فاضغط على تشامخك وازدرائك وأخضع ارادتك لمشيئتي التي لا تبغي سوى غمرك بالخير والبركة. لا تصغ الى غرور كبريائك بل انظر الى مصلحتك وما يمليه عليك واجبك في خدمة سلطتي الواسعة، وإلا حجبت عنك رعايتي وعرّضت مستقبلك وشبابك لمساوىء انت في غنى

عنها، تزجك فيها قلة خبرتك في الحياة وعماهة بصيرتك الحمقاء. لان غضبي سيحرمك من عدلي ومن عطفي. هيا تكلم وقل لي حالاً ما هو قرارك النهائي؟

برتران : اعذرني يا مولاي، لا يمكنني إلا ان ازعن لوجهة نظرك. لاني اعرف مدى الشرف والاكرام الذي تستطيع ان تحوله عني اذا خرجت عن طاعتك يا صاحب الجلالة. فان نبل محتدي يأبى عليَّ ان اتفيأ بكنف رعايتك وحمايتك.

الملك : تناول يدها اذاً، واعلن لها قبولك بها زوجة. وانا اعدها بثروة ولقب بمستوى مرتبتك.

برتران : ها انا امتثل وآخذ يدها.

الملك : ما اسعدك لانك قدّرت اخيراً ما اريده انا مليكك لك من الجاه والرفعة. هذا العهد الذي ولد الآن سأكرسه هذه الليلة في حفلة فاخرة. اما وليمة العرس فتقام حين يحضر الغائبون من الاهل. فان احببتها برهنت على انك فعلاً توقرني وتودّني، والا اعتبرت ذلك منك استهتاراً وتمرداً مبطناً ونفاقاً بغيضاً.

(يخرج الملك وبرتران وهيلانة والسادة والخدم).

لافو : (لبارول) اسمع يا سيدي هذه الكلمة.

بارول : ماذا تريد يا سيدي.

لافو : حسناً فعل مولاك بانسحابه.

بارول : انسحاب مولاي؟

لافو : أجل هل أتحدث بلغة غير مفهومة؟

بارول : بل بلغة قاسية لا يمكن سماعه بدون اراقة الدماء. تقول مولاي؟

لافو : وهل انت تساوي كونت روسيون؟

بارول : عن اي كونت تتكلم؟ عن جميع الكونتات؟ عن اي رجل كان؟

لافو : عن اي شخص لقبه كونت. وهل رفيق الكونت من طينة اخرى.

بارول : انت متقدم في السن يا سيدي، وهذا يكفي لتصنيف أقوالك.

لافو : أؤكد لك ايها المخادع، اني ملقب برجل وهذا لن تحصل عليه مهما تقدمت انت في العمر.
بارول : ان لم اجرؤ على عمل اي شيء عفوياً، لن افعله ابداً.
لافو : اثناء لقائي بك على المائدة مرتين ظننت انك فتى عاقل. وقد رتبت تفاصيل رحلتك بجدارة مشكورة حملتني على اعتبار سفينتك من الوزن الثقيل. والآن اهتديت اليك. فاذا فقدتك يعز علي الامر لأنك تميل الى الشجاعة وعليك ان تعيد الكرة في اية لحظة ولن يأسف احد على غيابك.
بارول : ولو لم تكن في نظري من ذوي الصفات الحميدة القديمة.
لافو : لا تستسلم الى الغضب لئلا تجرفك اهواؤك، وتصبح مثل دجاجة مبلولة... اياك ان تستسلم ايضاً الى الحسد والغدر. وداعاً. انا لست بحاجة لان افتح لك قلبي على مصراعيه. فانا ارى... اعطني يدك.
بارول : كلامي في محله، انت تستحق اكثر من ذلك. انا لم افعل ما يستوجب تأنيبك يا سيدي.
لافو : اجل وستشرب ما اصبه عليك من لوم حتى الثمالة. لاني غير مستعد للتراجع قيد شعرة عن موقفي.
بارول : هذا درس قاس لي.
لافو : استفد منه اذا. وان شئت ان تحكّم عقلك، امامك طريق وعر طويل عليك ان تجتازه. اما ان شاهدت نفسك يوماً مغلوباً على امرك فيجب ان تعلم ان عنادك أوصلك الى هذا المأزق. اود ان اعرفك معرفة اوفى وان ادرس طباعك بصورة افضل كي يتسنى لي ان اقول عند الحاجة: « هذا رجل اعرف بواطنه كما يجب ».
بارول : انت تغيظني بطريقة غير مباشرة.
لافو : كنت اود ان يكون عذاب الجحيم من نصيبك وان افرضه عليك الى الابد. لكن لم يعد لي من قوة، لذا اتركك بما تسمح لي شيخوختي من السرعة.

(يخرج)

بارول : انت لك ولد يعكس عنك هذه الاهانة الوقحة ايها العجوز المستهتر.

إصبر قليلاً اذ لا سبيل الى تحقير الاشخاص المسنين. اقسم بحياتي باني سأؤنبه حالما اصادفه في اول فرصة مهما كان مقامه رفيعاً، ولن ارحم شيخوخته. اجل سأوبخه حالما اصادفه.

(يدخل لافو).

لافو : يا محتال، سيدك قد تزوج واصبح لك سيدة جديدة، فهل بلغك هذا النبأ ام لا؟

بارول : التمس من سيادتك ان تجنبني هذه الاهانة. فالكونت هو سيدي الصغير العزيز، ومولاي الكبير هو الذي اخدمه هناك في العلاء.

لافو : من تقصد؟ الله سبحان وتعالى؟

بارول : اجل، يا سيدي.

لافو : استغفر ربك بل سيدك هو الشيطان بعينه. لماذا تشبك ذراعيك هكذا على صدرك؟ هل يفعل احد من الخدم هكذا؟ عليك ان تحشر قسمك الكاذب حيث يوجد أنفك. بشرفي، لو كنت اصغر سناً لما تأخرت عن ضربك. يخيل اليّ ان وجودك هنا فضيحة سافلة، على كل الناس ان يرذلوها. واعتقد بأنك خلقت لتكون اضحوكة الجميع.

بارول : هذه المعاملة قاسية جداً ولا استحقها يا مولاي.

لافو : ما هذا الكلام؟ لقد كان نصيبك الضرب في ايطاليا لانك اختلست رمّانة. انت متشرد ولست مسافراً شريفاً. انت ترافق السادة وصفوة الناس الكرماء الذين لا تساويهم في المقام، لذلك تستحق كل كلمة لوم وعتاب وتستوجب اعتبارك دجالاً. ها انا اغادرك

(يخرج)

(يدخل برتران)

بارول : جيد جداً. هكذا تسير الامور على ما يرام. دعنا نتغافل عن المسألة بعض الوقت.

برتران : هل حكم عليّ بحمل الهموم الى الابد؟

بارول : ماذا دهاك يا عزيزي؟

برتران : مهما اقسمت من ايمان في هذه الساعة امام الجميع، لن اقبلها كزوجة.
بارول : ماذا تقول، يا صديقي.
برتران : لقد زفوني قسراً يا عزيزي بارول. انا ذاهب الى الحرب في توسكانا، ولن اقبل بها مطلقاً كزوجة.
بارول : اني لا احبّذ بقاءك في فرنسا التي لا تستحق التضحية هيا الى الحرب.
برتران : هذه رسائل من والدتي ولا ادري ما هو مضمونها. لاني لم اقرأها بعد.
بارول : يجمل بك ان تطلع عليها. هيا الى الحرب، يا ولدي. من يبقى في بيته ليعانق زوجته الشرعية ويصرف بين ذراعيها نسغ رجولته بدلاً من ان يساند ابطال الحرب الشجعان يدفن شرفه في التبن. وفي معظم انحاء فرنسا نعيش كالبهائم كما لو كنا في اسطبل. اوليس الأولى بنا اذاً ان نمضي الى الحرب؟
برتران : اجل، هذا واجب. سأرسل زوجتي المزعومة الى بيتنا وسأنبىء امّي بكرهي لهذه الفتاة التي تسببت في هربي. سأكتب الى الملك ما لم اجرؤ على مصارحته به لان هذه الهبة التي قدمها لي ستحملني على الالتحاق بحملة ايطاليا لمحاربة العديد من النبلاء. اذ بتّ ارى في الحرب هدوءاً لا يقاس بما تثيره داخل بيتي هذه المرأة البغيضة من قلق واضطراب.
بارول : هل سيدوم هوسك هذا؟ هل انت واثق مما تقول؟
برتران : تعال معي الى غرفتي لتزويدي بنصائحك. اريد أن ارسلها في الحال. وغداً نذهب، انا الى الحرب، وانت الى عزلتك الكئيبة.
بارول : هذه فكرة رائعة اقدرها كثيراً. فهي نظير الموسيقى الشجية، وقعها ساحر وعميق الاثر. الشاب المتزوج لا يسعه ان يكون إلا رجلاً تعيساً تنخر الحسرة قلبه. فالى الامام اذاً. سأتخلّى عنه بشجاعة، هيا. الملك اغاظك بهذا التصرف ولا حيلة لك ازاءه سوى الصمت اذ لا سبيل الى تغيير حرف من هذا الحال.

(يخرجان)

المشهد الرابع
في مكان آخر من القصر.

(تدخل هيلانة وفي يدها رسالة ثم يدخل المهرج)

هيلانة : والدتي تخاطبني بحنان. ارجو ان تكون بخير.
المهرج : هي ليست على ما يرام. انما صحتها جيدة. وهي مسرورة انما ليست سعيدة كما قلت. هي بالف خير ولا ينقصها شيء في الدنيا. لكنها مع ذلك ليست على ما يرام.
هيلانة : ان كانت بالف خير، فماذا يحول دون ان تكون سعيدة؟
المهرج : في الحقيقة هي بالف خير ولا ينقصها سوى امرين.
هيلانة : الاول انها ليست بالجنة حيث يشاء الله ان يسكنها قريباً، والاخر انها لا تزال على الارض حيث يريد الله ان يبقيها لينقلها الى جواره عما قريب.

(يدخل بارول)

بارول : حلت عليك البركة، يا سيدتي الطيبة القلب.
هيلانة : انا واثقة يا سيدي بانك تتمنى لي كل خير وهناء.
بارول : اتمنى حقاً ان تزيد افراحك وتدوم الى ما شاء الله (للمهرج) أهذا انت يا مغفل؟ كيف حال سيدتي العجوز؟
المهرج : آمل ان ترتسم تجاعيد وجهها على محياك، وان انال انا دراهمها كما أشتهي.
بارول : انا لم انبس ببنت شفة.
المهرج : لعمري، انت لست اعقل مما اظن، لان لسان المرء غالبا ما يرمي بصاحبه في المهالك. يجمل بك ان لا تلفظ حرفاً ولا تأتي عملاً ولا تعرف شيئاً ولا تملك درهماً، حينئذ بصفاتك المذكورة لن تساوي شروى نقير.
بارول : الى الوراء، ايها المحتال الدجال.

المهرج : كان الأولى بك يا مولاي ان تقول لي اني دجال اواجه دجالاً، لكنت بالصواب نطقت يا مولاي.
بارول : هيا انت مجنون موتور. وقد اكتشفك على حقيقتك.
المهرج : او لم تكتشفني في شخصك، يا مولاي؟ او لم يكلفك احد بالبحث عني؟ فالبحث لن يضيع سدىً، واذ يوصلك الى اكتشاف جنونك المطبق المتغلغل الى اعماقك سيفرح جميع الناس وتتضاعف سخرياتهم وضحكاتهم.
بارول : انت مغفل منقطع النظير حقاً، وهوسك لا يدع مجالاً للشك، وفوق ذلك تريد الرحيل هذا المساء يا سيدي، لان قضية هامة تستدعيها. هناك واجبات جسيمة ودواعي حب لا يُقاوم تقتضي حضورها لإتمامها. وهذا امر لا يجهله احد مع ان الامتناع القسري يضطرها الى التأجيل، فصبراً. في هذه الاثناء لا بد من ان تجتمع العناصر الفعّالة لمعالجة الوضع بنقعه طويلاً في خلاصة التبصر وحسن التبديد لبلوغ الفرج اخيراً ونيل الارب.
هيلانة : وماذا يريد ايضاً؟
بارول : ان تستأذني الملك حالاً بالانصراف، وان تظهري هذا الرحيل المباغت كانه عمل شخصي نابع من محض ارادتك، وان تضفي عليه مسحة مقنعة تستنبطينها للتذرع بها.
هيلانة : بماذا يأمر فوق ذلك؟
بارول : بعد ان تستأذني الملك بالانصراف، ان تنتظري تعليماته اللاحقة.
هيلانة : على كل حال انا رهن اشارته.
بارول : هذا ما اوصيك به
هيلانة : ارجوك. (للمهرج) تعال معي يا مغفل.

(يخرجان)

المشهد الخامس

في مكان آخر من القصر

(يدخل لافو وبرتران)

لافو : آمل ان لا تنظر سيادتك اليه كجندي بسيط.

برتران : كما تريد يا مولاي، بل كجندي عالي الهمة وافر الخبرة.

لافو : انت تصدق ذلك استناداً الى تصريحاته.

برتران : والى شهادات اخرى لا سبيل الى دحضها.

لافو : اذاً اكون مخطئاً اذا ظننت هذا الصقر نسراً.

برتران : أؤكد لك يا مولاي انه رجل ذو علم واسع وكفاءة ضئيلة.

لافو : اذاً انا مقصر بحق علمه ومتجاوز بحق قيمته، وحالتي خطرة بقدر ما يرشقه به ضميره من توبيخ. ها هوذا آتٍ. ارجوك ان تصالحنا لاني أروم صداقته.

(يدخل بارول).

بارول : (لبرتران بصوت خافت) سيتم كل شيء كما يجب.

لافو : هل يمكنك ان تعلمني يا سيدي، من هو خياطك؟

بارول : ماذا قلت، يا سيدي؟

لافو : انا اعرفه جيداً. اجل يا سيدي. هو بالطبع عامل ماهر وخياط بارع.

برتران : (لبارول بصوت خافت) هل ابصرت الملك؟

بارول : نعم.

برتران : هل هي راحلة هذا المساء؟

بارول : كما تشاء سيادتك.

برتران : كتبت رسائلي واقفلت بالمفتاح على ما لدي من اشياء ثمينة، وأصدرت اوامري لاعداد الجياد. وهذا المساء حين احصل على العروس انهي المسألة قبل ان ابدأ...

لافو : هذا ما يفعله المسافر الشريف عند تأهبه للرحيل. انما من يكون ثلثا قصته كذباً ويذكر حقيقة معروفة لتمرير الف عبارة تافهة، هذا يستحق ان يُسمع كلامه مرة وان يُضرب ثلاث مرات بسبب تفاهة نفاقه. (لبارول حفظك الله ايها القائد الهمام.

براتران : (لبارول) هل من نفور بينك وبين هذا السيد، يا مولاي.

بارول : لست ادري ماذا يتحتم علي ان افعل لانال الحظوة في عيني هذا السيد.

لافو : لقد توصلت الى امتلاك قلبه بخبرتك وهمتك نظير سمير الملك الذي زلت قدمه وسقط في صحن الحلوى. فانصحك ان تهرول مسرعاً لكي لا يسألك كيف وقعت فيه.

برتران : (للافو) ربما لم تقدره حق قدره، يا مولاي.

لافو : هذا ما يحدث لي دائماً عندما افاجئه وهو يصلّي. الوداع يا سيدي. صدقني، ليس في هذه القشرة الرقيقة من لوزة. ان شخصية هذا الرجل في ثيابه، فلا تتكل عليه في اية عملية خطيرة النتائج. ولقد جربت سواه وعرفت مقدار طبعه. (لبارول) الوداع، يا سيدي، تكلمت عنك بافضل مما تستحق الآن وفي المستقبل. لا بد لنا من ان نقابل الشر بالخير.

(يخرج).

بارول : اقسم لك ان عقل هذا السيد غير مكتمل.

برتران : على ما اظن.

بارول : كيف تقول هذا؟ ألا تعرفه؟

برتران : اجل اعرفه جيداً. وهو حائز على رضى الجميع. ها هي السلسلة التي تقيدني.

(تدخل هيلانة)

هيلانة : كما اوصيتني يا سيدي كلّمت الملك، وحصلت على اذنه بالرحيل فوراً. انما هو يريد محادثتك.

برتران : انا طوع بنانه. يجب عليك يا هيلانة ان لا تستغربي سلوكي الذي يبدو لك بعيداً عن ظروفي وكما تقتضيه مهمتي والعمل المقدس المفروض

عليّ. انا لم اكن مهيأ لمثل هذا الحدث الهام. لذا ترينني هكذا مضطرباً، لان المسألة تدعوني الى ان ارجوك للعودة حالاً الى مقرك. فأوجدي لنفسك قبل غيرك حجة هذا الالتماس. لان عذري لا يبدو اولى مما هو في الواقع. والامور التي تستدعيني هي أعجل مما تظهر لاول وهلة لا سيما لك انت التي تعرفينها (يسلمها ورقة) هذه لوالدتي. سيمضي يومان قبل ان اشاهدك من جديد، لذا اتركك تتصرفين بحكمتك.

هيلانة : كل ما يسعني هو اني خادمتك الامينة التي تكنّ لك كل احترام.

برتران : هيا، هيا. كفّي عن هذا التبجيل

هيلانة : لن انقطع عن سد الفراغ بينما انا لا احد يسعفني وقد خانني الحظ ولم أعد قادرة على مواصلة السعي.

برتران : اتركي هذا. فانا مستعجل جداً. الى اللقاء. إمضي سريعاً.

هيلانة : ارجوك يا مولاي ان تعذرني.

برتران : ماذا تريدين ان تقولي.

هيلانة : انا لا استحق الكنز الذي حصلت عليه، ولا اجرؤ على القول هذا لي مع انه في الواقع يخصني. وانا مستعدة لان أخطف حياءً وبملء الرضى، ما جعله القانون من نصيبي.

برتران : ماذا تقصدين؟

هيلانة : امراً ما، بل بالأحرى لا شيء في الحقيقة. لا اريد ان اعلمك يا سيدي بما تصبو نفسي اليه. انما الغرباء والاعداء وحدهم يفترقون بدون ان يتعانقوا.

برتران : لا تتأخري. ارجوك ان تعجّلي في الرحيل. هيا الى حصانك. اسرعي.

هيلانة : لن اخالف امرك ابداً يا مولاي الكريم.

برتران : (لبارول) اين سائر رجالي يا سيدي؟ (لهيلانة) الوداع (تخرج هيلانة) اذهبي. هيا عودي الى بيتي. اما انا فلن ارجع اليه ابداً طالما استطعت ان اشهر سيفي او اسمع قرع طبلي. الى الامام، الى الهرب.

بارول : تشجع. عافاك المولى

(يخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الاول

في فلورنسا داخل قصر الدوق.

(تصدح الموسيقى. يدخل دوق فلورنسا مع حاشيته ثم اثنان من السادة الفرنسيين وعدد من المرافقين).

الدوق : هكذا سمعت الآن نقطة فنقطة اسباب هذه الحرب الاساسية في مختلف مناقشاتها وقد أسالت ولا تزال تسيل نهراً من الدماء.
السيد الاول : هذه الحرب تبدو لسيادتك ظالمة وفتاكة يشنها العدو علنيا بضراوة.
الدوق : لذلك انا مدهوش جداً ان يوصد ابن عمنا ملك فرنسا قلبه دون اغاثتنا في قضيتنا هذه العادلة.
السيد الثاني : يا مولاي الكريم، لا يسعني ان اعيّن المعطيات البذيئة كرجل غير مطلع على ما يستدعي النصائح الضرورية في مثل هذه الاحوال الغامضة. انا لا استطيع ان اصارحك بما يجول في فكري، لاني وجدت نفسي في هذا المأزق الغارق في الفوضى وقد خابت جميع آمالي.
الدوق : دعوا الملك يتصرف على هواه.
السيد الثاني : لكنني واثق بان نخبة من شبابنا الذين ضايقهم الجمود سيتوصلون يوماً الى العثور هنا على الدواء اللازم لمعالجة هذا الوضع المتردي.

الدوق : اهلاً بهم وسأحيطهم بكل الاكرام الذي يمكنني ان اخصهم به. انتم تعرفون مراكزكم. وحالما يسقط بعض القادة المتقدمون ستستفيدون انتم في شغل مواقعهم. فإلى الغد، ايها الشجعان، في السهل ملتقى البطولة والانتصار.

(تصدح الموسيقى ويخرجون).

المشهد الثاني
في قصر كونت روسيّون

(تدخل الكونتيس والمهرج).

الكونتيس : كل شيء تمّ كما اريد، ما عدا مجيئه معها الى هنا.
المهرج : بشرفي، ارى سيدي الشاب هذه الايام شديد الكآبة.
الكونتيس : ارجوك ان تفسّر لي كيف عرفت ذلك؟
المهرج : مثلاً، هو ينظر الى حذائه ويدمدم، ويحكم سترته ويدمدم، يطرح سؤالاً ثم يدمدم، ينظف اسنانه ويدمدم. وانا اعرف رجلاً بهذا المزاج الغريب باع قصره الرائع لقاء اغنية.
الكونتيس : (تفتح الورقة المطوية) لننظر ماذا يكتب لي ومتى يريد ان يأتي إلينا.
المهرج : انا لم اعد اميل الى ايزابو منذ ان جئت الي هنا. لان جماعتنا وايزابو في الريف لا يوازون جماعتكم في البلاط. وإله الحب في نظري قد فقد عقله، فبدأت اهوى بدون حماس نظير رجل عجوز يتضاعف تعلقه بالمال.
الكونتيس :ماذا ارى هنا؟
المهرج : ما تقع عليه عيناك.

(يخرج)

الكونتيس : (تقرأ) « أرسل لك كنّة أنقذت حياة الملك وأتلفتْ حياتي. تزوجتها لكني لم امتلكها، وأقسمت على ان لا اقدم على ذلك ما دمت حياً. ستدرين باني هربت. لذا افضل ان اطلعك انا بنفسي على الامر قبل ان ينقله الناس اليك ما يحلو لهم. واذا كانت الدنيا واسعة كما يقال سأترك مسافة شاسعة بيني وبينها.

بكل محبة واحترام، ولدك التعيس »

برتران

لقد اخطأت ايها الطائش بفرارك من افضال الملك الكريم، وبجلب غضبه على رأسك، وبكره فتاة فضيلة كسبت احتقار الامبراطور.

(يدخل المهرج)

المهرج : يا سيدتي، بأي نبأ حزين أتتنا سيدتي الصبية والفارسان اللذان رافقاها؟

الكونتيس : ما الخبر؟

المهرج : على كل حال، لا يخلو النبأ من تعزية، فابنك لن يُقتل على ما اعتقد.

الكونتيس : وماذا ينقذه من القتل يا ترى؟

المهرج : لن يُقتل يا سيدتي، اذا ظل هارباً كما علمت. فهكذا لن يعرّض نفسه لاخطار الحرب على اثر تبعثر صفوف المقاتلين، على كل الحال سيهلك عدد كبير من الرجال، وهكذا لن تتم ولادات كثيرة. ها هم بعض القادمين، قد اتوا ليخبروك بما ترغبين من التفاصيل. ان من جهتي، اعلم فقط ان ولدك قد هرب.

(يخرج)

(تدخل هيلانة ووجيهان)

الوجيه الاول : (للكونتيس) حفظك الله يا سيدتي.

هيلانة : يبدو، يا سيدتي، ان مولاي ذهب نهائياً.

الوجيه الثاني : لا تقولي ذلك.

الكونتيس : اعتصمي بالصبر. عذرا يا سادة. واجهت مراراً تعاقب الافراح

والاتراح حتى لم تعد هذه ولا تلك تفزعني لاول وهلة. ارجوك ان تقول لي اين ولدي؟

الوجيه الثاني : مضى يا سيدتي ليخدم دوق فلورنسا. وقد صادفناه في الطريق. نحن آتون من تلك الجهات، وبعد تسليم بعض رسائل عاجلة لرجال البلاط سنعود بدون تأخير.

هيلانة : ألقي نظرة على هذه الرسالة، يا سيدتي. (تقرأ) « عندما تستلمين الخاتم الذي اضعه في اصبعي والذي لن يفارقه ابداً، وعندما تُريني ولداً انجبته من احشائك واكون انا اباه، حينئذ يمكنك ان تعتبريني زوجك. لكن حتى ذلك الحين لن اكون رجلك ابداً ». هذا حكم رهيب جائر.

الكونتيس : هل جئت بهذه الرسالة، يا سيدي، من قبل ولدي؟

الوجيه الاول : نعم يا سيدتي، ونظراً الى مضمونها العجيب، آسف على ما تجشمته من مصاعب في سبيلها.

الكونتيس : ارجوك يا هيلانة العزيزة ان تتشجعي، لانك باحتكارك جميع الآلام لنفسك تحرمينني من نصفها. لقد كان ابني، لكنني انكرت الآن انتماءه اليّ. فانت من الآن وصاعداً ابنتي الوحيدة. اظن انه ذهب الى فلورنسا!

الوجيه الثاني : نعم يا سيدتي.

الكونتيس : لينخرط في سلك الجندية.

الوجيه الثاني : صدقيني، هذه رغبته السامية، وسيحيطه الدوق بكل الاكرام الذي يستحقه مستواه.

الكونتيس : هل انتما راجعان الى هناك؟

الوجيه الاول : اجل يا سيدتي، على جناح العجلة في اول عربة سريعة.

هيلانة : (تقرأ) « الى ان لا يعود لي من زوجة، لن تعني لي فرنسا اي شيء » هذا قول في غاية المرارة.

الكونتيس : هل هذا مذكور في الرسالة؟

هيلانة : نعم يا سيدتي.

الوجيه الاول : هذه ليست سوى فورة غضب لن يطاوعه قلبه على استمرارها.

الكونتيس : يقول: ان فرنسا لن تعني له شيئاً الى ان لا يبقى له زوجة.

ان كان في الدنيا مخلوق افضل من ابني، فهي حتماً هذه الصبية الممتازة التي تستحق زوجاً يخدمه عشرون احمق مثل ولدي، ويحبونها في كل حين كسيدتهم الكريمة. من كان برفقته عندما رأيته؟

الوجيه الاول : خادم فقط ووجيه عرفته فيما مضى.

الكونتيس : هو حتماً السيد بارول، اليس كذلك؟

الوجيه الاول : اجل يا سيدتي، هو نفسه.

الكونتيس : وهو شخص غبي سافل، يورِّط ابني في حماقات لا شأن له فيها.

الوجيه الاول : بالفعل يا سيدتي الجليلة، هذا الفتى غارق في القبائح والمعاصي ويتحتم عليه ان يقلع عن صحبته.

الكونتيس : اهلاً بكما، يا سيدي. ارجوك عندما تقابل ولدي ان تعلمه بان السيف لا يسترد الشرف المفقود. وعلاوة على ذلك، ارجوك ايضاً ان تسلمه الرسالة التي ساعطيك اياها.

الوجيه الثاني : نحن رهن اشارتك في هذ المهمة يا سيدتي، وفي كل مهمة تكلفيننا بها في سبيل قضية جديدة مثلها.

الكونتيس : اشكر لطفكما، وارجو ان ارد لكما هذه الخدمة الكبيرة. هل تريدان ان ترافقاني؟

(تخرج الكونتيس ويتبعها الوجيهان)

هيلانة : (وحدها) « الى ان لا يبقى لي من زوجة، لن تعني لي فرنسا اي شيء ». فرنسا لن تعني له اي شيء الى ان لا يبقى له من زوجة. لن تبقى لك زوجة يا روسيّون في فرنسا. فاستردّ اذاً جميع حقوقك. لاني طردتك من بلدك وعرّضتك لمخاطر حرب لا هوادة فيها، لاني أبعدتك عن مرح البلاط حيث كنت قبلة انظار احلى العيون لتصبح هدف السيوف القذرة. ايها الرصاص الاعمى الطائر بعنف على اجنحة اللهيب ضلّ طريقك وَضِع في الفضاء. اغلق وراءك الهواء الذي يشقه ازيزك بدون انقطاع ولا تمسّ سيدي بسوء. الرجل الذي سيطلق عليه النار، انا عينته للتربص به، والرجل الذي سيصوب سلاحه الى صدره المغامر، انا الحقيرة حرضته على

ذلك. واذا لم أتسبب في قتله اكون قد عجلت موته. فاولى بي ان اتعرّض للاسد المفترس حين يزأر تحت وطأة الجوع كي يمزقني بانيابه لاني استحق جميع مصائب العالم دفعة واحدة. لا، لا يجب ان تعود الى بيتك يا روسيّون. غادرة هذه الحرب حيث الجرح يمكن ان يقضي على اي انسان. اريد ان أرحل، لان حضوري هنا يبعدك عن اهلك. وهل يسعني ان امكث؟ كلا ثم كلا؛ عندما يهب الريح على هذا البيت آتياً. من الفردوس، عندما تسعفنا الملائكة اريد ان ارحل، لتوصل اليك النسمة الكئيبة نبأ هربي وتعزّي قلبك الحزين. اقترب ايها الليل، وغب ايها النهار لاني اود ان اتسلّل ملتفّة بأساي كالسارقة واختفي في أحلك الظلمات الفاحمة.

(تخرج).

المشهد الثالث

في معسكر امام فلورنسا

(تصدح الموسيقى. يدخل دوق فلورنسا وبرتران وسادة وضباط وجنود وغيرهم).

الدوق : (لبرتران) انت قائد فرساننا، وركن هام يدعم آمالنا،ونحن مستعدون لتلبية وعود طالعك الميمون.

برتران : هذا عبء ثقيل على كاهلي، على كل حال، سنسعى لمساندتك في امجادك حتى النفس الاخير.

الدوق : الى الامام اذاً. وكل املي ان يحالف الحظ سيوفنا ويقودنا الى النصر المجيد. إلبث في مستوى افكاري، وسترى فيّ صديق محبيك وعدوّ مبغضيك.

المشهد الرابع
في قصر كونت روسيّون

(تدخل الكونتيس ووكيل الصرف).

الكونتيس : يا للاسف، لماذا تعهدت بايصال هذه الرسالة اليّ؟ الم تتوقع ما اسفر عنه محتواها؟ وهي ما كتبت الا لهذه الغاية. اعد قراءتها.

وكيل الصرف : « انا ذاهبة لزيارة احد المعابد، لان ولعاً جسوراً قد مهّد لي ارتكاب خطأ جسيم يدعوني الى التكفير عنه بسيري حافية القدمين على الارض الباردة. اكتبي اليّ حتى عندما يترك ابنك مهنة حمل السلاح، ويعود اليك سيداً عزيزاً بأقرب وقت. أمّني له السعادة تحت سقف بيتك وفي كنف رعايتك: بينما انا في بعدي عنه اقدس اسمه بخشوع وهيام. اطلبي منه ان يسامحني على ما سببته له من متاعب. فقد قررت الانسحاب نهائياً من حياته مهما واجهت من مخاطر وتحملت من عذاب. هو طيب القلب وانا لاجل تحريره من ارتباطه بي بوثاق الزواج، لن احجم عن الارتماء في احضان الموت ».

الكونتيس : كم من الالم والشفاء يكمن في هذا التصريح المتصاعد من قلب جريح. انت يا بني لم تظهر في حياتك قلة تفكير إلا عندما حملتها على الرحيل هكذا. لو كنت تحدثت اليها لاقنعتها بالعدول عن مشروعها الاليم لكنها لم تترك لي مجالاً لابقائها عندي كما اتمنى.

وكيل الصرف : اعذريني يا سيدتي، كان علي ان اسلمك رسالته قبل هبوط الليل حتى يتسنى لنا العثور عليها. لكنها كتبت ان كل محاولة تذهب سدىً.

الكونتيس : اي ملاك سيبارك هذا الزواج العاق؟ لن ينجح الّا بفضل صلوات هيلانة. فأسأل الله ان يستجيب دعاءها وان يسامحه على ضلاله ولا ينزل به ما يستحقه من عقاب صارم. اكتب، اكتب يا رينالدو، الى هذا الزوج الغبي الذي لا يستحق هذه المرأة المثالية، وبيّن له ان ما قاله بحقها سخيف

غير معقول، وانه ادمى فؤادي بتصرفه الارعن. اجل، ارجوك ان تبرز، له شناعة ما اقدم اليه من طيش. عجل في تسليمه هذه الرسالة، لانه عندما يعلم برحيلها، قد يبادر الى الرجوع اليّ، وآمل ان تعود هي ايضاً حالما تدري بالامر لان حبها له عميق اصيل. ومهما كان عزيزاً عليّ، لست قادرة على عدم تقدير عواطفها في هذا المجال. ارجوك ان تعجل في ايصال هذه الرسالة اليه، لان قلبي مثقل بالهموم، والاعوام قد اضنت بنيتي واضعفت همتي. ولم اعد اتحمل ذرف الدموع السخينة وسهر الليالي، ولا يدفعني الى هذه البادرة إلا قلقي على مصير الاثنين معاً.

المشهد الخامس

عند اسوار فلورنسا

(يسمع وقع مسيرة عسكرية بعيدة. تدخل ارملة عجوز من فلورنسا ثم ديانا وفيولنتا ومريانا وبعض الأشخاص).

الأرملة : هيا تعالوا، اذا اقترب هؤلاء الجنود من المدينة نخسر جمال الطبيعة الذي نتمتع به.

ديانا : يقال ان الكونت الفرنسي قد ادّى لنا خدمات جليلة.

الأرملة : هناك اشاعة انه اسر قائداً من الأعداء، وانه بيده قتل شقيق الدوق المتمرد. لقد اضاعوا جهودنا بسلوكهم طريقاً مخالفاً. أنصتوا، ألا يمكن التعرف عليهم من اصوات ابواقهم؟

مريانا : هيّا بنا نرجع الى بيوتنا مكتفين بالقصة التي سمعناها. صدقيني يا ديانا، واحذري هذا الكونت الفرنسي. لأن، شرف العذراء هو ميزتها البارزة وهو ليس ارثاً يعوّض ويكتسب مثل الفضيلة.

الأرملة : اخبرت جارتي كيف اراد أحد الوجهاء من مرافقيك ان يستميلك.

مريانا : انا اعرف هذا اللعين. قتله الطاعون. هو محتال يدعى بارول، متآمر دساس يعمل لحساب الكونت. احذريهم يا ديانا لأن وعودهم وعهودهم وهداياهم ليست سوى مظاهر دعارة تتستر باسماء اخرى للتمويه. وقد ذهبت فتيات عديدات ضحايا غوايتهم ومكرهم. والبلية العظمى هي ان البتولة العريقة لا يسعها ان تمنع ضحايا جدداً من ان تلصق بالدبق الذي يهدّدهن، وانا في غنى على ما اعتقد، عن قول المزيد بهذا المعنى. انما النعمة التي تملكينها ستحفظك من كل شر، اذا لم تتعرضي لخطر سوى خسارة وداعتك.

ديانا : لا داعي للخوف عليّ.

(تدخل هيلانة متنكرة وملثمة بشال)

الأرملة : ارجو ذلك من كل قلبي. ها هي الملثمة بالشال تقترب منا. وانا واثقة بأنها ترغب في السكن عندي، لأن كثيرات يرغبن في ذلك. دعيني استجوبها. (لهيلانة) حفظك الله يا سيدتي، الى اين انت ذاهبة؟

هيلانة : الى المعبد. قولي لي، من فضلك، اين يبيت الزائرون.

الأرملة : في نزل الصلاح القريب من هنا، في جوار باب المدينة.

هيلانة : وهل يؤدي اليه هذا الدرب الذي نراه امامنا؟

الأرملة : اجل. (تسمع مشية عسكرية بعيدة) اسمعي، ها هم الجنود قادمون الينا. فاذا شئت ان تنتظري مرورهم ايتها الزائرة التقية، رافقتك الى هناك. إذ إني، لحسن حظك، اعرف صاحبة النزل المذكور.

هيلانة : هل انت صاحبته؟

الأرملة : اذا لم يزعجك ذلك.

هيلانة : شكراً. سأنتظرك.

الأرملة : هل انت قادمة من فرنسا؟

هيلانة : اجل يا سيدتي.

الأرملة : ستشاهدين هنا احد ابناء بلدك، وقد ادّى لنا خدمات جليلة.

هيلانة : ارجوك ان تقولي لي ما اسمه؟

ديانا : كونت روسيّون. هل تعرفينه؟

هيلانة : بسماع ذكره فقط كأحد النبلاء الشبان، لكني لم ابصره ابداً.
ديانا : مهما كان الأمر، هو فتى مشكور السلوك، هرب من فرنسا على ما يقال لأن الملك ارغمه على الزواج. هل تصدقين مثل هذا الخبر الغريب؟
هيلانة : نعم، بالطبع. هذه هي الحقيقة الناصعة، لأني اعرف زوجته.
ديانا : وفي خدمة الكونت وجيه يصفها باقبح النعوت.
هيلانة : ما اسمه، من فضلك؟
ديانا : السيد بارول.
هيلانة : انا من رأيه، لأنها اذا قورنت بالكونت الكبير النفس، لا يوجد فيها ما يستحق الذكر، مع اني لم اسمع احداً ينفي ما تتصف به من فضيلة فائقة.
ديانا : يا للأسف يا سيدتي، ارى ان زواج امرأة برجل لا يحبها هي عبودية لا تطاق.
الأرملة : لهفي عليها، اينما ذهبت ستكون كسيرة القلب (تشير الى ديانا) هذه الفتاة تستطيع ان تقوم حيالها بدور فعّال، اذا شاءت.
هيلانة : ماذا تقولين؟ هل تظنين ان الكونت العاشق يتمناها كغنيمة غير شرعية.
الأرملة : اجل، لأنه لجأ الى من يتمكنون من اغرائها، لتجود عليهم بمتعة يرجونها من فتاة مثلها. لكنها علمت بمآربهم فرفضت كل عروضهم حفاظاً على عفتها.

(يدخل حملة طبول وهم يقرعونها، وحملة اعلام خفاقة وفرقة من الجيش الفلورنسي بينهم برتران وبارول).

مريانا : حفظها الله من كل اذى.
الأرملة : ها قد وصل الجنود. فهذا هو انطونيو ابن الدوق البكر، وذاك هو اسكالوس.
هيلانة : اجده شاباً رائعاً.
ديانا : لكنه مع الأسف غير شريف (تشير الى بارول). وهذا من يجرّه الى الفساد. لو كنت زوجة هذا الخسيس لدسست له السم بدون تردد.
هيلانة : اياً منهما تعنين؟

ديانا : هذا القرد الملفوف رأسه بالشال. لكن، لماذا هو هكذا حزين؟
هيلانة : ربما بسبب جرح تلقاه اثناء المعركة.
بارول : وربما فقد طبله.
مريانا : لا بدّ من ان يكون مستاءً من أمر ما. انظريه كيف لاحظنا.
الأرملة : تبًا لك.

(تنحني احتراماً لبارول)

مريانا : (للأرملة) تباً لما تبديه من اعتبار حيال هذا الفاسق الدنيء.

(يخرج برتران وبارول مع الجنود).

الأرملة : لقد مرّ الجنود. تعالي ايتها الزائرة لأدلّك على نزلك. هناك اربعة او خمسة تائبين قد نذروا ان يزوروا المعبد متبركين، وهم الآن هنا.
هيلانة : اشكرك بكل تواضع. (تشير الى مريانا وديانا) اذا كانت هذه الحيزبون وهذه الصبية الفاتنة ستتعشيان الليلة معنا، فانا اتكفّل بجميع النفقات والتشريعات. ولكي أفي بما يتوجب علي بصورة افضل، ازوّد هذه العذراء الشابة ببعض نصائحي الصائبة.
مريانا وديانا : نقبل دعوتك بطيبة خاطر.

المشهد السادس
في المعسكر الفلورنسي.

(يدخل برتران واثنان من السادة الفرنسيين).

السيد الأول : هيا يا سيدي العزيز، اختبره ودعه يتصرف على هواه.
السيد الثاني : اذا كنت سيادتك لا ترى فيه انساناً جباناً، فلن يسعك ان تقدرني حق قدري.
السيد الأول : اقسم بحياتي يا مولاي، ان هذه قشطة صافية.
برتران : اتظنني مغشوشاً به الى هذا الحد.
السيد الأول : صدقني يا سيدي، اني اقول لك ما اعرفه مباشرة وبكل صراحة، كأني اخاطب اخي بالذات. هذا محتال جبان ومنافق لا يشق له غبار لا ينقطع عن الكذب والخداع ولا يتحلى باية مزية مشكورة تستحق ما يحيطه به سيدك من رعاية.
السيد الثاني : من الأفضل ان تعرفه وإلّا، اذا تكلمت عن صفات لا يتحلى بها. هو أتى بما هو افظع، وانت اوليته ثقتك، فاستغلّك ثم تخلّى عنك وانت في امسّ الحاجة اليه.
السيد الثاني : اوَليس ذلك أولى من ان ندعه يذهب للبحث عن طبله في مهمة يعتدّ امامكم بالقيام بها بدون امهال.
السيد الأول : انا اترأس فرقة من الفلورنسيين، واتعهد بأن اباغته على حين غرة. لذلك سأتكل على من هم اهل للثقة وكلي ايمان بانه لن يرى فيهم اي عداء. فنوثقه ونعصب عينيه بطريقة يظن معها انه انتقل الى معسكر العدو ساعة نقوده الى خيامنا، بينما سيادتك تشرف على استجوابه. فاذا كان انقاذ حياته بداعي الخوف يؤكد لك انه لن يخونك او يبوح بما يعرفه عنا من معلومات سرية، وهو يقسم على صحة مضمونها، لا تحمل كلامي على محمل الجد ولا تثق بحكمي عليه.

السيد الثاني : دعه يأتي بطبله وهو يدّعي ان لديه خطة عجيبة، فنضحك عليه. وحالما ترى سيادتك عظم شجاعته ومن اي معدن هو الذي يظن نفسه انه من الذهب الخالص، اذا لم تعامله كغبي مغفل يكون تقديرك اياه في غير محله ولا يوجد لعلته دواء. ها هوذا.

(يدخل بارول).

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) دعنا نضحك قليلاً، ولا تعترض على مقصده. فليذهب على كل حال لجلب طبله.

برتران : (لبارول) يظهر، يا سيدي، ان هذا الطبل عزيز جداً على قلبك.

السيد الثاني : لا تفكر بالأمر كثيراً، فالمسألة لا تعدو كونها مسألة طبل ليس الا.

بارول : مسألة طبل ضاع هكذا، ويا لها من قضية جوهرية شغلت محمل الفرسان غالبية جنودنا.

السيد الثاني : القائد الذي كان يقود المعركة غير مُلام ابداً على فقدان هذا الطبل الذي يُعدّ كارثة حربية، لم يكن قيصر نفسه ليستطيع تحاشيها لو كان في موقف هذا القائد.

برتران : ليس لنا ان نشتكي من نجاحنا. صحيح أن خسارة هذا الطبل لا تشرفنا، انما لا سبيل الى الاستحصال عليه ثانية.

بارول : بل كان هذا ممكناً.

برتران : كان ذلك مستطاعاً. لكنه اضحى الآن مستحيلاً.

بارول : لا، لا. هذا لا يزال ممكناً. اذا لم يكن اصحاب الأعمال الباهرة مشكورين على فضلهم إلا نادراً، ساسترد هذا الطبل بطريقة عجيبة واحاول اعادته الى مكانه بسرعة على الأقل، مهما كلف ذلك من جهد وعناء. اجل سأقوم بهذه التجربة كانجاز نبيل. واذا نجحت فيها سيشكرك الدوق ويكافئك بصورة مرضية لائقة توازي براعة مسعاك.

بارول : اقسم لك اني سأنفذ ذلك على اكمل وجه.

برتران : لكن لن يبقى لك وقت للنوم.

بارول : سأباشر العمل منذ هذا المساء. وسأبدأ منذ هذه اللحظة بتدبير

وسائل العمل وشحذ كفاءتي لإكمال استعداداتي للفوز. وحول منتصف الليل لا بد من ان تبلغك اخباري السارة.

برتران : هل يسعني اعلام سيادته برحلتك الجريئة؟

بارول : انا اجهل ما هو مدى نجاحي، يا مولاي، انما اعاهدك على مثابرتي ومحاولتي بدون كلل للوصول الى ما نصبو اليه.

برتران : انا اعرف علو همتك، واقدر مهارتك وشجاعتك. فالى اللقاء.

بارول : انا لا احب كثرة الكلام.

(يخرج).

السيد الأول : ليس من يحب الماء اكثر من السمك. او لا يكون هذا الفتى مقداماً عندما يتكفّل بتأمين مثل هذه المهمة التي يعرف سلفاً انها تفوق طاقته ويتحمل مسؤوليتها ويفضّل ان يتلقى عليها اللعنة عوضاً عن التهرب من اعبائها

السيد الثاني : انت لا تعرفه يا سيدي كما اعرفه انا الواثق ببراعته بدون شك في التغلغل الى قلب اي رجل، والتملص خلال اسبوع من كل الوشايات. انما حين نكتشفه على حقيقته يظل على الدوام تحت رحمتنا.

برتران : هل تصدّق انه لن يفعل شيئاً من كل ما وعد بتنفيذه جديًّا؟

السيد الأول : ابداً. سيعود الى سيرته السابقة باختلاقات يدعمها بالكذب والغش كعادته. لكننا نحن له بالمرصاد. وهذه الليلة سينكشف امره وتراه كيف يقع في الفخ لأنه لا يستحق عطف سيادتك.

السيد الثاني : سنتسلى بمطاردته كالثعلب قبل ان نعرّيه من حيله. فلقد نال نصيبه من تأنيب السيد لافو. وعندما سنسلخ جلده المستعار عن لحمه النجس ستلمس هذه الليلة بالذات لمس اليد اي دجله اللعين المتربص بنا.

السيد الأول : عليّ ان اذهب واهيىء شركي لكي نوقعه فيه.

برتران : لا بد لشقيقك من مرافقتي.

السيد الأول : كما تشاء يا صاحب السيادة. تركتك بخير.

(يخرج).

برتران : الآن آخذك الى البيت واريك الفتاة التي حدثتك عنها.

السيد الثاني : تقول لي انها صبية شريفة.
برتران : هذه علتها الوحيدة. فقد كلمتها مرة ورأيتها باردة بشكل عجيب. فأرسلت اليها مع هذا المغرور الذي نراقبه، هدايا ورسائل، فردتها لي. هذا كل ما فعلته حتى الآن. الا تريد ان تصحبني لمشاهدتها؟
السيد الثاني : بكل سرور، يا مولاي.

(يخرجان).

المشهد السابع

من فلورنسا داخل بيت الأرملة

(تدخل هيلانة والأرملة)

هيلانة : اذا كنت لا تزال تشك بتأكيدي أني زوجته، لست ادري كيف اقنعك بدون ان اخسر ما ربحته في هذا المجال.
الأرملة : مهما كانت خسارة ثروتي جسيمة، انا استعيض عنها برفعة شأني، واتجاهل كل الدسائس والمؤامرات. لذلك لا اريد تشويه سمعتي بعمل مشين.
هيلانة : وانا لن اطلب منك ذلك ابداً. ثقي اولاً بأن الكونت زوجي، وان ما صرحت لك به هو حقيقي بحذافيره، وان يكن سرياً. ثقي اذاً بان المساندة التي اطلبها منك لا يمكن ان تؤول الى الفشل.
الأرملة : عليّ ان اصدقك، لأنك اثبت لي ان حظك كبير في النجاح.
هيلانة : خذي هذا الكيس المحشو ذهباً، فهو عربون تقدير مساعدتك الغالية. وانا مستعد لأن ادفع لك ضعفه مع الفائدة حالما احصل على النتيجة المرجوة. الكونت يغازل ابنتك ويحاصر جمالها من كل الجهات، وهو مصمم على الظفر بمفاتنها. فما عليها إلا ان تتظاهر بالموافقة على مسايرته حسب تعليماتنا.

وعندما تطغى عليه اشواقه اخيراً، لن يرفض لها طلباً. فالكونت يضع في اصبعه خاتماً ثميناً توارثته اسرته اباً عن جد منذ اربعة او خمسة اجيال نظراً الى ما لهذا الخاتم من قيمة باهظة. لكنه في حماسه وهوسه لا يستبعد ان يعطيه بدون مساومة، كما تقتضيه الظروف، ثم يندم بعد ذلك على تصرفه وتسرعه.

هيلانة : طلبه مشروع، كما ترى. فقط اريد من ابنتك قبل ان تبدي رغبتها في الاستسلام ان تلح في طلب خاتمه وان تعيّن له موعداً. واخيراً ان تخلي المكان وهي تفرض على ذاتها اعفّ انسحاب، وبعد هذا الاجراء اضيف الى بائنتها ثلاثة آف دينار فوق ما كنت اعطيتها.

الأرملة : انا موافقة. درّب اذاً ابنتي على كيفية تصرفها كي تتمكن من القيام بهذه اللعبة القذرة بنجاح في الزمان والمكان اللازمين. ففي كل مساء يأتي برفقته بعض الموسيقيين من جميع الفئات لإنشاد بعض الأغاني التي تشيد بجمالها وبخصالها بطريقة مبالغة. اذ لا فائدة من طرده عن نوافذها لأنه يظل متشبثاً كأن حياته متعلقة بها.

هيلانة : منذ هذا المساء سنحاول تنفيذ المؤامرة. فان نجحت يكون قد ظهر ما يبيّته من سوء نية يتبعها عمل جدي رصين من جهة، ومن حسن نية يتبعها على الأرجح عمل جدي ايضاً. وفي كلا الحالين ليس من خطأ رغم احتمال وقوع الغلط. فإلى العمل اذاً.

(تخرجان).

الفصل الرابع

المشهد الأول
في معسكر على ضوء القمر.

(يدخل السيد الأول يتبعه خمسة او ستة جنود ويختبئون في كمين).

السيد الأول : لا يمكن ان يأتي إلا من هذه الناحية من السياج. وحالما تباغتونه، خاطبوه بأقسى لهجة من السباب تعرفونها، وان لم تفهموا لغته، لأننا ننوي ان نتظاهر بعدم فهمها ما عدا واحد منا سنعتبره كترجمان.
الجندي الأول : اسمح لي يا سيدي ان اكون انا الترجمان.
السيد الأول : ألم يكن لك من علاقة سابقة به؟ ألا يعرف صوتك؟
الجندي الأول : كلا يا سيدي. أؤكد لك اني لا اعرفه.
السيد الأول : بأي لغة غير مفهومة سنجيبه؟
الجندي الأول : بلغة نخترعها لهذه الغاية.
السيد الأول : لا بد من ان نوهمه اننا عصابة اجنبية نعمل لحساب العدو. وهذا له ألوان متعددة من اللهجات المتقاربة. فعلى كل واحد منّا ان يتكلم بلهجة مختلفة على هواه بدون ان نعرف ماذا نقول، بشرط ان نتظاهر بأننا نتفاهم، وهذا يكفي لتحقيق مشروعنا، حتى ان كان كلامنا كنعيب الغراب، المهم ان نصل الى مبتغانا. اما انت فعليك ان تظهر بمظهر سياسي محنّك،

لا سيما بغطرستك وعنجهيتك. ها هوذا قد عاد ليقضي ساعتين في نوم عميق، ثم يعود ليغدق على الجماعة سيل كذبه وسبابه وخداعه، حسب ما يوحي اليه دهاؤه وابتكاره.

(يدخل بارول)

بارول : الساعة الآن العاشرة. بعد ثلاث ساعات يحين اوان رجوعه. ماذا اقول له اني فعلت؟ لا بد من اختلاق اعذار مقنعة. ها هو قد أخذ يشم رائحة الخيبة والمذلة التي بدأت تطرق بابه. لا شك في ان لهجتي ستكون قاسية. لكن قلبي، بعد ان اوهمته اني خائف من مباغتات إله الحرب ومن اعوانه، لا يجرؤ على مساندة ادعاءات لغتي المبهمة.

السيد الأول : (على حدة) هذه مقدمة لهجتك الجانية.

بارول : اي شيطان دفعني لاختلاق قصة هذا الطبل الضائع، لا سيما انا اجهل قضيته ولا اعرف بالضبط نواياه. يجب عليّ ان اصطنع لنفسي بعض الجراح وان ادعي اني تلقيتها اثناء المعركة. انما الجراح الخفيفة لا تفيدني، اذ يقال لي: هل خرجت من المعمعة بخدوش بسيطة؟ ولا اجرؤ ايضاً على اصطناع جراح بليغة. فما العمل؟ من اين آتي بالبراهين؟ لا بد من ان اصون لساني ولا اتفوّه بما يثير الشبهات حولي، بل اتذرع بصمت حذر، اذا تورطت بموقف حرج.

السيد الأول : (على حدة) هل من المحتمل ان يعرف من هو، وان يقابله بمثل تصرفه؟

بارول : اتمنى ان يكون تمزيق ثيابي كافياً نظير كسر سيفي الإسباني.

السيد الأول : (على حدة) لا يسعنا ان نؤمن لك ذلك.

بارول : اذاً سأحلق لحيتي وادّعي ان ذلك خدعة حربية.

السيد الأول : (على حدة) لن تنطلي هذه الحيلة.

بارول : أو أن ادفن ثيابي وادّعي ان لصوصاً عرّوني اثناء الطريق.

السيد الأول : (على حدة) قد لا تفيد هذه الوسيلة.

بارول : واذا اقسمت باني نفذت من كوّة القلعة...

السيد الأول : (على حدة) من اي علّو؟

بارول : من علوّ ثلاثين باعاً.
السيد الأول : (على حدة) الحلفان المثلث لا يحمل احداً على تصديق ذلك.
بارول : ان احصل على اي طبل من طبول العدو، وأقسم باني انا انتزعته.
السيد الأول : (على حدة) ستسمع قرع احدها في الحال (يُقرع طبل).
بارول : هذا الآن طبل عدو.
السيد الأول : (يهجم على بارول) تروكا مافوسو كاركو كاركو كاركو.
الجميع : (يهجمون) كاركو كاركو فيليان بار كاربو كارلو.
بارول : النجدة النجدة. (يقبض عليه الجنود ويعصبون له عينيه) لا، لا تعصبوا لي عينيّ.
الجندي الأول : بوسكو تروفولدو بوسكو.
بارول : ارى انكم فرقة من جنود التتر. اسفاً على حياتي، لأني لا افهم لغتكم. إن وجد بينكم ألماني او دانمركي او هولاندي او ايطالي او فرنسي ارجو ان يخاطبني بلغته، وسأبوح له باسرار تهلك الفلورنسيين.
الجندي الأول : بوسكو فوفادو. انا افهمك واتكلم لغتك كيريلييبونتو. يا صديقي، ابتهل لربك وتضرع اليه، لأن سبعة عشر خنجراً ستخترق صدرك وتمزق قلبك.
بارول : يا الهي.
الجندي الأول : اجل ابتهل وتضرّع. منكا ريفانيا دولشي.
السيد الأول : أشكوربي دولشو فوليبوركو.
الجندي الأول : القائد يوافق على ابقائك حياً. وسنأخذك اليه معصوب العينين لكي يتقصّى معلوماتك. فربما لبعض ما توحيه اليه يعفو عنك.
بارول : اتركوني على قيد الحياة، وانا اطلعكم على اسرار معسكرنا وعلى قواتنا وخططنا. اجل ساطلعكم على امور تدهشكم.
الجندي الأول : المهم ان تقول الحقيقة.
بارول : اذا شككتم بكلامي، تستطيعون قتلي.
الجندي الأول : اركوندو لينتا. هيا بنا. سنمنحك مُهلة.

(يخرج مصطحباً باروك تحت الحراسة).

السيد الأول : (لأحد جنوده) اذهب وقل للكونت روسيّون ولأخي، اننا القينا القبض على الثرثار، واننا سنحتفظ به معصوب العينين الى ان تصلنا اخبارهم.

الجندي الثاني : انا ذاهب يا سيدي.

السيد الأول : لا تغفل عن اعلامهم بأنه مستعد أن يخون جماعته لإرضائنا.

الجندي الثاني : نعم، يا سيدي.

السيد الأول : حتى ذلك الحين سأحتفظ به في مكان حريز وتحت الحراسة المشددة.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في فلورنسا داخل غرفة في بيت الأرملة.

(يدخل برتران وديانا)

برتران : قيل لي انك تدعيني فونتيبال.

ديانا : لا يا سيدي الكريم، انا اسمي ديانا.

برتران : هذا اسم الهة وانت تستحقينه مع كل النعوت الجميلة. لكن يا صاحبة النفس الكبيرة، ألم يداعب الحب قلبك الحنون؟ اذا لم يخالج حماس الشباب صدرك الى الآن تكونين فتاة غريبة بل تمثالاً من الحجر البارد الخالي من العواطف، وعليك ان تتشبهي بوالدتك حين حبلت بشخصك اللطيف.

ديانا : كانت امي اذاً فاضلة.

برتران : وانت ستكونين مثلها.
ديانا : كلا، كانت والدتي تقوم بواجب كما هو مفروض عليك نحو امرأتك يا سيدي.
برتران : ارجوك ان تكفي عن هذا الكلام. لا تعارضي افكاري. انا ارتبطت بها عنوة. لكن احبك انت باخلاص، تدفعني اليه انوثتك وتجعلني رهين اشارتك لأخدمك راضياً مسروراً.
ديانا : اجل انتم الرجال تخدموننا لنخدمكم بدورنا. لكن حين تتنشّقون شذى ورودنا لا تتركون لنا سوى اشواكنا لتمزق ايدينا، وتعيّروننا بما تجرّدوننا منه.
برتران : كم مرة اقسمت لك...
ديانا : الاخلاص لا يقوم على عدد الحلفان، انما على المعاملة البسيطة البريئة التي تخصّوننا بها. نحن لا نقسم إلا بكل مقدس، ورب السما يشهد على صدق نيتنا. لكن قل لي ان اقسمت بكل ما هو سامٍ باني احبك من كل قلبي، هل تصدقني ولو لاحظت اني اهواك بطريقة اجرامية؟ فالحلفان ليس مقبولاً اذا تعهدت باسم من اعبده بأني سأتصرف خلافاً لشرائعه. هكذا قسمك ليس الا كلام، واحتجاجاتك هزيلة ينقصها الطابع الأصيل، على الأقل في نظري.
برتران : التمس منك ان تغيّري رأيك فيّ، وان لا تكوني هكذا قاسية في حكمك علي فحبي مقدس ووفائي لا يعرف التكلّف الذي يتهم به الرجال. فلا تترددي بل بادليني عواطفي المريضة لكي تصح، قولي لي انك لي، وسيدوم حبي لك كما بدأ نزيها مخلصاً.
ديانا : انا ارى ان الرجال لا يصدقون في مثل هذه القضايا، واننا نخدع انفسنا اذا اعتبرناهم صادقين. اعطني هذا الخاتم كعربون مودتك لعله يقنعني بحسن نيتك.
برتران : ساعيرك اياه يا عزيزتي، لأني لا املك الحق بالتنازل عنه.
ديانا : انت لا تريد اعطائي اياه، يا مولاي.
برتران : هذا شعار شريف يخص اسرتنا، وقد ورثته عن ابي وجدي، وعار علي ان افقده.

ديانا : بتوليتي تشبه خاتمك، وعفتي هي جوهرة اسرتنا وقد ورثتها عن امي وجدتي وفقدانها سيكون افظع عار الوّث به سمعتي. وهكذا ارى ان تحفظك تحميس لحذري في صدّ هجماتك المتكررة.

برتران : هيّا خذي خاتمي. فانا اهبك شرفي وقلبي وحياتي واطيع اوامرك.

ديانا : (تأخذ الخاتم الذي يناولها اياه برتران) عند حلول منتصف الليل، اطرق نافذة حجرتي، وسأتدبر امر دخولك بشكل لا يدع امي تدري بوجودك، لكني احذرك باسم الوفاء، حين تندس في فراشي الطاهر ان لا تمكث فيه اكثر من ساعة وان لا تنبس ببنة شفة. ولطلبي هذا اسباب قاهرة ستقف عليها عندما ارد لك هذا الخاتم. في هذه الليلة سأضع في اصبعك خاتماً يثبت لك في مستقبل الأيام اجتماعنا هذا. الوداع الآن. لا تتأخر، فقد ربحت بشخصي زوجة وفية، وانت تحرمني من كل امل في البقاء مخلصة.

برتران : في احضانك اجد الجنة على وجه الأرض.

(يخرج).

ديانا : (وحدها) ارجو ان تعيش لتشكر الله وتشكرني. لأننا حتماً نجتاز مرحلة دقيقة. فوالدتي انبأتني بالطريقة التي سيغازلني بها مالك قلبي. وقد اكّدت لي ان جميع الرجال يقسمون على الوفاء، وقد اقسم هو ايضاً ان يتزوجني عندما تموت امرأته. وانا راضية بأن استريح بقربه عندما ادفن في بطن الأرض. وبما ان الفرنسيين هم خداعون الى هذه الدرجة، فليقترن بمن يشاء لأني اريد ان اغشه وأصبح هكذا خائنة حقيرة.

(تخرج).

المشهد الثالث

في خيمة ضمن المعسكر الفلورنسي ينيرها مشعل موضوع على مائدة.

(يدخل سيدان فرنسيان يتبعهما ثلاثة جنود).

السيد الأول : الم تسلمه رسالة والدته؟

السيد الثاني : اجل اعطيته اياها منذ ساعة. وقد قرأ في سطورها ما قلب مزاجه رأساً على عقب كأنه امسى رجلاً آخر.

السيد الأول : لقد جلب على رأسه ملامة استحقها برفضه زوجة صالحة وسيدة رائعة.

السيد الثاني : وعرّض نفسه لاستياء الملك الذي حجب عنه رضاه ورعايته الوارفة. ساطلعك على امر ستحفظه في اعماق صدرك.

السيد الأول : عندما تقوله لي سأحرص على ابقائه في سرّي، كأنه في صندوق مقفل.

السيد الثاني : لقد استمال هنا في فلورنسا سيدة صبية، عفيفة نقية، بعد أن اعطاها خاتمه الذي ورثه عن اجداده، لأنه يعتبر نفسه اسعد الرجال بهذا الحب المشبوه.

السيد الأول : وقانا الله شر الضلال لأن اوضاعنا ليست على ما يرام.

السيد الثاني : نحن خونة بحق انفسنا. وكما يجري في سائر المؤامرات، نرى الدساسين يتحادثون فيما بينهم عن آمالهم ومراميهم حتى يروا نواياهم تنقلب عليهم ويرتدّ كيدهم الى نحرهم. وهكذا ستشقيه مكيدته الخاصة إذ ينزل به الويل ويتدهور نبله الى الحضيض ويذيع سره المخذي.

السيد الأول : اولا تدور في رؤوسنا دسيسة خفية سافلة تفسر نوايانا الشريرة. اعتقد بأنه لن يكون هذا المساء بصحبتنا.

السيد الثاني : لن يتسنى له ان يوافينا إلا بعد منتصف الليل. لأنه مرتبط بموعد في ساعة متأخرة.

السيد الأول : وهذه الساعة تقترب بسرعة فائقة. على كل حال يسرني ان يحضر مناقشة رفيقه، ليأخذ فكرة عن حكمة الشخص بعد تقديره كثيراً هذا البطل المزيف.

السيد الثاني : لن نهتم بهذا الرجل قبل وصول الكونت، لأن حضوره يسحق قلب هذا الشقي.

السيد الأول : بانتظار ذلك، ارجوك ان تفيدني عن مجرى الحرب.

السيد الثاني : سمعت انه مهّد الطريق الى تحقيق السلم.

السيد الأول : لذلك استطيع ان اطمأنه بأن الصلح قد تمّ.

السيد الثاني : وماذا يفعل كونت روسيون عندئذٍ؟ هل يسافر الى مكان آخر ام يعود الى فرنسا.

السيد الأول : ألاحظ من هذا السؤال انك غير مطلع على مشاريعه.

السيد الثاني : بل بالعكس، يا سيدي، انا مشترك فعلياً في جميع اعماله.

السيد الأول : منذ شهرين يا سيدي، هربت زوجته من قصره بحجة قيامها بزيارة احد المعابد، وتمّت هذه الزيارة بخشوع لا يوصف، وفيما هي تقضي هنا بعض الوقت تعرضت نفسيتها الى أقسى التجارب وذهبت ضحية حزنها وفارقت الحياة اخيراً، وهي ترتع الآن في الأخدار السماوية.

السيد الثاني : ماذا يثبت صحة ما تقول؟

السيد الأول : اولاً رسائلها التي تؤكد حكايتها حتى حين وفاتها. وموتها ذاته الذي لم تستطع ان ترويه، قد اكده كاهن تلك المنطقة.

السيد الثاني : وهل علم الكونت بأمرها؟

السيد الأول : اجل، بكل التفاصيل الخاصة التي تبرهن على صدق الحقيقة.

السيد الثاني : وما يمزق قلبي أسىً هو انه مسرور لحدوث ذلك.

السيد الأول : كم نستعجل احياناً في تعزية انفسنا، بالتشفي من شقاء قلوبنا.

السيد الثاني : وكم نستعجل ايضاً رؤية شقائنا من خلال دموعنا، فنبل سمعته هنا يطغي على شر سلوكه المشين هناك.

السيد الأول : لا تنسى ان نسيج حياتنا سداه الخير ولحمته الشر، وان

فضائلنا تتشامخ علينا اذا لم تجلدها سياط التوبة عن ذنوبنا، وان فضائلنا ترزح تحت وقر قنوطنا اذا لم ترتفع بها مآثرنا الى فوق.

(يدخل احد الخدم).

اين سيدك، يا هذا؟

الخادم : صادف الدوق في طريقه واستأذنه بالانصراف. وسيرحل سيادته غداً الى فرنسا بعد ان تكرم الدوق عليه برسائل توصية الى الملك.

السيد الثاني : ستسعفه التوصية كما يلزم عندما تكون ملحّة.

(يدخل برتران).

السيد الأول : الملك مستاء الى درجة ان لا شيء يخفف حنقه. ها هو صاحب الجلالة. قل لي، هل اجتزنا منتصف الليل يا مولاي.

برتران : حكمت هذا المساء بايجاز في ست عشرة قضية كانت تستغرق كل واحدة منها شهراً كاملاً. استأذنت الدوق بالانصراف وودعت ذويّ ودفنت امرأتي ولبست عليها ثياب الحداد وكتبت الى سيدتي الوالدة اني عائد واكملت استعدادات رحيلي ورتبت هذه الطرود الكبيرة وارسلت عدة اشياء ضرورية وكان آخرها اهمّها، لكنها لم تصل بعد.

السيد الثاني : مهما كانت المسألة صعبة، اذا كنت جلالتك تنوي ان تبارح هذا المكان اليوم صباحا، عليك ان تعجل في الرحيل.

برتران : اقول انها لم تصل بعد، واخشى ان اسمع عنها كلاماً لا يرضي في المستقبل. هل سيبلغنا قريباً ما نترقبه من حوار بين الجندي وهذا الجبان؟ هيا اكشف لي حقيقة هذا المولى المزيّف الذي خدعني اذ ليس كل ما يبرق ذهباً.

السيد الثاني : (لبعض الجنود) خذوه. (يخرج الجنود) هذا الفتى المسكين قضى الليل بطوله بين شجيرات العنب فسكر.

برتران : هذا امر بسيط. لقد نالت من قدميه شدة الإرهاق، بعد أن اعمل طويلاً مهمازيه ببطن جواده فجمح به. كيف حاله الآن؟

السيد الأول : سقط كما اخبرت بذلك سيادتك، وهذه الشجيرات ساعدته. انما لكي اجيبك حسب رغبتك اقول انه ينوح كفلاّحة دلقت كل حليبها

على الأرض. فلقد اعترف بأخطائه وذنوبه لموركن الذي ظنه راهباً، منذ ذكرياته الأولى حتى الساعة المشؤومة التي استقر فيها على هذه الشجيرات. فبماذا تظنينه قد اعترف؟

برتران : بشيء لا يمسني، أليس كذلك ؟

السيد الثاني : أنا كتبت اقراري وسيتلى عليه. فاذا كان الأمر يتعلق بسيادتك كما اعتقد، ما عليك إلا أن تكون طويل البال حتى تسمع كل ما تشاء.

(يعود الجنود وبرفقتهم بارول معصوب العينين).

برتران : قتله الطاعون. عيونه معصوبة. اذاً لا يمكنه ان يقول كلمة واحدة عني. لنلزم الصمت.

السيد الأول : احذر لعبة المطرقة والسندان. كراشو ترطاسا.

الجندي الأول : (لبارول) هو يطلب تعذيبك. ماذا انت مستعد ان تقول بدون اشراكه في الكلام.

بارول : سأبوح بما اعرفه بدون ان يجبرني احد، واذا سحق لحمي بالمرهم لن افوه بحرف واحد.

الجندي الأول : بوسكو سيموركو.

السيد الثاني : بوبليزو شيكور مور كو.

الجندي الأول : (يأخذ ورقة) انت قائد حكيم. ضابطنا يأمرك بالإجابة على الأسئلة التي سأطرحها عليك بموجب هذه المذكرة.

بارول : سأجيب عليها بصراحة لا يمكن الشك فيها كأملي في الحياة.

الجندي الأول : (يقرأ) اسأله اولاً ما هو عدد فرسان الدوق؟ وما هو رأيك فيهم؟

بارول : لديه خمسة او ستة آلاف حصان، لكنها متعبة وليست صالحة للخدمة. وجنوده كلهم مشتتون ورؤساؤهم جماعة من المساكين الحائرين. اقسم لك بشرفي وبحياتي التي اتشبث بالمحافظة عليها باني اقول الحق.

بارول : اجل، اقسم باني لا اقول سوى الحق مهما عرضت عليّ.

(يكتب الجندي).

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) لا شيء يهمه. تبّا له من محتال مكّار

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) انت مخطىء يا سيدي. هذا الرجل الماثل امامك اسمه بارول، هذا الجندي الباسل كما يقول هو عن نفسه، يحمل كل مشاكل الحرب في طيّة شاله، وكل خبرته في قراب خنجره.
السيد الثاني : (بصوت خافت) من الآن وصاعداً لن اثق بأي انسان لمجرّد نظافة نصلته، ولن اصدق اقواله لمجرد اناقة ثيابه.
الجندي الأول : هذا مكتوب.
بارول : اجل، اكرر خمسة او ستة آلاف حصان او ما يقارب هذا العدد. اكتب تقريباً، لأني لا اريد ان اقول إلا الحقيقة.
السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) قوله اقرب ما يكون الى الواقع.
برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) لكني لا اقدّر ابداً صراحة من هذا النوع.
بارول : (للجندي الأول) أوصيتك يا مسكين ان لا تنسى شيئاً.
الجندي الأول : هذا ايضاً مكتوب.
بارول : اشكرك بتواضع يا سيدي. فالحقيقة واحدة لا تتغير. وهؤلاء هم في الواقع مساكين.
الجندي الأول : (يقرأ) اسأله ما هو عدد الخيالة؟ وما هو رأيه فيهم؟
بارول : لعمري، انا لا اقول سوى الحق ولو بقي من عمري ساعة واحدة فقط. هيّا اكتب، سبوريو: مئة وخمسون، سيبستيان: مثله، كورمبوس: مثله، يعقوب: مثله، كيلْتيان وكوسمو ولودفيك وكراتيي، كل واحد منهم: مئتان وخمسون. وفرقتي انا شينوفر، وفوموند، وبنتيي كل واحد منا مئتان وخمسون. فيكون المجموع خمسة عشر الفاً، نصفهم لا يجرؤ على السقوط رغم خوذهم، مخافة ان يتهشموا الى مئات القطع المتناثرة.

(الجندي الأول يكتب).

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) ما هو مصيره؟
السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) الشكر على معلوماته القيمة. (بصوت خافت للجندي) اسأله عن اخلاقي، ثم عن مكانتي لدى الدوق.
الجندي الأول : كتبت كل هذا. (يقرأ) اسأله ايضاً اذا كان في المعسكر

رجل فرنسي يدعى الضابط دوماين، ثم ما هي سمعته وما هي معنوياته وادبياته وخبراته في الحرب، واذا كان يعتقد بامكان تحريضه بالذهب الرنان على الثورة والعصيان. وما رأيه بذلك؟ وماذا يعرف عنه شخصياً؟

بارول : استحلفك بان تسمح لي في هذا المجال ان اجيب عن كل سؤال على حدة بنداً بنداً.

الجندي الأول : هل تعرف الضابط دوماين؟

بارول : اجل اعرفه جيداً. كان متمرناً عند رجل يتعاطى اشغال الرفو في باريس ومان نصيبه الطرد، لأنه اعتدى على فتاة قاصرة من دار رئيس الشرطة فحبلت منه وهي خرساء مغفلة لم تستطع صدّه.

(يهدد السيد الأول الغاضب بارول بقبضة يده).

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) العفو، جمّد يدك الآن، فربما سقطت قرميدة على رأسه وانتقمت لك منه.

الجندي الأول : وهل هذا الضابط موجود حالياً في معسكر دوق فلورنسا؟

بارول : على ما اعلم، هذا الصعلوك الذي يأكل القمل بدنه، هو الآن هناك.

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) لا تنظر اليّ هكذا شذراً، ستسمع في الحال ما يخص سيادتك.

الجندي الأول : (لبارول) ما هو وضعه بالنسبة الى الدوق؟

بارول : الدوق لا يعرفه إلا كضابط مسكين تحت إمرته. وفي ذلك النهار كتب اليّ لكي اطرده من الفيلق. واظن ان الرسالة لا تزال في جيبي.

الجندي الأول : لعمري، لا بدّ من البحث عنها.

(يتقدم نحو بارول وينبّشه).

بارول : لنتكلّم جدياً. لم اعد ادري اين وضعتها بالضبط، اهي هنا ام في خيمتي؟ ربما في ملف مع سائر رسائل الدوق.

الجندي الأول : (يسحب ورقة) ها هي الورقة. اتريد أن أقرأها لك؟

بارول : لست ادري إن كانت هذه هي الورقة بالذات او لا.

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) كيف يقوم ترجماننا بوظيفته؟

السيد الأول : على احسن ما يرام.

الجندي الأول : (يقرأ) الكونت، يا ديانا، رجل احمق، محمل ذهباً.
بارول : هذه ليست رسالة الدوق يا سيدي. هذا تنبيه موجّه الى فتاة شريفة من فلورنسا، من قبل كونت روسيون، الرجل الغبي الفاسق المهووس. ارجوك ان ترد لي هذه الورقة.
الجندي الأول : لا، إسمح لي أوّلاً ان اتمّ قراءتها.
بارول : انا احتج، لأني اريد هنا ان اكون اكثر احتراماً نحو الفتاة. فانا اعرف الكونت الشاب، وهو خطر جداً، لأنه يشبه الحوت الذي يفترس البتولات كالسمكة الكبيرة التي تبتلع كل سمكة صغيرة تصادفها في طريقها.
برتران : (على حدة) تبّا له من محتال لعين.
الجندي الأول : ان كان يغدق على الناس وعوده العرقوبيّة، قل له ان يترك الذهب، جانباً، لأنه قلما يدفع ثمن ما يأكل. اما الصفقة التي يصبو اليها، فلكي تتمّ يجب ان يتحقق نصفها على الأقل. فما عليه الاّ أن يعمل، ثم يعقد الصفقة. وما دام لا يدفع اي عربون، دعه يدفع سلفاً كل القيمة. اخيراً، صدقيني انا الجندي، يا ديانا، وتعاطي مع الرجال، واياك ان تعانقي الأولاد. اتكلي على الكونت المغفل لأني اعرف جيداً انه يدفع سلفاً كما قلت لك، لكن ليس في الوقت اللازم، كما همس لك في اذنك ».
التوقيع: بارول
برتران : (على حدة) سيجلد امام افراد الجيش، وعلى جبينه هذه الأقوال الخبيثة.
السيد الثاني : (على حدة) هذا يا سيدي، هو صديقك المخلص العالم المتعدد اللغات والجندي المعتدّ بمقدرته.
برتران : (على حدة) الى الآن لم اكره الا الذئاب، وهذا الرجل في نظري ذئب شرس.
الجندي الأول : (لبارول) ألاحظ يا سيدي، من محيا القائد ان انضمامك الى صفوفنا يسرّه كثيراً.
بارول : انا يا سيدي، اتشبث بحياتي واحافظ عليها بأي ثمن، لا لأني اخشى الموت، بل لأن ذنوبي عديدة، واريد ان اقضي باقي العمر بالتوبة

والتكفير عنها. فاتركني على قيد الحياة يا سيدي، في السجن، أو مربوطاً الى عمود، حيث تشاء. المهم ان اعيش.

الجندي الأول : سنرى ما يمكن عمله اذا واصلت اعترافاتك بصدق وبدون تحفظ. لنعد الى الضابط دوماين. لقد أفدتني عن مكانته لدى الدوق وعن مهارته. فماذا تعرف عن اخلاقه؟

بارول : هو رجل لا يتورع عن سرقة البيضة من تحت الدجاجة. كذلك لا شيء يردعه عن الاغتصاب والخطف. وهو لا يفي بوعوده ولا يمنعه شيء عن نقض عهوده وايمانه. يكذب بسهولة كأنه يقول الحقيقة، ويدمن على السكر كأنه فضيلة، وهو دوماً ثمل قذر كالخنزير، يصبح ويمسي على عمل الشر دون ان يحجم عن زرع الفساد وارتكاب الموبقات. عاداته معلومة ولا مزيد لسفالته ولقلة مروءته. بالاختصار فيه من النقائص كل ما في الرجل اللئيم، وليس فيه اية مزية حميدة تشفع بمعاصيه.

السيد الأول : (على حدة) بت اودّ معرفته بسبب ما ذكرته لي عنه.

برتران : (على حدة) لأجل هذه الأوصاف التي لا تشرفه! قتله البرص. انا اراه شبيه الذئاب تماماً.

الجندي الأول : (لبارول) وماذا تقول عن خبرته في فنون الحرب؟

بارول : بذمتي يا سيدي، اؤكد لك انه قرع الطبل امام المهرجين الإنكليز. ولا اريد ان اضيف اليه اية نميمة. هذا كل ما اعرفه عن خبرته العسكرية. مع ذلك، في هذا البلد، مكان يدعى « مايل اند » خدم فيه كضابط لجمع الجنود في فرقة البهلوانيين. هكذا اردت ان اكرمه بقدر ما يستحق، في هذا المجال، ولست ادري ان كنت وفيته حقه.

السيد الأول : (على حدة) ارى الغيظ يلازمه الى حد انه يجمع الشرور في قبح سلوكه.

برتران : (على حدة) قتله الطاعون. هو في نظري ليس إلا ثعلب مراوغ غدار.

الجندي الأول : (لبارول) بما ان صفاته هكذا سيئة فلا غنى لي عن سؤالك اذا كان الذهب يغرّه ويدفعه الى الثورة والتمرد؟

بارول : نظراً الى خسة طبعه يبيع خلاصه بربع دينار، فيتخلى عن الجنة ويحرم منها احفاده الى الأبد.

الجندي الأول : وماذا تقول عن اخيك الضابط الثاني دومايين؟

السيد الثاني : (على حدة) لماذا تراه يسأله عني؟

الجندي الأول : (على حدة) ما صنف هذا الرجل؟

بارول : هو غراب من نفس الفصيلة، لا يساويه ابداً في الخير بل يفوقه شراً وفساداً. وكجبان، يسبق اخاه، مع ان هذا الأخير شهير بخساسته. ففي التراجع والفرار لا جبان يضاهيه، اما في الهجوم فقدماه تتسمّران في الأرض على الدوام.

الجندي الأول : اذا أنقذنا حياتك، هل تتعهد بخيانة الفلورنسيين؟

بارول : نعم، مع ضابط الفرسان كونت روسيّون.

الجندي الأول : سأبادل القائد بضع كلمات بصوت خافت لأعرف ما هو قراره؟

بارول : (على حدة) لا اريد أن يكلمْني احد بعد الآن عن الطبل. سحقاً لجميع الطبول. انما لكي اخدم هذا الكونت الشاب المتهتك واوصي اليه بالثقة، قد القيت بنفسي في المهالك. لكن، من كان يفكر بنصب مثل هذا الكمين الذي اوقعني في الفخ؟

الجندي الأول : لا خلاص لك يا سيدي، يجب ان تموت. يقول القائد: بما انك حنثت بيمينك وبحت بجميع اسرار الجيش وبينت للعدوّ اعداد المحاربين وكشفت هكذا عن طبيعة سلاح النبلاء، فانت لا تتحلى بأي شرف في هذه الدنيا. وبالنتيجة يجب ان تموت. هيا، يا جلاد اقطع رأسه.

بارول : يا الهي. دعني على قيد الحياة يا سيدي. دعني انتظر ساعة وفاتي.

الجندي الأول : (يعصب له عينيه) شاهد الآن موتك يا مسكين وودع اصدقائك ثم اجل بصرك فيما حولك. فهل تعرف هنا احداً.

برتران : نهارك سعيد ايها الضابط النبيل.

السيد الثاني : عافاك الله ايها الضابط بارول.

الجندي الثاني : ماذا تقصد ان تقول لسيدي لافو ايها الضابط، فأنا ذاهب الى فرنسا.

السيد الأول : ايها الضابط الكريم، هل تريد ان تزودني بنسخة من القصيدة التي نظمتها لديانا تكريماً لكونت روسيون؟ لو لم تكن جباناً حقيراً لكنت جابهتك واخذتها منك بالقوة. لكن، الوداع.

(يخرج الجميع ما عدا بارول والجندي الأول).

الجندي الأول : لقد خسرت كل شيء ايها الضابط، ولم تعد تملك سوى شالك.

بارول : من لا يتوقع دماره وخراب بيته على اثر اكتشاف اشتراكه في مؤامرة خطيرة؟

الجندي الأول : إن تمكنت من ايجاد بقعة تحتقر فيها المرأة بقدر ما نابني من الازدراء يسعك حينئذٍ ان تكون زعيم امة من السفهاء. اتمنى لك العافية يا سيدي، انا ايضاً ذاهب الى فرنسا وسنتحدث عنك هناك.

(يخرج).

بارول : (وحده) الحمد لله على كل حال. مهما كان قلبي كبيراً فهذا الوضع يحمله على الإنفجار. لا اريد ان اظل ضابطاً بعد الآن. لكني اريد أن آكل واشرب بأمان كأي مخلوق في الدنيا. يجب ان اكون بكل بساطة فقط كما انا في الحقيقة لأعيش على هواي. فمن يعرف نفسه انه جبان عليه ان يلتزم الحذر دائماً. أن الجبان لا بد له يوماً من يصنّف كحمار. إصدأ يا سيف، وغبْ يا خجل. وانت يا بارول عش بهوان في احضان العار والذل. لقد اصبحت سخيفاً بل في غاية السخف. وما دام في هذه الدنيا نصيب من الموارد والمكان لكل رجل، هيا اذهب الى حيث يدعوك مصيرك المحتوم

(يخرج).

المشهد الرابع
في فلورنسا عند الأرملة.

(تدخل هيلانة والأرملة وديانا).

هيلانة : لكي اقنعك باني لم اظلمك سيفصل بيننا كبير الأمراء، وامام عرشه سأجثو قبل إنجاز مشاريعي. منذ مدة ادّيت له خدمة جليلة عزيزة على قلبه كحياته، خدمة تهز عواطف الجلاد المتحجر وتستدرّ رأفته والحنانة. علمت ان سموّه كان في مرسيليا، ولكي اذهب الى تلك المدينة وجدت قافلة على اهبة الرحيل، وكان الجميع يعتقدون اني مائتة. كان الجيش ممزقاً فرجع زوجي الى القصر، وكنت آمل، باذن مولاي الملك، ان اعود قبل وصول ضيفنا.

الأرملة : يا سيدتي اللطيفة، لم يكن لديك سابقاً خادمة امينة ترعى مصالحك.

هيلانة : ولا انت كان لك سيدة، او بالحري صديقة لتكافىء اخلاصك. لا تظني ان السماء قد ارسلتني لأمد يد العون الى ابنتك كما ساعدتني على ايجاد زوجي. لكن الغريب في الأمر ان يلجأ الرجال الى مداراة ما يكرهون، بينما ثقتهم في اشواقهم الغرامي المخذولة تنهار في ظلام الليل. فتدغدغ الدعارة ما تبغضه عندما يغيب الوعي عن بصائرهم. سنتحدث في هذا الموضوع قريباً. وستتألمين كثيراً يا ديانا بسبب انقيادك الى تعليماتي المسكينة.

ديانا : ارجو ان احتفظ بشرفي الى آخر نسمة من حياتي، وان اظل صامدة اتحمل كل العذابات في سبيل رضاك.

هيلانة : استحلفك ان تصبري قليلاً. فالوقت يعيد الينا صفاء ايام الصيف فتزهر الأشجار وتغيب الأشواك، اذ رغم الشوك تشم رائحة شذى العطر. هيا نذهب، فعربتنا جاهزة والمهل امامنا قصيرة المدى، والعبرة في النهاية،

ما دامت الخاتمة تتوج العمل. ومهما كانت المشاكل معقدة وعسيرة الحل لا بد من بلوغ النتيجة الحاسمة.

(تخرجان).

المشهد الخامس
في قصر كونت روسيون

(تدخل الكونتيس ولافو والمهرج).

لافو : كلا، ثم كلا. لقد ذهب ابنك ضحية تضليل مشعوذ مكّار، ناعم الملمس يفتن بدهائه المشؤوم عقلية شعب بكامله. بدونه كانت كنّتك لا تزال على قيد الحياة، وابنك هنا بقربك في كنف الملك الذي يرعاه بطريقة افضل بما لا يقاس من هذا الثعبان الغدار الذي حدثتك عنه.

الكونتيس : كم اتمنى ان لا اكون عرفته، لأنه سبّب موت اشرف امرأة عرفتها. حتى إن كانت من لحمي ودمي، وإن كلفتني الكثير من عناء التربية ومن سهر الليالي لو كنت امها الحقيقية، لما تغلغل حبها في اعماق قلبي اكثر مما انا متعلقة بها الآن.

لافو : هي سيدة كريمة الأصل موفورة الكرامة.

المهرّج : في الحقيقة هي جوهرة نادرة لا تقدر بثمن.

لافو : بل هي رهرة زاهية فواحة العطر، لا عشبة رديئة كما يظنها البعض.

المهرّج : انا لست بعالم كبير يا مولاي، كي أميّز بين الزهر والعشب.

لافو : ما هي مهنتك ايها الدجال المجنون.

المهرّج : اجل، انا مجنون في خدمة امرأة، ومحتال في خدمة رجل.

لافو : اشرح قولك.
المهرّج : استميل زوجة الرجل الذي اخدمه.
لافو : هكذا تكون دجالاً في رعاية مصالحه.
المهرّج : وألمّح لامرأته عن رغباتي المغرية بخدمتها.
لافو : انا موافق على قولك انك محتال ومجنون معاً.
المهرّج : في خدمتك يا سيدي.
لافو : كلا ثم كلا.
المهرّج : اجل يا مولاي. ان لم استطع ان اخدمك، سأخدم اميراً خطيراً مثلك.
لافو : اي امير تعني؟ هل هو فرنسي؟
المهرّج : اسمه انكليزي، انما طلعته البهية الجذابة تدل بالحري على انه فرنسي اكثر مما هو انكليزي.
لافو : من هو هذا الأمير؟
المهرّج : الأمير الأسود يا مولاي، الملقب بأمير الظلمات اي ابليس.
لافو : (يرمي اليه بمحفظة نقوده) اليك نقودي، وانا اعطيك اياها كي لا تكف عن خدمة سيدك وقد خبرته جيداً. فثابر على خدمته دائماً.
المهرّج : انا من سكان الغابات يا مولاي، واحب اضرام النار. والسيد الذي حدثتك عنه يحب النار المشتعلة. ربما لأنه امير خطير، فما على حاشيته إلا ان تقاوم مجلسه في البلاط. اما انا فأفضّل البيت الضيق الباب الذي تلجه العظمة بسرور راغبة في ضيقه لأنه يلائم القوم المتواضعين. ولأن اغلب الداخلين يرتجفون بسبب ضعفهم ويميلون الى الطريق المفروش بالزهور المؤدي الى الباب الكبير والنار الملتهبة.
لافو : سرْ في طريقك لأني اخذت اشعر بالتعب في حديثك، وانا أُبيّن لك ذلك كي لا ينشأ خلاف بيننا. اكمل طريقك، واجتهد ان تحسّن معاملة جيادي بدون ان تحتال عليها.
المهرّج : اذا احتلت عليها لن يكون خداعي سوى لعبة سمجة، والطبيعة تجيز مثل هذا اللعب.

(يخرج).

لافو : (للكونتيس) تبا له من محتال لعين. انه حقاً وغد سافل.
الكونتيس : هذا صحيح يا مولاي، هو لا يعرف للياقة معنى. يمكث هنا بمحض ارادته؛ واذا أظهر قلة حيائه هكذا فلأنه لا يحترم احداً.
لافو : لا ضرر من ذلك، وانا احبه على تصرفه. اريد ان اقول لك اني عندما سمعت بموت هذه السيدة، وقرب عودة سيدي ولدك، رجوت مولاي الملك ان يكلمه بخصوص ابنتي. فوعدني جلالته خيراً، واقترح عليّ هذا الزواج، عندما كانا كلاهما لا يزالان قاصرين. فحدثني سموه بإلحاح مجدداً في هذا الموضوع، ولكي يضع حداً لاستيائه من ولدك، لم يجد أولى من اللجوء الى هذه الوسيلة. فما رأي سعادتك؟
الكونتيس : انا مسرورة جداً يا سيدي، واودّ ان ارى انجاز هذا المشروع قريباً.
لافو : سموّها عادت من مرسيليا الى مقرها منشطة كأنها في الثلاثين من عمرها. والملك سيكون هنا غداً، اذا صدقت معلوماتي التي نادراً ما تخدعني ولا تخيّب توقعاتي.
الكونتيس : يسعدني جداً ان آمل بمشاهدتها قبل ان اموت. فقد وصلتني بعض رسائل تفيدني ان ولدي سيكون هنا في هذا المساء. فاستحلف سيادتك ان تمكث عندنا حتى تتم مقابلتهما.
لافو : كنت اتساءل يا سيدتي، بأية صفة اتعرف اليهما؟
الكونتيس : عليك ان تبرز امتيازاتك المشرفة.
لافو : لقد استخدمتها كثيراً على هواي. واشكر الله انني لا ازال انعم بالوقار والاحترام.

(يدخل المهرّج)

المهرّج : يا سيدتي، ها هو مولاي ابنك قد وصل، وعلى محياه عصبة من المخمل. ولست ادري ان كان يريد اخفاء جرح وراء هذا المخمل. مهما كان الأمر هي عصبة حلوة، وخدّ مولاي فيها خال بثلاث شعرات بينما خدّه الأيمن يخلو من اية علامة فارقة.
لافو : لا بد من ان يكون قد تلقى جرحاً بنبل اثناء القتال، وهي شارة مشرّفة بدون شك.

المهرّج : وجهك انت ليس انقى منه.
لافو : هيا نشاهد ابنك لأني في غاية الشوق لأتحدث الى جندي شاب نظيره.
المهرّج : لعمري هناك عشرة اشخاص، يرتدون قبعات جميلة لها ريشات مميزة، وينحنون للسلام عليه.

(يخرجان).

الفصل الخامس

المشهد الاول

في مرسيليا، امام منزل فخم.

(تدخل هيلانة والأرملة وديانا وخادمان).

هيلانة : الهرولة في عربة السفر نهاراً وليلاً، امر مرهق حقاً، لكن لا حيلة لنا لتجنبه. انما ثقوا انتم الذين تتعبون في خدمتي باستمرار، رغم نحافتكم وانتم راضون لا تتذمرون، بأني لن انسى وفاءكم ما حييت، واعتبر ذلك من حسن حظي.

الوجيه : ولن انسى افضالك يا سيدتي.

هيلانة : يخيل الي اني شاهدتك في بلاط فرنسا يا سيدي.

الوجيه : اجل ذهبت الى هناك مراراً عديدة.

هيلانة : اعتقد بانك لا تزال تحافظ على مقامك الرفيع وحسن رعايتك مهما تقلبت الظروف التي تبعد احياناً عن كل كلفة رسمية. لذا ألتمس منك خدمة اعتبرها معروفاً تطوق به جيدي على مدى الأزمان.

الوجيه : ماذا تريدين يا مولاتي؟

هيلانة : ان تتكرم وتسلم جلالة الملك هذا المعروض وان تساعدني على مقابلته، بما لك من نفوذ في البلاط.

الوجيه : الملك ليس الآن هنا.

هيلانة : ليس هنا؟

الوجيه : لا، حقا. لقد رحل الليلة البارحة مستعجلاً على غير عادته.

الأرملة : يا الهي لقد ضاع تعبنا سدىً.

هيلانة : العبرة في النهاية يا مولاتي. مهما عاكستنا الظروف وهزلت الوسائل، لا بد من الوصول الى الغاية، اذا كان لنا فيها من نصيب. ارجوك ان تقول لي الى اين ذهب؟

الوجيه : الى روسيّون على ما فهمت، حيث انا ايضاً ذاهب.

هيلانة : (تمد اليه ورقة) رجائي اذاً يا سيدي، بما ان من المحتمل ان تقابل الملك قبلي، ان تتكرم وتسلمه هذه الورقة. أؤكد لك انك لن تتعرض لأية ملامة بالعكس سيشكرك على خدمتك. وسأوافيكما بأسرع وقت ممكن.

الوجيه : (يستلم الورقة) سأقوم بهذه المهمة مسروراً.

هيلانة : وستكون مشكوراً مهما حدث. هيّا نمتطي صهوة جيادنا (لرجالها) تعالوا نتهيأ للرحيل.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في باحة قصر كونت روسيون.

(يدخل المهرّج وبارول بيده ورقة).

بارول : يا سيدي الكريم، ارجو ان تسلم هذه الرسالة للسيد لافو. كنت في الماضي تعرفني اكثر من الآن، حين كنت ارتدي ثياباً انظف. لكنني حالياً كلي غبار، والتعب يبدو على سحنتي ورائحة عرقي ربما تبعث على الإشمئزاز.

المهرّج : حقاً هيئتك لا ترضي ولا تبعث كثيراً على الإرتياح، وانا عازم على ان لا أشمّ مثل هذه الرائحة الكريهة بعد الآن. (يسد أنفه) ارجوك ان تقترب من النافذة المفتوحة.

بارول : هيا لا حاجة الى سدّ انفك يا سيدي، فانا لم اتكلم إلا على سبيل التشبيه فقط.

المهرّج : يا صديقي اذا كان تشبيهك له هذه الرائحة، فعليّ ان اسد انفي لقاء تشبيه آخر. ها هوذا لافو بذاته.

(يدخل لافو)

شكراً. سيادته يمثل الغدر، كالذئب الماكر الذي سقط في مستنقع قذر ضحل المياه. ارجوك ان تفعل ما تستطيع عمله لإغراق هذا اللعين. لأن سحنته تدل على المسكنة والبؤس والخبث واللؤم والردائة مجمعة. انا اؤكد لك ان كآبته تثير نفوري. لذا تركته لسيادتك.

(يخرج).

بارول : يا مولاي، انا رجل سيء الحظ، قست عليّ تقلبات الأيام.

لافو : وبماذا تريد ان اسعفك؟ فات الأوان حالياً لتقليم اظافره. بماذا اسأت الى الزمان حتى عاملك بهذه الخشونة، وكيف خدشت الظروف وجهك، وهي تشبه السيدة الشريفة التي لا تدير للدجالين ظهرها كي لا تنجح مكائدهم

في رعايتها. (تعطيه قطعة نقود). هذا ربع دينار لك. اتمنى ان ينصفك الدهر ويغير احوالك ويسعد الحظ ايامك. لديّ أشغال اخرى، فاعذرني.

بارول : ألتمس من سيادتك ان تسمع مني هذه الكلمة الوجيزة.

لافو : (يعطيه قطعة نقود اخرى) هل تريد المزيد من المال؟

بارول : لا يا سيدي الكريم، انا ادعى بارول.

لافو : لذلك تريد ان تقول لي كلمتك. لعنة الله على الشيطان. هات يدك. كيف حال طبلك؟

بارول : انت اول شخص تمكن من رؤيتي على حقيقتي وعرف قيمتي.

لافو : حقاً؟ وانا اول من خسروا صداقتك.

بارول : انت وحدك تستطيع ان تعيد اليّ اعتباري، لأنك انت سبب ضياعي.

لافو : سحقاً لك ايها اللعين. انت تريد بمساعدتك ان اقوم في وقت واحد مقام الله الكريم العادل ومقام الشيطان اللئيم القادر. فأرفعك بعد ان تسببت في سقوطك كما تقول. (يسمع صوت بوق) ها قد وصل الملك. الا تسمع صوت البوق يا محتال؟ ستأتي اليّ فيما بعد. بالأمس بلغتني اخبارك المشؤومة يا مهووس، وهي غير مطمئنة ابداً. هيّا اتبعني.

بارول : اشكر الله على وجودك معي.

(يخرجان).

المشهد الثالث

في قاعة كبيرة بقصر كونت روسيّون

(تصدح الموسيقى. يدخل الملك والكونتيس ولافو وسادة وحرس، الخ).

الملك : لقد خسرنا بفقدانها جوهرة غالية. فخبا رونق زهونا. اما ولدك فقد ضيّعه جنونه لأنه لم يعرف مقدار نفسه.

الكونتيس : هذه مسألة قديمة يا صاحب الجلالة. ألتمس من سيادتك ان لا ترى فيها سوى فورة عابرة اثارها نزف شبابه، لأن الدم يغلي في عروقه ويلهب عنفوانه فيحرق ما حوله، وقد اعمى الطيش بصيرته.

الملك : ايتها السيدة الموقرة، لقد سامحته ونسيت اساءته. ولو كنت انوي الإنتقام منه، لما كان الآن هنا بجوارك.

لافو : هذا ما وددت ان اعبّر عنه، وانا التمس عفوك ايها الملك وصفحك. ارجو المعذرة، فهذا الشاب تصرف حيالك وحيال والدته وزوجته ايضاً بشكل مهين. انما الضرر الأكبر لحقه هو شخصياً. اذ فقد زوجته الحسناء وبريق عينيها النجلاوين وعقلها الراجع وفضيلتها السامية.

الملك : هيا اجلبوه الى هنا، فان إلقاء نظرة واحدة عليه تفسّر كل ما يعذب فؤاده وتخفف ما اقترفه من ذنوب. فالمرأة التي اساء اليها اكثر من سواها قد فارقت الحياة وابقت ذكراها في قلبه غصة لا تخمد نارها. فليتقدّم كغريب لا كمجرم (لأحد الوجهاء) أفهمه ان هذه هي رغبتي.

الوجيه : امرك مطاع، يا صاحب الجلالة.

(يخرج).

الملك : (للافو) ماذا قال عندما ابديت له فكرة اقترانه بابنتك؟ هل حدثته بالأمر؟

لافو : هو يحترم جلالتك احتراماً لا مزيد عليه، ولن يخالف مشيئتك.

الملك : اذاً، سنعدّ له وليمة العرس. ومنذ برهة استلمت رسائل تشيد بأمجاده.

(يدخل برتران).

لافو : ما اروع محياك المشرق، وما ازهر طلعتك البهية!

الملك : (لبرتران) انا لست كالنهار الحزين، بل كالشمس الساطعة، حتى إن كان البرد يتساقط بغزارة. أمام الأشعة المنيرة تتبدد الغيوم، فأبرز نفسك لأن الطقس عاد اليه الصفاء.

برتران : ألتمس من رحابة صدرك يا صاحب الجلالة ان تصفح عن ذنوبي وتقبل توبتي الصادقة.

الملك : كل شيء انتهى. لا تزد كلمة على ما نطقت به. ولنغتنم فرصة السلام والوئام لأن الوقت يمر بسرعة ونحن نتقدم في السن، فلا ندعه يفلت منا (يشير لافو الى برتران) هل تتذكر ابنة هذا السيد؟

برتران : بكل فخر واعجاب ايها الأمير. في الماضي وقع اختياري عليها بدون ان يجسر قلبي على دفع لساني الى التعبير لها عن حقيقة شعوري نحوها وحيال هذه العاطفة الأولى لست ادري كيف طغى عليّ فنظرت اليها بعين الإزدراء وكرهت جمالها وكرهت فضائلها، وفي كل مكان لم ابصر إلا نقيض صفاتها العالية بابشع الظواهر الخداعة. وهكذا بدت لي هذه المرأة التي يثني على حسنها وعلى صفاتها جميع الرجال والتي احببتها انا في الماضي فخسرتها وقد انقلب صلاحها في عيني الى أحط الفساد.

الملك : ها انت تجد لنفسك الأعذار الكافية. فان إقرارك بأنك احببتها يخفف من سوء تصرفك. والحب الذي يأتي متأخراً يشبه نعمة تنزل علينا ببطء وتنقلب على ملتمسها الحكيم كأنها ملامة مريرة تصرخ: ان فقيدتنا صبية بريئة، لأن استخفافنا الجاني حملنا على الإستهتار بالأشياء الثمينة التي نملكها ولا نعرف قيمتها إلا عندما نخسرها، كما اننا لا نقدّر الأشخاص من حولنا إلّا بعد ان يغيبوا عن انظارنا أو يصبحوا من سكان القبور. غالباً ما تدفعنا اهواؤنا العمياء الى التضحية بأعز اصحابنا الذين نبكيهم بعد ان نخسرهم لأن صداقتنا العميقة لا تلبث ان تدرك تصرفنا المشين، لكن بعد فوات الأوان. ارجو ان يكون هذا التنبيه ناقوس الخطر حيال هيلانة الفاتنة. الأولى بنا ان ننساها. عليك الآن ان تقدم هديتك للحسناء مدلين لأن الجميع

يوافقون عليها، ونحن هنا بانتظار ان ينتهي ترملك بافراح عرسك هذا الثاني.
الكونتيس : ارجو ان يكون ابهج من الأول. بارك الله مسعاك، والاّ أدركني الموت قبل ان تتم فرحة زواجك هذا.
لافو : اقترب، يا ولدي، يا فرحة عمري وثروة أسرتي. قدم لي برهاناً على حبك لابنتي على رجاء ان يجمعك بها في القريب العاجل. (ينزع برتران من اصبعه خاتماً ويعطيها اياه) بحق لحيتي التي وخطها الشيب، وجمال شعر هيلانة التي ماتت وكانت امرأة مثاليّة، هذا خاتم يشبه الذي رأيته في اصبعها يوم ودعتها وهي تغادر البلاط.
برتران : هذا لم يكن يوماً خاتمها.
الملك : (يأخذ الخاتم) دعوني اتفحصه، لأن نظري وقع عليه منذ برهة مراراً عديدة وانا اتحدث، ويخيل اليّ ان هذا الخاتم يخصني. لأني عندما اهديته لهيلانة قلت لها: اذا احوجتها الظروف الى حمايتي، فهذا الخاتم كفيل بأن يؤمنها لها. فهل احتلتَ عليها وحرمتها من اقوى وسيلة يمدها بما يلزمها من العون؟
برتران : أؤكد لك يا صاحب الجلالة ان هذا الخاتم لم يكن يوماً خاتمها.
الكونتيس : اقسم لك بحياتي يا بني اني شاهدته في اصبعها، وكانت حريصة عليه حرصها على حياتها.
لافو : انا واثق بأنها كانت تضعه في اصبعها.
برتران : انت مخطىء يا مولاي، هي لم تره ابداً، اذ إني تلقّيته من النافذة حين كنت في فلورنسا، وكان مصروراً في ورقة كتب عليها اسم من رمتني به، وهي فتاة من النبلاء كانت تظنني حراً من كل ارتباط. لكنها عندما اوضحت لها حقيقة وضعيتي واعلنت لها اني لا استطيع تلبية رغبتها حسب الأصول والشرف تحفظت بازعان اليم. لكنها دون ان ترضى ابداً بأن تسترد خاتمها هذا.
الملك : بلوتوس ذاته الذي يعرف فنّ تحويل المعادن لا يملك سر طبيعة هذا الخاتم اكثر مني. لأنه كان يخصني، وقد خصّ هيلانة ايضاً. فلا اهمية لمن اعطاك اياه. ان كنت حقاً على يقين بأنك تتمتع بكامل وعيك، اعترف

بأنه كان لها واعترف ايضاً بأية وسيلة خسيسة ملتوية قد حصلت عليه منها، يوم اشهدت عليها جميع الملائكة بأنها لا تنتزعه من اصبعها إلا لكي تعطيك اياه شخصياً في السرير الذي لم تشاركها اياه مطلقا او لكي ترسله اليّ اذا داهمتها محنة فادحة.

برتران : هي لم تره ابداً.

الملك : اقسم لك بشرفي انك لا تقول الحقيقة، وانك تبعث في نفسي قلقاً خانقاً. فلو ثبت انك عديم الإنسانية الى هذا الحد... هذا غير ممكن. مع ذلك انا اعلم جيداً انك كنت تكرهها حتى الموت. وقد فارقت الحياة، ولا شيء، إلا عندما تغمض عيني ساعة ألفظ آخر انفاسي، يمكن ان يغيّر قناعتي بسرّ هذا الخاتم. (للحراس) خذوه. (يطوق الحرس برتران) فهما حدث، فالبراهين الظاهرة تثبت ما اخشى ان يكون قد حلّ بها وما سُمْتَهُ هذه الصبية باستهتارك من أليم العذاب. خذوه. وسأنظر فيما بعد في هذه القضية بتعمق وتدقيق.

برتران : اذا توصلت الى اثبات كون هذا الخاتم يخصّ هيلانة تثبت في الوقت ذاته بأني اضجعت في سريرها في فلورنسا حيث لم تذهب ابداً في حياتها.(يخرج برتران، يحيط به الحرس).

(يدخل الوجيه الذي صادفته هيلانة في مرسيليا).

الملك : هذه الأفكار الفظيعة تقلق بالي.

الوجيه : ايها الملك العادل، لست ادري ان كنت استحق الملامة او لا، هذا معروض قدمته سيدة من فلورنسا كادت تفقد عفّتها اربع او خمس مرات ورجتني ان اسلمك اياه شخصياً. فقد كلفتني بهذه المهمة وألحّت علي بلطف كلامها ملتمسة وهي تنتظر على احر من الجمر جوابك وأوامرك يا صاحب الجلالة. وقد بدت اهمية القضية بوضوح على محياها المشرق اذ قالت لي بكلماتها الرقيقة التي تشغل الآن بال جلالتك بأن الأمر يهمك للغاية.

(يسلم الرسالة للملك الذي يفضها).

الملك : (يقرأ) ...« وبعد وعود عديدة صريحة بأن يتزوجني كونت روسيون

عندما تموت امرأته، يحمر وجهي خجلاً بأن اعلن انه اغواني •الآن ترمل هذا الكونت ولم يف بوعده لي بانقاذ شرفي، بل هرب من فلورنسا بدون ان يعلمني بعزمه على الرحيل لئلا اطالبه بوفاء تعهده. فأرجوك ان تنصفني منه يا صاحب الجلالة وانا واثقة بأنك قادر على ذلك. وإلاّ انتصر شاب طائش اغوى فتاة فضاعت عفتها لأنها صدقت كذبه وانطلى عليها خداعه •.

ديانا كابوليه

لافو : اودّ أن اشتري صهراً جديداً من السوق وابيع هذا الغشاش الذي لم اعد أثق به.

الملك : لقد حالفتك السماء يا لافو، بهديك الى هذا الإكتشاف الهام. جيئوني بصاحبة هذا المعروض. وعجلوا باحضار الكونت الى هنا. (يخرج احد الوجهاء مع خادم. للكونتيس) اخشى يا سيدتي ان تكون هيلانة قد قضت نحبها ضحية مجرم شرس.

الكونتيس : في هذه الحالة، ليس امامنا إلا الاقتصاص من المجرم اللئيم.

(يدخل برتران يحيط به الحرس)

الملك : (لبرتران) انا اعجب يا سيدي من نظرتك الى المرأة كأنها عنقاء توحي اليك بالهرب حالما تحلف بأنك ستؤمن لها الحماية الزوجية، ومن رغبتك الآن في الزواج. (يعود الوجيه مصطحباً ديانا والأرملة) من هي هذه المرأة؟

ديانا : انا يا مولاي، تلك التعيسة الفلورنسية المنحدرة من اسرة كابولية القديمة العهد. وعلى ما بلغني، اصبح معروضي معلوماً لديك وبت يا صاحب الجلالة تعرف ما اشكو منه، وكم انا مظلومة بسببه.

الأرملة : انا امها يا مولاي. وشيخوختي وشرفي يأبيان وقوع مثل هذا الحيف المشين الذي لا نقره ولا نرضى به جميعنا بأن يذهب ضحيته هذان الزوجان لا بد من ايجاد حل لهذه المشكلة المعقدة

الملك : اقترب ايها الكونت. هل تعرف هاتين المرأتين؟

برتران : انا لا استطيع ولا اريد ان انكرهما يا مولاي. اني اعرفهما حق المعرفة. هل هناك تهمة اخرى؟

ديانا : (لبرتران) لماذا تنظر الى زوجتك بمثل هذا الازدراء؟
برتران : لا علاقة لي بهذه المرأة يا مولاي.
ديانا : اذا تزوجت ستمنح امرأة غيري شخصك الذي يخصني، ولغيرها ستقدم عهدك المقدس الذي يخصني ايضاً، وستحرمني من ذاتي لأني اخصّ نفسي بطبيعة الحال، ووعودك ليست قسماً من كيانك اكثر مما تخص التي ستتزوجها والتي سترتبط هكذا بحياتنا نحن الاثنين.
لافو : (لبرتران) سِمْعَتُك، على ما ارى، ليست بمستوى فضيلة ابنتي، لذا اعتبرك مستحقاً ان تكون زوجها.
برتران : (للملك) يا مولاي، هذه المرأة مجنونة ومفترية، وقد سخرت في الماضي مراراً من تصرفاتها. فأرجو أن تغيّر جلالتك رأيك فيّ، وان تكون على يقين بأني ارفع من ان انحط الى الدرك الذي تظنني انحدرت اليه.
الملك : رأيي، يا سيدي، أن نتفاهم واياها حين تتصالحان. فأملي ان تضعك افعالك في مستوى أعلى من الذي اراك فيه.
ديانا : ارجوك، يا مولاي الكريم، ان تسأله، بعد أن يقسم اليمين، ألم يمتلك بتوليتي؟
الملك : ما هو جوابك على هذا السؤال الوجيه؟
برتران : انها عاهرة لا تستحي، تبيع جسدها لكل من يدفع ثمنه الرخيص في سوق الدعارة.
ديانا : هذه اهانة لا اقبلها يا مولاي. لو كنت كما يقول لكان اشتراني بأبخس الأثمان. لا تصدقه. انظر الى هذا الخاتم الذي يخطف جماله الأبصار والذي تقدر قيمته بثروة طائلة. لقد اعطاني اياه كعاهرة في سوق الدعارة كما يقول، لو كنت انا كذلك.

(تشير الى خاتم في اصبعها).

الكونتيس : ها هو يحمّر خجلاً. لأن هذا هو خاتمهم بالذات. فمنذ عشرة اجيال هذه الماسة انتقلت بالوراثة من الجد الى الإبن ثم الى الحفيد، وهكذا حملها جميع افراد الأسرة. فهي اذاً زوجته، وهذه الماسة هي بمثابة الف شاهد والف برهان.

الملك : الم تقولي انك ابصرت هنا في البلاط شخصاً يمكن استدعاؤه للشهادة.

ديانا : هذا صحيح يا مولاي، لكني اكره ان اقدم للشهادة مثل هذا الرجل الدنيء الذي يدعى بارول.

لافو : رأيت اليوم هذا الرجل، ان كان يستحق اعتباره من الرجال.

الملك : (يلتفت الى رجاله) ابحثوا عنه وجيئوني به.

(يخرج بعض الخدم).

برتران : ما الفائدة؟ هو معروف كمحتال دجال ملطخ بجميع ما في العالم من اقذار، تأنف طبيعته المنحطة ان تقول كلمة صدق واحدة. فهل شهادة مثل هذا المخلوق الخبيث تجعلني هذا أو ذاك من اصناف البشر؟

الملك : المدعية لديها خاتم اخذته منك.

برتران : هي صادقة يا مولاي. وهذا دليل على انها أعجبتني وانها جذبتني بغنجها ودلالها، فارتميت في احضانها اثناء فورة الشباب. وكانت عالمة بالفوارق التي تفصل بيني وبينها. ولكي تذلل كل رفض من قلبي اثارت اشواقي بتمنعها الشكلي، لأنها تعرف جيداً ان كل ممنوع مرغوب وان كل عقبة تقف في وجه الشهوة تحمسها وترغبها في مضاعفة الالحاح. اخيراً لا انكر فنّها البارع في اصطياد الرجال وفي فرض شروطها عليهم. فنالت هذا الخاتم لقاء ما جادت عليّ به من متعة كما يشتريها غيري بسعر السوق.

ديانا : لا انكر ذلك. فانت بعد أن طردت زوجتك الأولى النبيلة، لم استغرب منك أن ترذل زواجنا. لديّ كلمة اخيرة. بما انك تفتقر الى الفضيلة انا لا آسف على فقدانك كزوج. كلّف احداً يجلب لك خاتمك كي اعيده اليك بشرط ان ترد لي خاتمي.

برتران : لا خاتم عندي.

الملك : ارجوك ان تشرحي لي كيف كان خاتمك.

ديانا : يا مولاي، هو يشبه تماماً هذا الخاتم الذي تضعه في اصبعك.

الملك : (يمد يده) هل تعرفين هذا الخاتم؟ انه عين الخاتم الذي كان في اصبع الكونت.

ديانا : وهو الخاتم الذي اعطيته اياه حين اندسّ في سريري.
الملك : اذاً كانت قصة رميه اليه من النافذة رواية مختلقة.
ديانا : وان ما قلته انا هو الحقيقة الناصعة.

(يدخل بارول).

برتران : (للملك) يا مولاي، انا أعترف بأن هذا الخاتم كان يخصها.
الملك : انت تتلعثم بكل بساطة، وألاحظ انك ترتجف كريشة في مهب الريح. (يشير لديانا الى بارول) اهذا هو الرجل الذي تكلمت عنه؟
ديانا : اجل يا مولاي.
الملك : (لبارول) تكلم يا محتال، وقل بصراحة كل ما تعرف. انا آمرك بأن تتكلم ولا تخف غضب معلمك، فانا احميك من أذاه، اذا كنت صادقاً. ماذا تعرف عنه وعن هذه المرأة؟

(يشير الى الكونت والى ديانا).

بارول : يا مولاي، لقد تصرف معلمي دائماً كرجل نبيل شريف، ونظير كل الوجهاء تصرف ايضاً على هواه.
الملك : هيا اخبرنا بدقة وتفصيل، هل أحب هذه المرأة.
بارول : اجل يا مولاي، لقد احبها.
الملك : كيف أحبها؟
بارول : أحبها يا مولاي كما يهوى اي وجيه امرأة جميلة تأخذ بمجامع القلوب.
الملك : اراك تتقلب في كلامك. فأي نوع من المحتالين انت؟
بارول : انا رجل مسكين في خدمتك يا مولاي.
لافو : هذا طبل ممتاز يا مولاي، لكنه ركيك العبارة وخطيب غير مفوّه.
ديانا : هل تعرف إن كان وعدني بالزواج؟
بارول : بذمتي، انا اعرف اكثر مما اريد ان اقول.
الملك : اوَلا تريد ان تصرح بكل ما تعرف؟
بارول : اجل يا صاحب الجلالة، كنت الوسيط بينهما كما قلت لسيادتك. وأضيف انه كان يحبها، بل كان في الحقيقة مولعاً بها، ويتكلم عن ابليس

وعن المطهر وعن الثورات ولا ادري ماذا ايضاً. علاوة على ذلك كنت اسمع تمتماتهما، فعلمت انهما ناما في سرير واحد وانه وعدها بالزواج، وغير ذلك من التفاصيل التي تجلب على رأسي الويلات اذا بحت بها. لذا لن اقول كل ما اعرفه.

الملك : لقد قلت كل ما يهمنا، إلا اذا اضفت انهما متزوجان. في الواقع انت بارع في تمويهانك. يمكنك ان تقف هناك. (لديانا) تقولين ان هذا الخاتم يخصك؟

ديانا : اجل، يا مولاي الكريم.

الملك : من اين اشتريته؟ او بالحري من اهداك اياه؟

ديانا : لم يعطني اياه احد، ولم اشتره.

الملك : من اعارك اياه؟

ديانا : لم استعره من احد.

الملك : اين وجدته اذاً؟

ديانا : لم اجده في مكان.

الملك : بما انك حصلت عليه بطريقة غير التي ذكرناها، اعلميني كيف امكنك ان تعطيه اياه؟

ديانا : انا لم اعطه اياه مطلقاً.

لافو : هذه المرأة زلقة اللسان يا مولاي، وتتكلم كما يحلو لها.

الملك : هذا الخاتم كان يخصني، وقد اهديته لأول زوجة اقترن بها الكونت.

ديانا : انا اجهل إن كان لجلالتك او لها.

الملك : خذوا هذه المرأة، لأنها لا تعجبني. احبسوها واحبسوه هو ايضاً. (لديانا) اذا لم تبيّني لي كيف وصل اليك هذا الخاتم قبل مرور ساعة من الآن ستعاقبين.

ديانا : لن اقول لك ذلك ابداً.

الملك : خذوها.

ديانا : انا مستعدة لتقديم سند كفالة، يا صاحب الجلالة.

الملك : الآن ايقنت انها عاهرة.

ديانا : (لبرتران) اقسم لك، إن كنت عرفت في حياتي رجلاً، انك حتماً انت.
الملك : (يشير الى برتران) لماذا اتهمتها اذاً طوال هذا الوقت؟
ديانا : لأنه مذنب وغير مذنب. وهو يعرف ولا يعرف اني لم اعد عذراء. ايها الملك الكريم، اقسم بحياتي باني لست عاهرة. فأنا إما عذراء، اوِ زوجة هذا العجوز.

(تشير الى لافو).

الملك : هذه المرأة تسخر منّا. خذوها الى السجن.
ديانا : يا اماه! اذهبي واحضري لي مبلغاً من المال لكفالتي. (تخرج الأرملة) ارجوك ان تصبر قليلاً عليّ يا صاحب الجلالة. لقد ارسلت في طلب الصائغ الذي صنع هذا الخاتم وهو يجيب عني. اما هذا السيد الذي استغلّني كما يعلم جيداً، فمهما كان موقفه غير سليم بالنسبة اليّ، انا اسامحه. هو يعلم جيداً ايضاً انه دنّس سريري، ومع انه صيرني امًّا، ورغم كوني في نظركم ميتة، انا اشعر بجنيني يتحرك في احشائي. هذا هو سريري. فالتي تظنونها ميتة، لا تزال في الحقيقة على قيد الحياة. وهذا ما يفسر هذه الأحجية الغامضة.

(تعود الأرملة تصحبها هيلانة).

الملك : او ليس في الأمر من مستحضري ارواح يخدعون نظري بطريقة علمية؟ هل ما اراه حقاً واقعي؟
هيلانة : كلا، يا سيدي الكريم، انت ترى خيال زوجة، اي اسمها لا شخصها.
برتران : لا بل كلاهما معاً. العفو.
هيلانة : يا سيدي العزيز، عندما كنت نظير هذه الصبية، عرفتك حنوناً رؤوفاً. هذا هو خاتمك، وهذه رسالتك التي تقول فيها: « عندما تحصلين على الخاتم الذي اضعه في اصبعي، وتحملين في احشائك جنيناً من صلبي. الخ... » كل هذا قد تمّ. فهل تريد ان تصبح زوجي، الآن وقد أمسيت مرتبطاً بي بعهد مزدوج؟
برتران : عندما تفسّرين كل هذا بوضوح لجلالة الملك، سأحبك اكثر فاكثر.
هيلانة : اذا كان ما قلته لك غير واضح، فبديهي ان يفصل بيننا طلاق حاسم (للكونتيس) يا امي العزيزة، هل اراك حقيقة امام ناظري؟

لافو : عيناي تشعران بحريق كمفعول البصل. سأبكي في الحال (لبارول) يا عزيزي المغرور، اعرني منديلك لحظة. اشكرك. تعال لتراني وتسليني. انما اترك هنا رسميّاتك لأنها تستدعي الشفقة.

الملك : (لهيلانة) اعلميني مرحلة فمرحلة كيف جرت هذه القصة. ولتغمرنا حقيقتها بالسعادة والهناء. (لديانا) ان كنت لا تزالين زهرة نضرة نقية اختاري زوجاً وانا ادفع بائنتك. لأني حزرت انك بمساهمتك الفعالة قد انقذت حياة زوجة بمحافظتك على بتوليتك وطهارتك. فهذه المغامرة وكل التعقيدات التي رافقتها ستتوضح لنا حسب مشيئنا. الى الآن كل شيء يبدو على ما يرام. واذا كانت الخاتمة ايضاً هكذا سعيدة، فان كل الويلات الماضية ستزول وتتضاعف حلاوة المستقبل. (تصدح الموسيقى).

(يتجه الأشخاص نحو المشاهدين).

غمرت الملك موجة من السرور بعد ان تمّ تمثيل المسرحية، وكل شيء انتهى بالحسنى. اذ تسنى لنا ان نحصل على رضاكم عن موضوع الرواية. وكل يوم نبذل مجهوداً جديداً لنيل اعجابكم، ملتمسين سماحكم ودفاعكم عنا. فمدوا لنا يد العون بلطف، وخذوا قلوبنا المُحبة معكم.

(يخرج الجميع).

﴿ تمّت ﴾

الليلة الثانية عشرة

تعريب

ج. يونس

أشخاص المسرحية

سير طوبي بلْش: عم اوليفيا.
اورسينو : دوق إلليري.
سير اندريه أكاشيك.
ملفوليو : وكيل اوليفيا.
فاست : مهرج اوليفيا.
فبيان : في خدمة اوليفيا.
سيبستيان : توأم فيولا.
انطونيو : ربان سفينة، وصديق سيبستيان.
فلنتان
كوريو } سيدان في خدمة الدوق.
ربّان سفينة وصديق فيولا.
الكونتيس اوليفيا.
فيولا : توأمة سيبستيان، وعاشقة الدوق.
ماريا: وصيفة الكونتيس.
سادة، وكهنة، وبحارة، وضابط، وموسيقيون، وخدم.
تجري الأحداث في مقاطعة إلليري.

الفصل الأول

المشهد الأول
في قصر الدوق

(يدخل كوريو وبعض السادة. تعزف الموسيقى)

الدوق : اذا كانت الموسيقى غذاء الحب، فاعزفوا من الألحان ما طاب لكم حتى يرتوي منها قلبي. أسمعوني هذا الايقاع مرة أخرى، فقد داعب أذني كما يداعب النسيم العليل باقة من البنفسج حاملا معه عبيرها. كفى، لم يعد الايقاع ممتعا كما كان منذ لحظة. كم أنت مرهف الحس وسريع التقلب، أيها الحب !

كوريو : هل تريد أن تصطاد يا سيدي ؟

الدوق : ماذا أصطاد، يا كوريو ؟

كوريو : الأيِّل.

الدوق : يتملكني الآن شعور نبيل. عندما رأت عيناي اوليفيا للمرة الأولى، خيِّل اليّ انها تعطر الهواء من حولها. ومنذ تلك اللحظة أصبحت طريدة تلاحقها رغباتي الملحة باستمرار.

(يدخل فلنتان)

ماذا تحمل اليّ من أخبارها ؟
فلنتان : لم أحظ برؤيتها. لكنني أحمل اليك الجواب الذي نقلته اليّ خادمتها. لن ترى السماء وجهها قبل مضي أعوام بتمامها. انما نظير راهبة حبيسة، لن تسير الا محجَّبة، وستسقي كل يوم غرفتها بدموع سخينة. كل ذلك لكي يبقى حبها لشقيقها المتوفي حيا في ذاكرتها الحزينة.
الدوق : من تملك قلبا بهذه الرقة وتبادل اخاها مثل هذه المحبة، سيكون تعلقها به عظيما عندما سيملأ عقلها وقلبها دافع واحد يطغى على سائر مشاعرها الأخرى. تعال نذهب الى المروج وخمائل الأزهار حيث يطيب لأحلام الحب أن تهجع في ظل الأغصان. (يخرجان).

المشهد الثاني
على شاطىء البحر

(تدخل فيولا وربّان وبعض البحارة)

فيولا : أيها الأصدقاء ما اسم هذا البلد ؟
الربّان : هذه المقاطعة تدعى إلليري، يا سيدتي.
فيولا : ليس لديّ ما أفعله في مقاطعة إلليري. فشقيقي موجود في مقاطعة إيليزيه، وربما نجا من الغرق. ما رأيكم في ذلك أيها البحارة ؟
الربّان : لقد حالفك الحظ فنجوت بنفسك.
فيولا : مسكين أخي. كم أود أن يكون الحظ حليفه هو أيضا، وأن يكون هو أيضا قد نجا بنفسه.
الربّان : أنت على حق يا سيدتي. ولأضاعف أملك، يسعني أن أؤكد لك انه عندما حدثت ثغرة في مركبنا وتعلقت أنت بزورقنا مع من نجا، أبصرت أخاك

يمسك بكل فطنة بالصاري المكسور الذي كان يطفو على سطح البحر. شاهدته يصارع الأمواج كما فعل آريون الشاعر اليوناني عندما غرق وامتطى ظهر الحوت.

فيولا : قولك هذا تستحق عليه أن تعطى ما تشاء من الذهب. ان سعادتي، إن صح ما ترويه لي تجعلني أتوقع لأخي بهجة مماثلة لما أشعر به من الأمل، لا سيما ان كلامك عنه يشجعني على ترجيح هذا الاعتقاد. هل تعرف هذه البقعة من البلاد ؟

الربَّان : أنا أعرفها جيدا، لأن مسقط رأسي حيث ترعرعت لا يبعد من هنا سوى مسافة ساعات قليلة سيرا على الأقدام.

فيولا : من يحكم هذه المنطقة ؟

الربَّان : يحكمها دوق نبيل القلب والاسم معا.

فيولا : ما اسمه ؟

الربَّان : اورسينو.

فيولا : اورسينو ! لقد سمعت أبي يردد ذكره. وكان عازبا حينذاك.

الربَّان : لا يزال عازبا. اذ لم يمض على غيابي عن هذه الديار سوى شهر. وقد بلغني انه يخطب ود الحسناء اوليفيا.

فيولا : من هي اوليفيا هذه ؟

الربَّان : عذراء فاضلة، ابنة دوق توفي منذ سنة تقريبا، تاركا اياها تحت رعاية أخيها الذي مات أيضا منذ عهد ليس ببعيد. ويقال انها اعتزلت العالم حبا به.

فيولا : أود أن أدخل في خدمة هذه السيدة، وأن تبقى مكانتي الاجتماعية مجهولة الى اليوم الذي أبلغ فيه هدفي.

الربَّان : من الصعب الوصول الى ما تبغين، لأنها ترفض سماع أي عرض، ولو كان مصدره الدوق نفسه.

فيولا : أنت بهي الطلعة أيها الربان، ورغم ان الطبيعة تخفي عادة كثيرا من الرذائل وراء المظاهر الجميلة، أعتقد بأن طيبة قلبك تنسجم مع محياك الوسيم. أتوسل اليك أن تكتم أمري وتساعدني على التخفي لبلوغ غايتي. وأنا أعدك مقابل ذلك بمكافأة جزيلة. أريد أن أنخرط في خدمة هذا الدوق، على أن

تقدمني أنت اليه بصفتي أحد القيان. وأنا واثقة بأن مسعاك سيكلل بالنجاح، لأني أجيد شتى أنواع الغناء. لذلك سيعتبرني أهلا لخدمته. أما بالنسبة الى ما سيحصل بعد ذلك، فاني أترك أمره للزمن. المهم أن تلزم أنت الصمت.

الربَّان : ليكن لك ما تريدين، واذا زلّ لساني وكشفت سرك فلينطفىء النور في عينيّ.

فيولا : أشكرك جزيل الشكر. خذني اليه.

المشهد الثالث

في منزل اوليفيا

(يدخل سير طوبي بلش وماريا)

سير طوبي : سحقاً للشيطان. ماذا دهاكِ حتى ثقل عليك هكذا موت أخيك. أنا واثق بأن الحزن هو عدو الحياة.

ماريا : يا سير طوبي، عليك أن تحضر مساء في الوقت المناسب، لأن ابنة أخيك تنتقد بشدة أوقات حضورك غير المناسبة.

سير طوبي : ان تنتقدني هي، أفضل من أن تكون موضع انتقاد.

ماريا : نعم، لكن عليك أنت أيضا أن لا تتعدى حدود النظام.

سير طوبي : لكني حسن الهندام. وثيابي تؤهلني لمعاقرة الخمرة مع أصحابي.

ماريا : معاقرة الخمرة ستقضي على مستقبلكم. لقد سمعت السيدة تتكلم البارحة عن الفارس الأبله الذي اصطحبته معك ذات مساء ليكون عاشقها.

سير طوبي : من ؟ سير اندريه اكاشيك.

ماريا : هو بالذات.

سير طوبي : انه أقوى رجل عرفته في مقاطعة إلليري.

ماريا : هذا لا يهم.

سير طوبي : مدخوله السنوي يعادل ثلاثة آلاف دينار.
ماريا : أجل، لكن هذا المبلغ الضخم لا يبقى في حوزته طوال السنة، لأنه مبذّر مهووس.
سير طوبي : كيف تقولين هذا ؟ هو لاعب ماهر، ويجيد ثلاث أو أربع لغات، ويتمتع بمواهب طبيعية جمة.
ماريا : بل هو أبله مشاكس جبان، يخفف جبنه من عنفه في المشاجرات.
سير طوبي : قوم من الكذابين، من يتكلمون هكذا بحقه. قل لي من هم هؤلاء الأشخاص ؟
ماريا : هؤلاء يقولون أيضا انه يسكر كل مساء بصحبتك.
سير طوبي : أجل، يظل يشرب نخبة ابنة أخي حتى يستولي عليه السكر. وأنا بدوري أظل أشرب نخبها ما دامت حنجرتي تساعدني على ذلك، وما دام هناك شراب في مقاطعة إلليري. جبان كل من يرفض أن يشرب نخبها حتى يسكر. هيا بنا. ها هو سير اندريه أكاشيك قادم.

(يدخل سير اندره أكاشيك)

سير اندريه : يا سير طوبي بلش، كيف حالك ؟
سير طوبي : يا لك من رجل رائع، يا سير اندريه.
سير اندريه (يخاطب ماريا) : بارك الله جمالك أيتها الحسناء.
ماريا : وأنت أيضا يا سيدي.
سير طوبي : إقترب يا سير اندريه، اقترب.
سير اندريه : من هذه الصبية ؟
سير طوبي : هي وصيفة ابنة أخي.
سير اندريه : اقتربي يا سيدتي. أريد أن أتعرّف اليك معرفة أوفى.
ماريا : اسمي ماريا، يا سيدي.
سير اندريه : أكرر عليك : اقتربي، يا سيدتي ماريا.
سير طوبي : لا تخدع نفسك أيها الفارس الشهم. قلت لك أن تقترب أنت منها، أي أن تغازلها.
سير اندريه : أقسم لك بأني لم أكن أبغي التودّد اليها. هل هذا ما تريد قوله ؟

ماريا : وداعا أيها السادة.
سير طوبي : اذا تركتها تذهب هكذا يا سير اندريه، ستعجز يدك عن أن تستل السيف من غمده.
سير اندريه : اذا ذهبت هكذا، أيتها السيدة أتظنين أن يدي ستعجز عن أن تستل السيف من غمده ؟ هل تعتقدين بأنك تشدّين غبيا ؟
ماريا : أنا لا أمسكك بيدي، يا سيدي.
سير اندريه : تستطيعين امساكي بيديك اذا شئت.
ماريا : أرجوك أن تضع يدك في مخمر اللبن فتصبح رطبة.
سير اندريه : ماذا تعنين بقولك هذا ؟
ماريا : ان يدك يابسة، يا سيدي.
سير اندريه : أظن ذلك. لست بأحمق لأدع يديّ تبتلّان. لكن ما هذا المزاح ؟ هل لديك منه الكثير ؟
ماريا : أجل عندي الكثير منه. انما الآن، وقد افلتّ يدك، لم أعد أملك شيئا منه. (تخرج).
سير طوبي : لم يسبق لي أن أراك مهزوما كما رأيتك اليوم.
سير اندريه : يخيل اليّ أحيانا ان نصيبي من الذكاء لا يتعدى مستوى الرجل العادي. غير اني أحب كثيرا تناول لحم العجل. وأعتقد بأن هذا يسيء الى ذكائي.
سير طوبي : لا أشك بذلك.
سير اندريه : غدا سأمتطي حصاني وأعود الى منزلي.
سير طوبي : ماذا تعني أيها الفارس العزيز ؟
سير اندريه : كنت أتمنى لو اني قضيت في تعلُّم اللغات وقتا مماثلا للمدة التي كرستها لفن امتشاق الحسام، والرق وصراع الخنازير. سأعود غدا الى منزلي، لأن ابنة أخيك لا ترغب في رؤية أحد، ولأن الدوق الذي يسكن بالقرب من هنا يغازلها.
سير طوبي : هي لا تحب الدوق، وقد أقسمت انها لن تتزوج رجلا يفوقها منزلة أو ذكاء أو سنا. ولن تحنث بيمينها.

سير اندريه : سأمكث هنا شهرا آخر، لأني رجل غريب الأطوار، أحب حفلات الرقص التنكرية.

سير طوبي : هل أنت بارع في مثل هذه التفاهات، أيها الفارس المغوار ؟

سير اندريه : أجيدها مثل أي رجل في مقاطعة إلليري بشرط ألا يكون من رؤسائي. ومع ذلك، أنا أربأ بأن أقارن في هذا المضمار برجل عجوز.

سير طوبي : لماذا تخفي مهارتك هذه ؟ هل نعيش في عالم يفرض علينا اخفاء جدارتنا ؟ أعتقد بأن ساقك مفتولة العضلات ؟

سير اندريه : أجل، انها على قدر كبير من الصلابة. هل نرتجل بعض الملاهي ؟

سير طوبي : وما عسانا نفعل أفضل من ذلك ؟ هل نحن من مواليد برج الثور ؟

سير اندريه : الثور يؤثر على الضلوع والقلب.

سير طوبي : بل على الفخذ والساق. (يخرجان).

المشهد الرابع
في قصر الدوق

(يدخل فلنتان وفيولا وقد ارتدت ملابس خادم)

فلنتان : اذا استمر الدوق في اغداق نعمه عليك، يا سيزاريو، ستنال حظوة عظيمة في عينيه. اذ انك لم تعد غريبا عنه، رغم انك لم تعرفه الا منذ ثلاثة أيام.

فيولا : هل تخشى تقلُّبه أم تخشى اهمالي حتى تشق في استمراره في حسن معاملته لي ؟ هل هو متقلب في مشاعره ؟

فلنتان : كلا. صدقني.

(يدخل الدوق وكوريو وبعض رجال الحاشية)

فيولا (تخاطب فلنتان) : شكرا، ها هو مقبل نحونا.

الدوق : من رأى سيزاريو ؟

فيولا : أنا هنا، رهن اشارتك، يا سيدي.

الدوق (يخاطب أفراد حاشيته) : ابتعدوا قليلا (يخاطب فيولا) يا سيزاريو، أنت الآن تعلم كل شيء عني، لأني كشفت لك خفايا أفكاري. فعليك أن تحثّ خطاك نحوها، ولا تدعها تصدك. ابقَ واقفا أمام بابها وقل لخدمها انك لن تغادر منزلها قبل أن تحظى بمقابلتها.

فيولا : بدون شك، يا سيدي. اذا كانت مستسلمة الى أحزانها، كما بلغني، فلن تستقبلني.

الدوق : قم بأي عمل، تجاوز جميع حدود اللياقة، ولا تعد بدون نتيجة.

فيولا : لنفترض اني تمكنت من التحدث اليها، فماذا أقول لها ؟

الدوق : كاشفها بحبي لها، وباعجابي وبتعلقي بها، وستنجح في تصوير اهتمامي بها. فسماعها ذلك من فمك أيها الفتى، أفضل مما لو صوّره مبعوث ذو مهابة ووقار.

فيولا : لا أظن ذلك، يا سيدي.

الدوق : بل أنا واثق من النتيجة، أيها الفتى. فأنت أشبه بفتاة، ونعومة صوتك تساعدك على القيام بدور المرأة. اعلم ان برجك قد اختارك لهذه المهمة. سيصحبك أربعة أو خمسة أشخاص. واذا شئتم اذهبو جميعا برفقته لأني أكون سعيدا عندما أبقى وحيدا. اذا وفِّقت في مهمتك ستكون حرا مثل سيدك، وستظل ثروتك حكرا عليك.

فيولا : سأتغزل بسيدتك ما استطعت. (على حدة) تباً له من صراع مرهق. كيف أتغزّل به حين اريد ان اكون زوجة له.

(يخرج الجميع)

المشهد الخامس

في منزل اوليفيا

(تدخل ماريا ومعها فاست)

ماريا : قل لي اين كنت، وإلا لن اعذرك. ستأمر سيدتي بشنقك بسبب تغيبك.
فاست : لتأمر بشنقي. فمن كان مشنوقا في هذه الدنيا لن يخشى شد الحبل.
ماريا : اوضح ما تقصد قوله.
فاست : لن يرى شيئا يرهبه.
ماريا : لقد اجبت ببراعة. استطيع ان اقول لك من اين جئت. وبهذا التعبير لا اخشى شد الحبل.
فاست : من اين انتِ، يا سيدتي ماريا؟
ماريا : من الحرب. يمكنك ان تقول هذا في حماقتك.
فاست : ألا انعم الله بالذكاء على من يتمتعون بالنباهة. أما بالنسبة الى الحمقى فأنى لهم ان يستخدموا ما ليس لديهم من المذاهب.
ماريا : ستشنق لانك تغيبت طوال هذه المدة، بل ستطرد. وهل عقاب الطرد يوازي الشنق بالنسبة اليك؟
فاست : الشنق افضل من الزواج غير الموفق. اما فيما يتعلق بالشنط فالصيف يتدبر امرهاً
ماريا : انت اذاً مصمم.
فاست : نعم صممت على امرين.
ماريا : معنى ذلك انك لم تصمم على اي شيء.
فاست : وهو كذلك. إمضي في طريقكِ. اذا عدل سير طوبي ذات يوم عن معاقرة الخمرة، فستكونين انت كثر نساء مقاطعة إلليري سرورا.
ماريا : اخرس. يا لك من تافه. كفى، فالسيدة مقبلة. اسمع نصيحتي وقدم لها اعتذارك بكل فطنة (تخرج).

(تدخل اوليفيا وملفوليو)

فاست : اذا حسن لديك ايها الظريف، دع ذهني يتوقد، لان العقول المتطرفة التي تظن انها تحتكر المواهب غالبا ما تكون حمقاء. اما انا فرغم قناعتي بأني لا امتلك كثيرا من المواهب أعتبر نفسي معتدلا. لان المثل يقول ان المجنون المتبصِّر افضل من العاقل الاحمق.

اوليفيا : خذوه. لا اريد مجانين هنا.

فاست : ألا تسمعون ايها الاغبياء؟ خذوا هذه السيدة. لا مكان هنا للمجانين.

اوليفيا : يا لك من مجنون هزيل. لا اريد بعد الآن ان اراك هنا، ما دمت قد فقدت نزاهتك.

فاست : النقص الذي ترينه فيّ. يمكن اصلاحه. فضعفي يمكن التغلب عليه بتناولي مزيدا من اللحم الجيد. وقلة نزاهتي يمكن اصلاحها بالنصائح المفيدة. سيدتي تقول ان لا مكان للمجانين هنا. وبالتالي انا اكرر طلبي ان تأخذوا هذه السيدة من هنا.

اوليفيا : لقد امرت بأن يأخذوك انت.

فاست : يا سيدتي، دعيني اثبت لك انك مجنونة.

اوليفيا : هل تستطيع اثبات ذلك؟

فاست : بكل براعة، يا سيدتي.

اوليفيا : هات برهانك.

فاست : لاجل ذلك، عليّ ان اسألك كأننا في التعليم الديني. اما انت فعليك ان تجيبي على جميع اسئلتي.

اوليفيا : فليكن ما تريد، يا سيدي. انا مستعدة لمناقشتك برهانك نظرا الى عدم انشغالي بتسلية اخرى.

فاست : لماذا انت حزينة، يا سيدتي؟

اوليفيا : بسبب وفاة اخي، ايها المخبول.

فاست : نفسه في جهنم، على ما أعتقد، يا سيدتي.

اوليفيا : لا، بل نفسه في السماء، ايها الغبي.
فاست : انت اذاً مجنونة ايتها السيدة، لانك حزينة بسبب وجود نفس اخيك في السماء. خذوها، فلا مكان للمجانين هنا، ايها السادة.
اوليفيا : ما رأيك بهذا المجنون ما ملفوليو؟ هل بالامكان اصلاحه.
ملفوليو : بالامكان اصلاحه. ولو تطلب الامر اذاقته اهوال الموت. العاهة تقضي على الانسان العاقل، بينما تصلح دائما احوال المجنون.
فاست : ألا بلاك الله، يا سيدي بعاهة عاجلة ليكتمل بها جنونك. سير طوبي مستعد لان يقسم بأني لست ثعلبا وبأنك لست سوى ابله.
اوليفيا : ما ردك على هذا يا ملفوليو؟
ملفوليو : انا أتعجب من سموكِ كيف ترتاحين الى معاشرة مثل هذا النذل الذي رأيته البارحة مهزوما امام احد المجانين أمثاله. ألا ترينه مرتبكا؟ انا اعتبر ان العقلاء هم الذين يسرّون بمشاهدة مثل هؤلاء المجانين وكأنهم هم انفسهم مجانين.
اوليفيا : انت مصاب بمرض الانانية، يا ملفوليو. عندما يكون المرء صاحب خلق كريم، تراه يقدر الامور حق قدرها. والمهرج الماهر الذي يمزح فقط لا يُعتبر سيء النية. وكذلك الرجل العاقل الذي ينتقد فقط يفعل ما يسرّ الآخرين.
فاست : ليمنحك برجك موهبة الكذب، لانك اثنيت كثيرا على المجانين.

(تدخل ماريا)

ماريا : يا سيدتي، في الباب شاب نبيل يريد التحدث اليك.
اوليفيا : هل هو آتٍ من قبل الدوق اورسينو؟
ماريا : لا أعلم، يا سيدتي. انه شاب جميل يصحبه موكب رفيع المستوى.
اوليفيا : مَن مِن رجالي يوقفه هناك؟
ماريا : سير طوبي، نسيبك، يا سيدتي.
اوليفيا : ارجوك ان تبعديه من هنا، ان تكلم كمجنون. (تخرج ماريا). انت يا ملفوليو، اذا فهمت ان الرسول من قبل الدوق، اذهب وقل له: اني مريضة او اني خرجت من المنزل. قل له ما تريد لأتخلص منه. (يخرج ملفوليو) ألا

ترى يا سيدي، ان ألاعيبك قد عفا عليها الزمن ولم تعد تنطلي على احد؟
فاست : لقد كلمتني، يا سيدتي، كما لو كنت والدة ابن بكر مصاب بالجنون، لا أضله جوبيتار. ها قد وصل احد اقاربك وهو نظير امه الثرثارة.

(يدخل سير طوبي)

اوليفيا : اقسم بشرفي بأنك نصف سكران. من في الباب، يا عمي؟
سير طوبي : رجل نبيل.
اوليفيا : رجل نبيل؟ ومن هو؟
سير طوبي : رجل نبيل يقف في الباب. (يخاطب فاست) حسنا، ايها المجنون.
فاست : يا سير طوبي...
اوليفيا : كم تبدو منهوكا، يا عمي. فالوقت لا يزال مبكرا.
سير طوبي : ما هذه الوقاحة؟ انا اكره الوقاحة. هناك من يقف في الباب.
اوليفيا : من هو؟
سير طوبي : انا لا أهتم به ولو كان الشيطان بعينه. صدقيني. (يخرج).
اوليفيا : هل يشبه السكران، يا ايها المجنون؟
فاست : يشبه غريقا غبيا مجنونا. الكوب الاول من الخمر يجعله غبيا، والثاني يجعله مجنونا، والثالث يغرقه.
اوليفيا : اذاً، بلغ عمي الدرجة الثالثة من السكر، وغرق. هيا اعتني به.
فاست : ما زال مجنونا فقط يا سيدتي. والمهرج سيعتني به (يخرج).

(يدخل ملفوليو)

ملفوليو : الشاب الغريب الاطوار الواقف هناك، يا سيدتي، يؤكد انه يريد التحدث اليك. وقد قلت له انك مريضة. فزعم انه علم مسبقا بذلك، ومع هذا، اتى للتحدث اليك. وقلت له انك نائمة، فزعم ايضا انه علم مسبقا بالامر ومع هذا، اتى للتحدث اليك. ماذا تريدين ان اقول له، يا سيدتي؟ يبدو انه يرفض الاعتذارات التي نقدمها له للحيلولة دون مقابلته اياك.

اوليفيا : قل له اني لا أود التحدث اليه.
ملفوليو : هذا ما ردَّدته له مرارا. لكنه مصرّ على البقاء واقفا في الباب، يرغب في التحدث اليك مهما كلفه الامر.
اوليفيا : أي نوع من الرجال هذا الوقح؟
ملفوليو : هو انسان مثلنا.
اوليفيا : أي سلوك يتبع هذا الرجل؟
ملفوليو : انه سيىء الخُلق، يزعم انه يريد ان يكلمك شئتِ أو أبيت.
اوليفيا : اي نوع من الاشخاص هو؟ وكم عمره؟
ملفوليو : يعتقد بأنه مفطوم حديثا عن ثدي أمه. لانه يتكلم بجسارة، وهو ذو وجه نضير.
اوليفيا : دعه يدخل، واستدعِ لي وصيفتي.
ملفوليو : ايتها الوصيفة، سيدتك تدعوك.
اوليفيا : اعطني خماري وضعيه على وجهي. سأستمع مرة اخرى الى مبعوث اورسينو.

(تدخل فيولا)

فيولا : من منكما سيدة المنزل؟
اوليفيا : وجِّهي سؤالك اليّ فأجاوب عليه. ماذا تريدين؟
فيولا : ارجوك ايتها الحسناء ان تقولي لي، هل انت سيدة المنزل؟ لاني لم أركِ من قبل. فأنا اكره ان يذهب كلامي أدراج الرياح. لانه بالاضافة الى إحكام صياغته اجهدت نفسي في حفظه، فلا تدعيني عرضة للازدراء، اذ ان اي تصرف غير لائق يجرح احساسي.
اوليفيا : من ارسلك، يا سيدتي؟
فيولا : لا استطيع ان أتفوه الا بما تلقنته. وهذا السؤال خارج عن مهمتي. ايتها اسيدة اللطيفة، قولي لي بكل بساطة، هل انت سيدة المنزل ام لا لأستهل خطابي؟
اوليفيا : هل انت ممثل؟

فيولا : لا، أؤكد لك ذلك من أعماق قلبي، وأقسم لك ايضا بأني لست الشخص الذي أمثله. هل أنت سيدة المنزل؟

اوليفيا : نعم انا سيدة المنزل.

فيولا : سأستهل خطابي المعد لمديحك وأكشف لك عن مهمتي.

اوليفيا : أدخل في صلب الموضوع. فأنا اعفيك من المديح.

فيولا : لقد اجهدت نفسي في حفظه، وفيه الكثير الكثير من الشعر.

اوليفيا : هذا يعني انه خيالي. ارجوك ان تحتفظ به لنفسك. لقد علمت بأنك كنت وقحا عندما وقفت في بابي، وسمحت بقبولك من قبيل الفضول لأراك، لا لاستمع اليك. فاذا كنت مجرد مجنون، انسحب. واذا كنت عاقلا، اختصر كلامك. فأنا لست مستعدة للدخول في حوار غير متماسك ولا موزون.

ماريا : ان اردت الذهاب من هنا، يا سيدي، فهذا هو طريقك.

فيولا : لا، ارجوك (تخاطب اوليفيا) هدئي روع هذا العملاق الواقف الى جانبك يا سيدتي.

اوليفيا : قل لي، ماذا تريد؟

فيولا : انا رسول...

اوليفيا : لا شك في انك جئت لتعلن لي عن امر مرعب، لانك تبدو في غاية الخوف والجزع. اوضح لي رسالتك.

فيولا : رسالتي، عليّ ان أبلغك اياها سرا. فلست طالب اكرام ولا معلن حرب. انا احمل غصن الزيتون بيدي، وكلامي لا ينطوي الا على السلام والوئام.

اوليفيا : مع ذلك، كانت مقدمتك قاسية. فمن انت، وماذا تريد؟

فيولا : القساوة التي أبديها هي مجرد دور مسرحي تعلّمته. أمّا مَن أنا، وماذا اريد، فهذا يبقى سرا كالبكارة. هذه الكلمة مقدسة بالنسبة اليكِ، وهي بذيئة بالنسبة الى اية امرأة سواك.

اوليفيا (تخاطب ماريا) : دعينا وحدنا. اريد سماع هذه الكلمة المقدسة (تخرج ماريا) والآن ما هو النص الذي تريد ابلاغي اياه؟

فيولا : ايتها السيدة الجميلة...
اوليفيا : قلت، ما هو النص الذي تريد ابلاغي اياه؟
فيولا : النص في قلب اورسينو.
اوليفيا : في قلبه؟ في اي قسم من قلبه؟
فيولا : في اول قسم منه.
اوليفيا : لقد قرأته، ووجدته محض كفر. هل عندك ما تريد ان تقوله بعد؟
فيولا : دعيني أشاهد وجهك أيتها السيدة الحسناء.
اوليفيا : هل ارسلك سيدك لتتحدث الى وجهي. ها قد ابتعدت عن نصك. لكني سأريك وجهي. (تنتزع الخمار عن وجهها) انظر، هذا ما انا عليه حاليا. هل رأيت ما يسرك؟
فيولا : هذا رائع. اذا كان الله وحده هو الذي صنعه.
اوليفيا : ثق بأنه يقوى على الريح والمطر.
فيولا : هذا جمال عجيب التكوين. هذا الاحمرار وهذا البياض صاغتهما يد الطبيعة بكل اتقان يا سيدتي. ستكونين اقسى المخلوقات اذا حملت معك كل هذه المفاتن الى القبر دون ان تتركي صورة عنها في هذا العالم.
اوليفيا : لن اكون قاسية القلب الى هذا الحد. سأترك صورة عن مفاتني في وصيتي. هل ارسلك سيدك الى هنا لتُعجب بي؟
فيولا : انا اعلم بما انت عليه. انت كثيرة الاعجاب بنفسك. لكنك تظلين جميلة ولو اصبحت شيطانا. سيدي يحبك، واعلمي ان حبا كهذا ينبغي ان يكون مبادلا.
اوليفيا : كيف يحبني؟
فيولا : يحبك حتى العبادة، بدموع سخية وتأوهات ملتهبة.
اوليفيا : سيدك على علم بتفكيري. فأنا لا استطيع ان احبه. مع ذلك أتصوره رجلا فاضلا، وأعلم بأنه نبيل وسليل بيت أصيل، ويتمتع بشباب غض، وهو عفيف كريم الاخلاق ومثقف شجاع، حسن الهندام رشيق القوام. ورغم ذلك كله، انا لا استطيع ان احبه. وكان ينبغي عليه ان يعلم ذلك، منذ وقت طويل.

فيولا : لو كنت احبك كما يحبك سيدي الذي يمضي حياته في الحرمان والتقشف لاجلك، لما رأيت مبررا لرفضك هذا.

اوليفيا : ماذا كنت تفعل؟

فيولا : كنت أنصب خيمة أمام بابك، وأنظم أشعارا عاطفية عن حبي المحتقر، انشدها عاليا في عتمة الليل، وأصرخ متلفظا باسمك حتى يبلغ صداه التلال، ولا أنقطع عن تكرار هذا حتى تشفقي عليّ.

اوليفيا : من اي بيت تنحدر؟

فيولا : انا رجل نبيل، يفوق اصلي ثروتي. ومع ذلك، ثروتي تكفيني.

اوليفيا : عد الى سيدك. فأنا لا استطيع ان احبه. وليكفّ عن ارسالك اليّ. الا اذا اردت ان تعود صدفة لتخبرني كيف كان وقع هذا الرد عليه. وداعا اشكرك. انفق هذا على نفسك من قبلي (تعطيه محفظة).

فيولا : لست رسولا مأجورا، يا سيدتي. فاحتفظي بمحفظتك. ينبغي ان تقدمي المكافأة لسيدي، لا لشخصي. ألا ليت الحب يحوّل قلب من تحبينه الى صخر، ويجعل حبك وحب سيدي يلقيان الازدراء. وداعا ايتها الجميلة القاسية. (تخرج).

اوليفيا : من اي بيت تنحدر؟ تقول: « انك رجل نبيل، يفوق اصلك ثروتك، ومع ذلك، ثروتك تكفيك ». اقسم لي بأنك انت هو. ان لهجتك ووجهك وشكلك ومشيتك وروحك، جميعها تثبت نسبك. لكن، مهلا، لا تتسرعي يا اوليفيا. هل اتخذ السيد زيّ الخادم؟ هل مثل هذه الخدعة تحل المشكلة؟ اني اشعر بمفاتن هذا الشاب تلج عينيّ عنوة. فالارجح انه هو. ها قد أقبل ملفوليو.

(يدخل ملفوليو)

ملفوليو : انا رهن شارتك، يا سيدتي.

اوليفيا : اسرع وراء هذا الرسول الخبيث الذي بعث به اليّ الدوق. لقد ترك هنا هذا الخاتم رغما عني. قل له اني لا أقبله، لا أريد ان تغر معلمه احلام كاذبة. انا لست له. واذا اراد هذا الشاب ان يمر من هنا غدا سأشرح له لماذا رفض معلمه. اسرع يا ملفوليو.

ملفوليو : سمعا وطاعة، يا سيدتي. (يخرج).

اوليفيا : لا أعلم ماذا أفعل. وأخشى ان تكون عيني قد سحرت خيالي كثيرا. ايها القدر اظهر قوتك. نحن لا نملك زمام امورنا. فما هو مقدّر لنا لا بد من وقوعه. (تخرج).

الفصل الثاني

المشهد الاول

في مسكن على الشاطىء

(يدخل انطونيو وسيبستيان)

انطونيو : ألا تريد الاقامة طويلا، ولا تريد ان أصحبك؟

سيبستيان : كلا، ارجوك. ان برجي يرسل اليّ النور شاحبا، وقدري الملعون قد يؤثر على قدرك. فأستحلفك اذاً ان تدعني أتحمل مصائبي بمفردي. قد أسيء مكافأتك على صداقتك لي اذا تركتك ترزح تحت قسم منها.

انطونيو : دعني أعرف فقط الى اين انت ذاهب.

سيبستيان : لا، لا، لان طريقي مليء بالغرابة والتهور. لكني ألاحظ انك تتمتع باحساس مرهف. انت لا تريد ان تنتزع مني ما اريد الاحتفاظ به لنفسي، وهذا ما يدفعني بقوة الى البوح لك بسري. إعلم اذاً، يا انطونيو، ان ادعى سيبستيان رغم اني اتخذت لي اسما آخر هو اسم ردريكو. والدي اسمه سيبستيان دي مسّالين، وأعتقد بأنك سمعت به. لقد رزق توأمان انا وشقيقتي التي ولدت معي في ذات النهار. كنت أتمنى لو شاءت السماء ان ننهي معا حياتنا كما بدأناها سوية. لكنك انت قررت عكس ذلك. وقبل ساعة تقريبا من انتشالك اياي من أعماق اللجة غرقت فيها اختي.

انطونيو : يا للأسف. تباً له من يوم مشؤوم.

سيبستيان : رغم انها تشبهني الى حد كبير، فقد كانت مشهورة بجمالها وكانت لها اخلاق ترغم حتى حسَّادها على الاقرار بروعتها يا للاسف! لقد غرقت في مياه البحر المرة، وينبغي علي ان اغرق ذكراها في مياه اكثر مرارة ايضا.

انطونيو : اعذرني، يا سيدي على ضيافتي غير اللائقة بمقامك.

سيبستيان : اعذرني انت يا انطونيو على ما سببته لك من ازعاج.

انطونيو : اذا كنت لا تريد ان تجرح حبي لك جرحا بليغا، دعني اصبح خادما لك.

سيبستيان : اذا كنت لا تريد ان تخسر الشخص الذي انقذته، كف عن الالحاح. وداعا للمرة الاخيرة. اني مرهف الحس حتى ان عيوني تخونني لدى اول مناسبة اني من هذا القبيل اشبه والدتي. وأنا ذاهب الى قصر الدوق أورسينو. وداعا.

انطونيو : لتصحبك نعم الباري. (يخرج سيبستيان) اعدائي كثيرون في قصر اورسينو. ولولا ذلك للحقت بك الى هناك بسرعة. لكني احبك الى حد اني أهزأ بجميع المخاطر. انا ذاهب. (يخرج).

المشهد الثاني
في أحد الشوارع

(تدخل فيولا يتبعها ملفوليو)

ملفوليو : ألم تكن منذ برهة مع الكونتيس اوليفيا؟

فيولا : أجل، منذ لحظة يا سيدي. ولم يمض على مغادرتي اياها سوى الوقت الذي استغرقه وصولي الى هذا المكان بخطى معتدلة.

ملفوليو : هي تعيد اليك هذا الخاتم. كان بامكانك ان توفر عليّ عناء حمله اليك. وتريد منك ان تؤكد لسيدك انها لا تحبه وأن لا تعود مجددا الى مقابلتها في هذا الموضوع، الا اذا اردت ان تطلعها على حالة سيدك اثر تلقّيه رفضها. والآن، خذ هذا.

فيولا : لقد قبلت هذا الخاتم مني. لذلك لا اريد استعادته.

ملفوليو : انت ألقيت به اليها بكل وقاحة، لان ارادتها هي ان يعاد اليك. وها هو ملقى على الارض امام عينيك فتناوله، وإلا اصبح ملكا لعابري السبيل.

(يخرج بعد ان يرمي الخاتم عند قدمي فيولا)

فيولا (تلتقط الخاتم) : لم أترك لها خاتماً. ماذا تريد هذه السيدة؟ هل أعجبها شكلي؟ القدر لا يريد ذلك. فقد تأملتني مليا حتى انها بدت شاردة الذهن وهي تتحدث اليّ. هي تحبني بدون شك، وتدعوني مجددا الى زيارتها بواسطة هذا الرسول الخشن. هي لا تريد خاتم سيدي. لكنه لم يرسل اليها خاتما قط. انا صاحب الخاتم. واذا كان الامر كذلك، ايتها المرأة المسكينة، فمن الافضل لك ان تعشقي رؤيا من ان تهويني. ايها التخفّي، انت انتهاك يستغله عدو الجنس البشري ببراعة. كم هو سهل على المخادعين المهرة ان يؤثروا في قلوب النساء الضعيفات. مرد ذلك هو ضعفنا وليس شخصنا، وسلوكنا هو صورة طبق الاصل عن نوعية تكويننا. كيف يمكن تسوية هذه المسألة؟ سيدي يحبها كثيرا، بينما انا مغرمة به، وهي رغم ازدرائها متيمة بي.

الى اين سيصل بنا كل هذا؟ انا كرجل لا يسعني ان احظى بحب سيدي، ولا كامرأة كما انا الآن في الواقع. يا للأسف! كثيرة هي التنهدات غير المجدية التي انتزعتها من فم المسكينة اوليفيا. ايها الزمن، ان حل هذه المسألة منوط بك وحدك اذ يتعذر عليّ انا حلها. (تخرج).

المشهد الثالث

في منزل اوليفيا

(يدخل سير طوبي وسير اندريه)

سير طوبي : اقترب يا سير اندريه. بقاء المرء خارج سريره بعد منتصف الليل يعني انه استيقظ باكرا. انت تعرف ذلك.

سير اندريه : لا، لا اعلم ذلك. ما اعلمه هو ان المرء اذا استيقظ متأخراً فهذا يعني انه استيقظ متأخرا.

سير طوبي : انا اكره الاستنتاج الخاطىء كما اكره كأسا فارغة. يقال ان كياننا مزيج من اربعة عناصر.

سير اندريه : أعتقد بأنه مزيج من الاكل والشرب.

سير طوبي : انت عالم. لنأكل اذاً ونشرب. يا ماريا، اعطنا ابريق الخمر.

سير اندريه : انظر، ها هو المجنون قادم الينا.

فاست : حسنا، ايها الاحباء. ألم تسمعا بالثلاثية الموسيقية التي ألفتها؟

سير طوبي : اولا، اهلا بك، ايها الحمار. والآن أسمعنا مقطوعتك الموسيقية.

سير اندريه : اقسم بأن للمجنون حنجرة رائعة. انا اعطي اربعين شلنا مقابل الحصول على ساقٍ وعلى صوت احد المجانين. كنت رائعا في هزلك مساء البارحة.

سير اندريه : والآن أسمعنا اغنيتك.
فاست : هل تريدان اغنية غرامية ام اغنية اخلاقية؟
سير طوبي : اغنية حب، اغنية عشق.
سير اندريه : أجل، أجل، لاني لا أهتم البتة بالاخلاق.
فاست يغني :

حبيبتي الى اين تمضين مسرعة؟
ألا قفي واسمعي، لقد وصل حبيبك المخلص
الذي يحسن الغناء بصوت عالٍ وصوت منخفض.
لا تذهبي بعيدا ايتها الحسناء.
ان كل تنقل يتوقف عندما يلتقي حبيبان
وابن الحكيم يعلم ذلك.

سير اندريه : رائع.
سير طوبي : حسن، حسن.
فاست :

ما الحب؟ انه لا يكمن في الآتي.
الفرح القائم، له بهجة الحاضر.
اما هو في المستقبل فانه غير مؤكد
لا يربح الانسان شيئا بتعلقه بالمُهل
تعالي اذاً ايتها الجميلة وقبليني
لان الشباب نسيج لا يمكن ان يدوم.

سير اندريه : يا له من صوت شجي!
سير طوبي : يا له من نفَس عاطر.
سير اندريه : يا له من صوت شجي وعاطر!
سير طوبي : وماذا بعد؟
سير اندريه : لننشد اللحن الذي يقول مطلعه: إخرس ايها النذل. انا مرغم على تسميتك نذلا ايها الفارس.
سير طوبي : ليست المرة الاولى التي احمل فيها احدا على مناداتي بهذا

الاسم. إبدأ ايها المجنون. فاللحن يبدأ هكذا: إخرس.
فاست : اذا كنت سأصمت، فلن ابدأ بتاتا.
سير اندريه : هيا ابدأ. (ينشد الثلاثة مقطوعة موسيقية ثلاثية الاصوات).
(تدخل ماريا)
ملفوليو : هل هذا معقول؟
ماريا : ماذا تفعلون هنا؟ اذا لم ترسل سيدتي وكيلها ملفوليو ليطرحكم خارجا، فلا تثقوا بي بعد الآن.
سير طوبي : السيدة من اصل صيني، ونحن رجال دولة، وملفوليو رجل ماكر، ونحن ثلاثة رفاق سعداء. ألستُ من اقاربها. (يغني).
كان رجل في بابل، ايتها السيدة، ايتها السيدة.
فاست : وفي غاية السعادة.
سير اندريه : أجل.
سير طوبي (يغني) : في الشهر الثاني عشر من شهر كانون الاول.
ماريا : أستحلفكم بالله ان تسكتوا.

(يدخل ملفوليو)
ملفوليو : هل انتم مجانين، ايها السادة؟ وإلا، فمن انتم اذاً؟ هل فقدتم كل تفكير وكل حس سليم وكل ادب حتى تزعقوا مثل بائعي الاواني النحاسية في مثل هذه الساعة من الليل؟ هل تعتبرون منزل السيدة حانة حتى تنشدوا اغانيكم هنا بصوت عالٍ؟ هل فقدتم رصانتكم، فبتُّم لا تحترمون الدار ولا من فيها؟
سير طوبي : لقد حافظنا على الايقاع في انشادنا.
ملفوليو : يا سير طوبي، عليّ ان اكون صريحا معك. لقد كلفتني السيدة بأن اقول لك انها مستعدة لاستقبالك. لكنها تكره ما انت عليه من الفوضى. فاذا كنت مستعدا لان تقلع عن سلوكك السيىء فأهلا بك، وإلا فانها على استعداد لان تقول لك وداعا بعد ان تستأذن منها اذا شئت.
سير طوبي (يغني) : وداعا يا عزيزتي، اذ ينبغي لي ان أرحل.
ماريا : هيا يا سير طوبي.
فاست (يغني) : ان عينيه تنبئان بأن حياته اوشكت على الانتهاء.

ملفوليو : هل هذا معقول؟
سير طوبي (يغني) : ولكني لن اموت ابدا.
فاست : انت تكذب.
ملفوليو : هذا شرف كبير لك.
سير طوبي (يغني) : هل اقول له ان يرحل؟
فاست (يغني) : ومتى ستفعل ذلك؟
سير طوبي (يغني) : هل اقول له ان يرحل دون ان اشكره؟
فاست (يغني) : لا، لا، لا. لن تجرؤ على ذلك.
سير طوبي : تقول اننا نزعق؟ انت كاذب. انت لست سوى وكيل. هل تعتقد بأنك اذا كنت فاضلا، لم يبق من أكل ولا شرب.
فاست : ويعتقد بأن نبتة الزنجبيل ستحرق أفواهنا.
سير طوبي (يخاطب فاست) : انت على صواب (يخاطب ملفوليو) اذهب واجعل قلادتك بلبّ الخبز. يا ماريا، اعطيني مزيدا من الخمر.
ملفوليو : يا سيدتي ماريا، اذا كنت تقدرين فضل السيدة عليك، امتنعي عن القيام بمثل هذا العمل غير اللائق. اقسم لك بأنها ستعلم بكل هذا (يخرج).
ماريا : اذهب من هنا، ودع أذنيك تهتزان. عزيزي سير طوبي، عليك ان تصبر هذه الليلة فقط. سيدتي تبدو مضطربة منذ ان زارها خادم الدوق الشاب. اما بالنسبة الى ملفوليو، فدعني أتدبر امره بنفسي. اذا لم اجعل منه أضحوكة للناس اجمعين، فثق بأني لا املك من الذكاء ما يمكنني من ان أتمدد على سريري.
سير طوبي : هيا حدثينا عنه.
ماريا : يبدو على هذا الرجل من وقت الى آخر، انه من المتزمتين في أمور الدين.
سير اندريه : اذا ثبت لي ان الامر كذلك، فأنا سأضربه كما تضرب الكلاب.
سير طوبي : لكن ما هو السبب الذي يبرر موقفك هذا؟
سير اندريه : لديّ اسباب كافية.
ماريا : هو شيطان، احمق يلقي بحِكَمه على الناس. هو يحب ذاته ويعتقد بأنه

لا يمكن ان يراه احد دون ان يحبه، لما هو عليه من الكمال. فلهذه الاسباب مجتمعة سأنتقم منه.

سير طوبي : ماذا ستفعلين؟

ماريا : سألقي في طريقه رسالة غرام، ارسم فيها ملامح وجهه وعينيه وجبينه بحيث يعتقد بأن الرسالة موجهة اليه. فخطي يشبه كثيرا خط السيدة ابنة اخيك.

سير طوبي : هذا رائع. سيظن ان الرسالة موجهة اليه من قبل ابنة اخي المغرمة به.

ماريا : هذا ما اصبو اليه.

سير اندريه : وهكذا يصبح حمارا.

ماريا : وهو كذلك.

سير اندريه : سيكون هذا عملا رائعا.

ماريا : سيسبب لنا مرحا لا يوصف. وستكونان في المكان الذي سيجد فيه الرسالة لتدوّنا تعليقاته عليها. الآن اذهبا الى النوم وفكرا بما سيحصل غدا. وداعا.

سير طوبي : اسعدت مساء (تخرج ماريا).

سير اندريه : أقسم بأنها فتاة ممتازة.

سير طوبي : اراها تحبني. فما رأيك بذلك؟

سير اندريه : لقد كنت محبوبا طوال ايامك الماضية.

سير طوبي : هيا نذهب الى النوم. من الافضل ان تحضر مزيدا من المال.

سير اندريه : اذا لم أحظ بابنة اخيك، سيخيم عليّ ضيق عظيم.

سير طوبي : قلت لك، احضر مزيدا من المال، واذا لم تحظ في النهاية بابنة اخي اعتبرني من الاشرار.

سير اندريه : اذا رفضتها، لا تعتمد عليّ بعد الآن. لكن عاملني كما تشاء.

سير طوبي : تعال نتناول بعض الخمر. فقد تأخرنا في الذهاب الى النوم. تعال أيها الفارس، تعال. (يخرجان).

المشهد الرابع
في قصر الدوق

(يدخل الدوق وفيولا وكوريو وآخرون)

الدوق : أسمعوني بعض الموسيقى. صباح الخير ايها الاصدقاء. أسمعني يا سيزاريو ذاك النشيد الذي غنيته الليلة البارحة، فقد اثلج صدري اكثر من هذه الالحان الخفيفة. هيا انشدنا مقطعا واحدا فقط.

كوريو : يا سيدي، من يستطيع انشاده ليس هنا.

الدوق : من الذي انشده اذاً؟

كوريو : فاست المهرج. وهو مجنون كان يحبه والد السيدة اوليفيا كثيرا. ولا بد من ان يوجد الآن في احد أرجاء القصر.

الدوق : اذهب وابحث عنه. وبانتظار عودته، أسمعوني بعض الموسيقى. (يخرج كوريو. تعزف الموسيقى. يخاطب فيولا) اقترب ايها الخادم. اذا احببت ذات يوم، فاذكرني لان جميع المحبين مثلي متقلبين في كل شيء، باستثناء تفكيرهم المستمر بمن يحبون. ما رأيك بهذا اللحن؟

فيولا : له صدى في الاعماق حيث ينتصب عرش الحب.

الدوق : انت تتكلم ببلاغة عن الحب. أقسم بحياتي، بأن نظرك مفتون باحدى الحسناوات، أليس كذلك؟

فيولا : هذا ما حصل، يا سيدي.

الدوق : اي نوع من النساء هي التي تحبها؟

فيولا : لا شك في انها تعجبك.

الدوق : كم عمرها؟

فيولا : هي في مثل سنك، يا سيدي.

الدوق : اذاً، لا بد من ان تكون متقدمة في العمر. عندما تختار المرأة زوجا اكبر منها سنا. ففي الغالب تحظى بزوج رصين. لان اهواءنا نحن معشر

الرجال تبقى اكثر تقلبا وأكثر ضياعا من أهواء النساء.

فيولا : أظن ذلك، يا سيدي.

الدوق : لذلك عليك ان تختار حبيبة اصغر منك سنا، لان النساء كالورود التي لا تكاد تتفتح حتى تذبل.

فيولا : هذا هو الواقع المؤسف. لماذا يحكم عليهن بالموت عندما يبلغن أوج الكمال؟

(يدخل كوريو ومعه فاست).

الدوق (يخاطب فاست) : هيا، يا صديقي، أسمعنا الاغنية التي انشدتها مساء البارحة. يا سيزاريو، ألا تلاحظ مثلي ان هذه الاغنية قديمة وبسيطة، وغالبا ما تتزنم بها الفتيات اللواتي يعملن في مصنع الغزل والحياكة. هي اغنية بسيطة وصادقة تنسجم مع براءة الحب، تماما كما كان يحدث في غابر الزمان.

فاست : هل انت مستعد، يا سيدي.

الدوق : أجل، أرجوك ان تغني.

فاست (يغني) :

تعال، تعال، ايها الموت،
سأرقد تحت سروة حزينة.
اصعدي، اصعدي ايتها الانفاس
لقد اجهزت عليّ فتاة قاسية.
أعدوا لي كفني الابيض النقي
ونعشي المزيَّن بالخشب العاطر.
على مسرح الموت لا يتمنى احد تمثيل دوره
أمنيتي ان لا تنثر اية زهرة شذية فوق نعشي الاسود
وأن لا يحيِّي أي صديق جسدي البارد
واذا شئتم ان تجنبوني المزيد من البكاء
اجعلوا قبري في ناحية يتعذر

على محب حزين ان يهتدي اليه ليبكيني.

الدوق: (**يدفع بمحفظة من النقود الى فاست**): خذ هذه النقود لقاء أتعابك.

فاست : انا لا اشعر بالتعب عندما اغني، بل يسعدني الغناء.

الدوق : حسنا.. انا أكافئك على سرورك بالغناء.

فاست : طبعا، يا سيدي، فالمتعة يدفع ثمنها عاجلا أو آجلا.

الدوق : لذا ادعك وشأنك.

فاست : وأنا اطلب من إله الحزن ان يحميك من الكدر. أتمنى لو ان الناس يبحرون في كل اتجاه بدون هدف معين. فهذه هي الوسيلة الفضلى للسفر بدون اية غاية. وداعا (يخرج).

الدوق : انكفئوا انتم (يخرج كوريو والباقون) يا سيزاريو، عد مرة اخرى الى هذه القاسية وقل لها ان حبي هو أنبل ما في الكون بأسره، ولا يعبأ بما تدخره من ثروة. وان ما يجذب نفسي اليها، هو هذه الجوهرة الفريدة التي زينتها بها الطبيعة.

فيولا : لكن، يا سيدي، اذا كانت لا تستطيع ان تحبك؟

الدوق : لا يمكنني ان أقبل بمثل هذا الجواب.

فيولا : لنفترض ان سيدة تعاني في حبك الآلام التي تسببها لك اوليفيا، وأنت لا تستطيع ان تحبها، فيجب ان لا تقبل هي بجوابك هذا.

الدوق : لا يقوى صدر المرأة ان يتحمل زخم الحب العارم الذي يختلج به قلبي. لا يستطيع قلب امرأة ان يسع عواطف كالتي تغمر نفسي. لان حب المرأة اشبه ما يكون بالشهية القابلة للارتواء والاشمئزاز. اما حبي فانه كالبحر يبتلع كل شيء. فلا تحاول المقارنة بين الحب الذي يمكن ان تكنه لي اية امرأة، وحبي لأوليفيا.

فيولا : أجل، لكني اعرف...

الدوق : ماذا تعرف؟

فيولا : اعرف كم هو عظيم هذا الحب الذي يمكن ان تكنه النساء للرجال. ان قلوبهن تحب بسخاء مثلنا. كان لوالدي ابنة مغرمة بأحد الرجال تماما كما كان يمكن ان اغرم بك انا لو كنت امرأة.

الدوق : وما هي قصتها؟
فيولا : لم تبح بحبها مطلقا، انما احتفظت بسره كما يحتفظ البرعم بشذى الوردة. فقضى على نضارة وجنتيها وعلى تفكيرها، حتى اصبحت تبتسم للألم. ألم يكن كل هذا نتيجة الحب؟ ونحن معشر الرجال نستطيع ان نتكلم اكثر ونقسم اكثر. لكن براهيننا تتخطى في الواقع مشاعرنا. فنحن في النتيجة نكثر من الاحتجاج ونقلل من الحب.
الدوق : لكن هل ماتت اختك من جراء حبها، يا ولدي؟
فيولا : انا الآن وحيد، لا اخ لي ولا اخت. ومع ذلك، لا اعرف... هل اذهب الى تلك السيدة ام لا؟
الدوق : أجل، يجب ان تسرع اليها. اعطها هذه الجوهرة وقل لها ان حبي لا يتحمل الرفض (يخرجان).

المشهد الخامس
في ممر ضمن حديقة أوليفيا

(يدخل سير طوبي وسير اندريه وفبيان)

سير طوبي : تعال، تعال، يا سيدي فبيان.
فبيان : ها قد وصلت. لن انسى ما حييت تفاصيل هذه المهزلة.
سير طوبي : ألم تسرّك رؤية هذا النذل بعد اذلال كبريائه؟
فبيان : سرَّني ذلك كثيرا، مع انه افقدني الحظوة لدى السيدة، بمناسبة وقوع معركة الخنازير هنا.

سير طوبي : ستُحضر الى هنا احد الخنازير لكي تغيظه وتسخر منه. أليس كذلك يا سير اندريه؟

سير اندريه : ينبغي ان نفعل ذلك.

(تدخل ماريا)

سير طوبي : ها قد جاء العفريت الصغير.

ماريا : اختبئوا انتم الثلاثة. سينزل ملفوليو الى هذا الممر. فقد مضى عليه نصف ساعة وهو واقف في الشمس يتأمل ظله. ارجوكم ان تنظروا اليه. انا واثقة بأن هذه الرسالة ستجعل منه رجل تأمل أبله. أستحلفكم ان تتنحُّوا قليلا. (يختبىء الرجال الثلاثة. ترمي ماريا بالرسالة الى الارض). انت، ابقَ هناك. فقد وصلت السمكة التي سنصطادها ونحن نداعبها (تخرج ماريا).

(يدخل ملفوليو)

ملفوليو : الحظ هو كل شيء. لعمري، هي تشعر بميل طبيعي اليّ. وقد اخبرتني ماريا بذلك عندما سمعتها شخصيا تعلن انها اذا احبت ذات يوم، ستحب رجلا من أمثالي، وهي لا تعامل بقية خدام المنزل كما تعاملني.

سير طوبي (**على حدة**) : ها قد وقع في الفخ الذي نصبته له.

فبيان (**على حدة**) : التأمل جعل منه ديكا حبشيا. انظر كيف يتبختر ويتباهى بريشه.

سير اندريه (**على حدة**) : يا الهي!

سير طوبي (**على حدة**) : هدئوا روعكم.

ملفوليو : سأصبح كونت ملفوليو. اذ سبق وتزوجت السيدة ستراتشي احد الحجّاب المؤتمنين على ثيابها وكان في وضع مماثل.

فبيان : اراه غارقا في تخيلاته.

ملفوليو : لقد تزوجته منذ ثلاثة اشهر.

سير طوبي (**على حدة**) : اعطوني قوسا سريعا وقاسيا لأفقأ عينيه.

ملفوليو : سأستدعي قوّادي ليقفوا حولي بعد ان أغادر سريري حيث تكون اوليفيا نائمة.

سير طوبي (**على حدة**) : ليتك تصبح وقودا للنار.

فبيان (**على حدة**) : هدئوا روعكم، هدئوا روعكم.
ملفوليو : عندئذ سأقف امامهم متغطرسا وألقي عليهم نظرة تجعلهم يدركون مقامي من جهة، ومقامهم هم ايضا بالنسبة اليّ من جهة ثانية. ثم أستدعي نسيبي سير طوبي.
سير طوبي (**على حدة**) : ألا ليتك تُكبَّل بالقيود!
فبيان (**على حدة**) : هدئوا روعكم، وانتبهوا.
ملفوليو : ليذهب سبعة من رجالي ويبحثوا عنه. وبانتظار ذلك أقطب جبيني وألهو باحدى المجوهرات. فيصل سير طوبي ويدنو مني ويحييني...
سير طوبي (**على حدة**) : هل سيبقى هذا المحتال حيا؟
فبيان (**على حدة**) : قلت لكم وأكرر القول: هدئوا روعكم.
ملفوليو : سأمد اليه يدي هكذا، وانظر اليه نظرة من له سلطان...
سير طوبي (**على حدة**) : عندئذ سألطمك لطمة عنيفة، أليس كذلك.
ملفوليو : عندئذ سأقوله له: الحظ الذي وهبني ابنة اخيك وهبني ايضا ميزةِ التحدث.
سير طوبي (**على حدة**) : لنستمع، لنستمع.
ملفوليو : يجب ان تقلع عن السكر.
سير طوبي : قتلك مرض الطاعون.
فبيان (**على حدة**) : مهلا، وإلا اكتشف امرنا.
ملفوليو : ينبغي ايضا ان تكف عن هدر وقتك الثمين بصحبة هذا الفارس الأبله.
سير اندريه (**على حدة**) : يقصدني انا بكلامه هذا، لان العديد من الناس يدعونني غبيا.
ملفوليو : ماذا يجري هناك؟ (يلتقط الرسالة)
فبيان (**على حدة**) : أوشك ان يقع في الفخ.
سير طوبي (**على حدة**) : هدئوا روعكم. ليته يقرأ بصوت عالٍ!
ملفوليو : أقسم بحياتي بأن هذا الخط يخص السيدة.
سير اندريه (**على حدة**) : كيف عرفت ذلك؟

ملفوليو (**يقرأ العنوان**) : الى الحبيب المجهول أبعث برسالتي هذه مع اطيب تمنياتي. هذه هي تعابيرها، وهذا هو ختمها. الى من يمكن ان توجه هذه الرسالة؟ (يفضّ الرسالة).

فبيان (**على حدة**) : لقد اخذت بمجامع قلبه.

ملفوليو (**يقرأ**) : الله يعلم من احب

ولكن من؟

شفتاي لا تتحركان.

لا أريد ان يعلم به احد.

لا اريد ان يعلم به احد. آه! لو كنت انت المقصود بذلك، يا ملفوليو!

سير طوبي : اذهب واشنق نفسك، ايها الوغد.

ملفوليو (**يقرأ**) : استطيع ان آمر حيث احب

لكن الصمت كسكّين لوكراس

يخترق قلبي دون ان يسيل منه دم

م. ل. أ. و. يسيطر على تفكيري.

فبيان (**على حدة**) : هذا لغز عويص.

سير طوبي (**على حدة**) : يا لها من فتاة رائعة!

ملفوليو : ما معنى م. ل. أ. و.؟

فبيان : أي نوع من السم أعدت له؟

ملفوليو : استطيع ان آمر حيث احب. تستطيع ان تأمرني، فأخدمها. هي سيدتي. الامر في غاية الوضوح، ولا مجال للتردد. لكن ما معنى هذه الاحرف في نهاية المقطع؟ آه! لو كنت استطيع ان اجعلها تنطبق عليّ. الحرف الاول يبتدىء به اسمي. اما باقي الحروف مجتمعة فلا يمكن ان تؤلف اسمي. لكن جميع هذه الحروف موجودة في اسمي. لذلك ينبغي ان ارى فيها تلميحا اليّ. مهلا. لنقرأ النثر المتبقي. (يقرأ).

« اذا وقعت هذه الرسالة بين يديك، فكّر جيدا. انا بحسب برجي اعلى منك مرتبة انما لا تخف من الامجاد. هناك من يولدون عظماء، وهناك ايضا من يكتسبون العظمة اكتسابا، وهناك اخيرا من تفرض عليهم العظمة فرضا. القدر

يمد اليك يده فتناولها بجرأة. ولكي تستعد لما انت قادر على بلوغه، عليك ان تنزع عنك الانسان الحقير وتبدو انسانا جديدا، كن متجهم الوجه مع اقاربك، وفظا مع خدامك. اتخذ لك شكلا فريدا. تذكر جيدا من كان يمتدح جواربك الصفراء. تذكر ذلك جيدا. انت الان شخصية مرموقة، اذا اردت ذلك. وإلا فانك ستظل الى الابد وكيلا بسيطا، تصحب الخدم، ولا يحق لك ان تلمس الحظ والسعادة ولو بطرف اصبعك. وداعا. واسلم لمن تريد ان تخدمك بدلا من ان تخدمها انت ».

«الثرية المعذبة »

الامر في غاية الوضوح. سأقرأ كتب المؤلفين السياسيين، وسأعمل على ان اكون رجلا انيقا. لن أخدع بعد الآن لان كل الدلائل تشير الى ان السيدة تحبني. لقد امتدحت مؤخرا جواربي الصفراء، وبذلك اظهرت لي حبها. بقي عليّ ان أبادلها هذا الحب. أشكر برجي، فأنا سعيد. لكن هذا ملحق للرسالة. (يقرأ) « لا يعقل ان تجهلني بعد كل ما قلته لك. اذا كنت تبادلني الحب حقا ارجوك ان تبتسم امامي دائماً ». طبعا سأبتسم وسأفعل كل ما تريدين
(يخرج)

فبيان : لم اكن لأفوّت عليٍّ مثل هذه المهزلة مهما كان الامر.

سير طوبي : سأتزوج هذه الفتاة، فقط لانها استطاعت ان تأتي بخدعة جديدة كهذه.

سير اندريه : وأنا ايضا.

سير طوبي : لن اطلب منها مهرا آخر سوى القيام بمهزلة اخرى مماثلة.

سير اندريه : وأنا ايضا.

(تدخل ماريا)

فبيان :لقد وصلت المخادعة البارعة.

سير طوبي (يخاطب ماريا) : هل تريدين ان تضعي رجلك على رقبتي؟

سير اندريه : او على رقبتي انا؟

سير طوبي : هل ينبغي عليّ ان أجازف بحريتي وأصبح عبدك؟

سير اندريه : وأنا ايضا.

سير طوبي : لقد أغرقته في حلم عظيم، واذا قدَّر له ان يصحو منه سيصبح مجنونا.

ماريا : لكن أخبرني، هل تأثر بما قرأ؟

سير طوبي : رسالتك اسكرته.

ماريا : حسنا. اذا اردتم ان تروا خاتمة المهزلة، عليكم ان تلاحظوا ظهوره الاول امام السيدة. سيمثل امامها بجوارب صفراء، وهو لون تكرهه. وسيبتسم لها، وهذا ما لن تستطيع تحمُّله، وهي في هوّة من الحزن، الامر الذي سيدفعها الى رفضه بقسوة. اذا اردتم ان تروا ذلك، اتبعوني.

سير طوبي : سنتبعك حتى النهاية، ايتها الفتاة البارعة.

سير اندريه : وأنا ايضا. (يخرج الجميع).

الفصل الثالث

المشهد الأول
في حديقة أوليفيا

(تدخل فيولا، يتبعها فاست حاملا دفا)

فيولا : حفظك الله، ايها الصديق، انت وموسيقاك. هل تكسب معيشتك من الغناء؟
فاست : لا، يا سيدي. انا احيا بالقرب من الكنيسة. لكني لا أتقاضى اجرا.
فيولا : اذا انت لست برجل دين.
فاست : لا، ان ميزة عصرنا هي التلاعب بمعاني الكلمات. ولقد تعودت معاني الكلمة الواحدة التي أسيء استعمالها.
فيولا : هل اصبح بامكان المتلاعبين بمعاني الكلمات ان يسيئوا استعمالها في كل مناسبة؟
فاست : كنت أتمنى لو لم يكن لأختي اسم.
فيولا : لماذا، ايها الصديق؟
فاست : لان اسمها كلمة، ولأن التلاعب بهذه الكلمة يفسد اختي. اذ ان الكلمات فقدت قيمتها منذ ان افسدتها الموجبات.
فيولا : وما هو برهانك على ذلك، يا صديقي.

فاست : لا استطيع ان أقدم لك برهانا بدون كلام. والكلام اصبح مغلوطا، حتى اني بتّ اكره استعماله لأفكر.

فيولا : انت رفيق سعيد، ولا تهتم بأي شيء.

فاست : كلا، يا سيدي، هناك اشياء أهتم بها. لكنني في قرارة نفسي لا أهتم بك.

فيولا : ألست مهرج السيدة اوليفيا؟

فاست : كلا، يا سيدي. السيدة اوليفيا لا تهتم بالمهرجين. ولن يكون لها مهرج الا عندما تتزوج. في الحقيقة لست مهرجا. انما انا من يفسد عليها كلامها.

فيولا : شاهدتك مؤخرا لدى دوق اورسينو.

فاست : أعتقد بأني رأيتك بدوري عنده.

فيولا : خذ هذه مكافأتك (تعطيه قطعة من النقود).

فاست : جزاك عني جوبيتار خيرا.

فيولا : اقسم لك بأني ارغب كثيرا في الحصول على هذا الخير، رغم اني أتمنى ان يكون لغيري. هل سيدتك في المنزل؟

فاست (**ينظر الى قطعة النقود**) : ألا يتسنى، يا سيدي، لزوجين من هذا النوع ان يتكاثرا؟

فيولا : أجل، بشرط ان يلتصقا الواحد بالآخر، ويتم الاخصاب بينهما.

فاست : سيدتي الآن موجودة عند الشحاذة كريسيدا. سأشرح لها من قِبَل من انت قادم. أما من أنت، وماذا تريد، فهذه أمور لا علاقة لي بها (يخرج).

فيولا (**على حدة**) : هذا المحتال على درجة عالية من الذكاء ليقوم بدور المهرج. ينبغي عليه ان يتأمل مزاج الاشخاص الذين يمازحهم، ونوعية هؤلاء الناس. هذه مهنة شاقة تماما كوضع الرجل الحكيم، لان الجنون الذي يبديه انما ينجم عنه ببراعة فائقة، بينما الحكماء عندما يصبحون مجانين يفقدون عقولهم كليا.

(يدخل سير طوبي وسير اندريه)

سير طوبي (يخاطب فيولا) : مرحبا، أيها النبيل.

فيولا : أهلا بك، يا سيدي.
سير اندريه (يخاطب فيولا) : حفظك لله، يا سيدي.
فيولا : وأنتَ أيضا.
سير طوبي : هل تريد الدخول الى المنزل ؟ ان ابنة أخي ترغب في مقابلتك، اذا كنت تريد منها شيئا.
فيولا : ان ابنة أخيك هي غاية مجيئي، يا سيدي.
سير طوبي : هيا، ادخل.
فيولا : سأدخل.

(تدخل أوليفيا وماريا)

(يخاطب اوليفيا) : أيتها السيدة الرائعة، لتمطر السماء عليك رياحينها وورودها.
سير اندريه : هذا الفتى متزلِّف محنَّك.
فيولا : رسالتي موجهة اليك فقط، أيتها السيدة.
اوليفيا : اقفلوا باب الحديقة، ودعوني أستقبل هذا الفتى. (يخرج سير طوبي، وسير اندريه وماريا) هاتِ يدك، أيها السيد.
فيولا : أهديك تحياتي، أيتها السيدة.
اوليفيا : ما اسمك ؟
فيولا : أنا خادمك سيزاريو، أيتها الأميرة.
اوليفيا : خادمي ؟ أنت خادم الدوق اورسينو، أيها الفتى.
فيولا : لكنه خادمك، وخادمه ينبغي أن يكون خادمك. وخادم خادمك هو خادمك أيضا يا سيدتي.
اوليفيا : أنا لا أفكر فيه، وأتمنى أن لا يفكر هو فيّ.
فيولا : أتيت اليك، يا سيدتي لأوجِّه تفكيرك نحوه.
اوليفيا : أرجوك أن تعذرني. قلت لك ان لا تحدثني عن قضية ثانية. فأنا أفضِّل الاستماع اليك على استماع موسيقى الكواكب.
فيولا : أيتها السيدة الحبيبة...
اوليفيا : أرجوك أن تعفيني. لقد أرسلت اليك اثر زيارتك الأخيرة لي، خاتما

مع أحد خدمي، فخدعته. وبذلك عرضت نفسي لانتقادك اللاذع، اذ أرغمتك على أخذ ما ليس لك، أعني الخاتم. ألم تسيء الظن بي وتطعن بشرفي ؟ ان ما يستر قلبي ليس صدرا من لحم بل برقعا للحداد. لذا أستمع اليك.

فيولا : أنا أرثي لحالك.

اوليفيا : هذه خطوة نحو الحب.

فيولا : لا ليس الأمر كذلك. فالمرء يشفق أحيانا على أعدائه.

اوليفيا : أعتقد بأن الوقت قد حان لأستعيد بسمتي. ما أغربك أيتها الانسانية ! فالكبرياء داء خطير لا يصيب الأقوياء بل الضعفاء. اذا فرض على المرء أن يكون ضحية، فمن الأفضل أن يكون فريسة الأسد لا الذئب. (تدق الساعة) الساعة تنبهني الى الوقت الذي أضيِّعه. لا تخف أيها الفتى. أنا لا أضمر لك الشر. عندما ستتزوج، ستبتهج بك امرأتك. بامكانك الآن أن تذهب.

فيولا : أتمنى لك السعادة، أيتها الأميرة. هل تريدين أن أحمل أي شيء من قبلك الى سيدي ؟

اوليفيا : قف. أرجوك أن تقول لي حقيقة رأيك فيّ.

فيولا : أتعتقدين بأنك خلاف ما أنت عليه ؟

اوليفيا : اذا اعتقدت بذلك، فانما بسبب ما يخصك.

فيولا : اذا كان الأمر كذلك، فاني أعتقد أيضا بأنك خلاف ما أنت عليه.

فيولا : أنت مصيبة في اعتقادك.

اوليفيا : ليتك الشخص الذي أتمنى أن يكون محلك.

فيولا : هل أكون أنا الرابح عندئذ في مثل هذه الحالة ؟ اذا كان الأمر كذلك، فأنا موافق. لأنك منذ الآن بدأت تسخر مني.

اوليفيا : كم هو رائع هذا الاحتقار الذي يبدو على شفتيّ الغاضبتين. ان ندم القاتل سرعان ما يفضح صاحبه الذي يحاول اخفاءه. وهذا ما يحصل أيضا بالنسبة الى الحب الذي يحاول صاحبه أن لا يبوح به. لأن ليل الحب أشبه ما يكون بالظهيرة. يا سيزاريو، أقسم لك بورود الربيع وبالعذارى وبالحق وبكل ما في الوجود بأني أحبك كثيرا، وبأني رغم كبريائك، لم يستطع عقلي أن يخفي عنك حبي. لا تتخذ من بوحي المبكر هذا حجة لتصدّني.

فبيان : أظهرت مودتها له لتغضبك فقط، ولتشغل في قلبك الغيرة التي تحملك على السخرية منه. هذا ما كانت تنتظره منك فعلا. لكنك خيبت ظنها. فلن تستعيد تقديرها لك، الا اذا قمت ببطولة مجيدة أو بعمل سياسي رفيع المستوى.

سير اندريه : أنا أكره السياسة، لذلك سأقوم بعمل مجيد.

سير طوبي : اذاً عليك أن تتحدى خادم الدوق وتدعوه الى المبارزة، ولا تدعه الا بعد أن يصاب بعدة جراح. ستعلم ابنة أخي بالأمر، فتحبك بكل جوارحها. اذ ليس كالشجاعة ما يرفع قدر الرجل في نظر المرأة.

فبيان : هذه وسيلته الوحيدة لتحقيق مآربه.

سير اندريه : سينقل أحدكما اليه التحدي بالمبارزة.

سير طوبي : في كتابك اليه، كن جافا ومقتضبا.

فبيان : سيخط اليه رسالة فريدة من نوعها.

سير طوبي : سأستخدم جميع الوسائل لحمل الفتى على الاجابة.

(تدخل ماريا)

سير طوبي : وصلت الملكة الصغيرة.

ماريا : اذا كنت تحب المرح، اتبعني. فقد اصبح ملفوليو وثنيا. اذ لم يعد يرغب في الخلاص وفقا للايمان القويم، بل يعتقد بالامور المستهجنة التي يسلِّم بها هذا الفتى. وهو يرتدي الآن جواربه الصفراء. انه ينفذ كل ما تضمنته الرسالة، وبسمته العريضة تكثر من تجاعيد وجهه. اقسم لك، بأن سيدتي ستصفعه اذا رأته على هذه الحالة. واذا فعلت ذلك، سيظل يبتسم لها، معتقدا بأنها انما ضربته لانها تحبه.

سير طوبي : هيا بنا الى حيث يوجد ملفوليو. (يخرج الجميع).

المشهد الثالث
في الشارع

(يدخل انطونيو وسيبستيان)

سيبستيان : لم اكن اريد ان أسبب لك المتاعب. لكن بما انك مسرور بآلامك فاني لن أوبخك بعد الآن.
انطونيو : لم يكن باستطاعتي ان امكث بعد رحيلك عني. لم اكن فقط ارغب في مشاهدتك. لكن خوفي عليك حملني ايضا على اللحاق بك، خاصة انك موجود في بلاد، هي بالنسبة اليك انت الغريب، قاسية غير مضيافة.
سيبستيان : عزيزي انطونيو، انا اشكرك على عواطفك هذه، ولا يسعني الا ان أكرر لك شكري دائما. ولو كانت مواردي عريزة مثل ضميري، لأحسنت مكافأتك. لكن كثيرا ما تكافأ الخدمات العظيمة بالشكر وحده. ماذا تفعل الآن؟ هل تريد ان تذهب لنشاهد آثار المدينة؟
انطونيو : غدا يا سيدي، من الافضل اولا ان تؤمِّن مسكنا لك.
سيبستيان : لست متعبا، والليل ما زال بعيدا. فأرجوك ان تصحبني لنمتِّع أنظارنا بمشاهدة الآثار التي تزين هذه المدينة.
انطونيو : ارجوك أن تعذرني لأني لا أستطيع أن أتنزه في الشوارع دون أن أتعرض للخطر. لقد قدمت خدمات جليلة في معركة بحرية جرت منذ مدة مع سفن الدوق.
سيبستيان : هل قتلت عددا غفيرا من الناس ؟
انطونيو : لم تكن المعركة التي جرت بيننا دموية، لأن الأمر سوّي فيما بعد وأعدنا ما أخذناه. أما أنا فرفضت ذلك، ولهذا أخشى أن يمسك بي أحد هنا.
سيبستيان : لا تكثر اذاً من ظهورك في الأماكن العامة.
انطونيو : خذ محفظتي هذه يا سيدي. سنقيم في الضواحي الجنوبية في منطقة الفيل وسأوصي على طبق طعام لكلينا، بينما تستمتع أنت بمشاهدة معالم المدينة وستجدني هناك.

سيبستيان : لماذا أعطيتني محفظتك ؟
انطونيو : قد تعجبك دمية ما، فتود شراءها. وقد يعوزك المال في مثل هذه الحالة.
سيبستيان : سأحمل محفظتك، وأتركك لمدة ساعة من الزمان.
انطونيو : إلحق، بي الى مقاطعة الفيل.
سيبستيان : لن أنسى ذلك أبدا (يفترقان).

المشهد الرابع
في حديقة اوليفيا

(تدخل اوليفيا وماريا)

اوليفيا (تفكر) : لقد أرسلت في طلبه، وقال انه سيأتي. فكيف سأعيده ؟ وماذا سأعطيه ؟ لأن الشبيبة تشتري أكثر مما تعطي نفسها. ما لي أتكلم بصوت عالٍ ؟ أين ملفوليو ؟ هو رجل وقور ولاذع، هو الخادم الذي يلائمني. أين ملفوليو ؟
ماريا : ها قد وصل، يا سيدتي. لكنه يبدو في حالة غريبة، كأن في داخله مئة شيطان.
اوليفيا : ما به ؟ هل هو في حالة هذيان ؟
ماريا : كلا، يا سيدتي. هو يبتسم، ومن الأفضل لك أن تحتفظي بحارس قريب منك اذا أتى. أنا واثقة بأن الرجل تسكنه الشياطين.
اوليفيا : اذهبي وابحثي عنه. سأكون بلهاء مثله اذا كان هناك من مساواة بين الجنون الحزين والجنون المرح.

(يدخل ملفوليو)

مَن ؟ ملفوليو ؟

ملفوليو (يبتسم بشكل غير مألوف) : سيدتي العزيزة.

اوليفيا : أنت تبتسم ؟ لقد أرسلت في طلبك لأمر خطير.

ملفوليو : خطير، يا سيدتي ؟ أستطيع أن أكون وقورا. لكن ربطة ساقي تحبس الدم في عروقي. هذا لا يهم. اذا كنت تعجب شخصا ما، فانني أستطيع أن أردد ما جاء في القصيدة : أن يكون المرء موضوع اعجاب شخص ما، يعني انه موضوع اعجاب الجميع.

اوليفيا : ما بك، يا هذا ؟

ملفوليو (يبتسم) : لا يخيم الغم على نفسي، رغم وجود اللون الأصفر على ساقي. لقد اهتديت الى عنوانها، وسأنفذ جميع أوامرها.

اوليفيا : هل تريد الذهاب الى النوم، يا ملفوليو ؟

ملفوليو (يبتسم) : أجل، يا حبيبتي، أريد أن آتي اليك.

اوليفيا : كان الله في عونك. لماذا تبتسم هكذا وترسل الي بيدك كل هذه القبلات ؟

ماريا : كيف حالك، يا ملفوليو ؟

ملفوليو (باحتقار) : سأجيبك، كما يجيب العندليب الغراب.

ماريا : لماذا تقف أمام السيدة بهذه الوقاحة ؟

ملفوليو : لا تخف من الأمجاد. لقد أجاد من فاه بهذا القول المأثور.

اوليفيا : ماذا تقصد بذلك، يا ملفوليو ؟

ملفوليو : هناك من يولدون عظماء.

اوليفيا : ماذا تقول ؟

ملفوليو : وآخرون يكتسبون الأمجاد اكتسابا.

اوليفيا : ماذا تقول ؟

ملفوليو : وآخرون يفرض عليهم المجد فرضا.

اوليفيا : أتمنى لك أن تعود الى رشدك.

ملفوليو : تذكر من امتدح جواربك الصفراء.

اوليفيا : أية جوارب صفراء.
ملفوليو : اذهب، فأنت منذ الآن شخصية مرموقة، اذا أردت ذلك.
اوليفيا : أنا شخصية مرموقة ؟
ملفوليو : وإلا ستبقى خادما الى الأبد.
اوليفيا : هو مصاب حتما بجنون حقيقي.

(يدخل أحد الخدم)

الخادم : يا سيدتي، لقد عاد النبيل القادم من قبل الدوق اورسينو، بعد أن بذلت جهدا كبيرا في سبيل عودته اليك.
اوليفيا : سأمضي اليه. (يخرج الخادم) يا ماريا، أين عمي طوبي ؟ ليعتنِ بعض الخدم بهذا الصديق عناية خاصة. لا أريد أن يصيبه أي مكروه، ولو خسرت نصف ما أملك (تخرج اوليفيا وماريا).
ملفوليو : اقتربوا مني الآن. لا أريد أن يعتني بي شخص غير سير طوبي. فذلك يتفق تماما مع ما جاء في الرسالة. لقد ارسلته اليّ خصيصا لأعامله بوقاحة لأنها تدعوني في الرسالة الى معاملته بهذه الطريقة. انزع عنك الانسان الحقير وكن متجهم الوجه مع أقاربك وفظا مع خدمك. وأخيرا قالت وهي تغادر هذا المكان : اعتنوا بهذا الصديق. حقا كل شيء ينطبق على ما جاء في الرسالة. ولقد فعل جوبيتار كل هذا لأجلي، فوجب عليّ أن أشكره.

(تدخل ماريا مع سير طوبي وفبيان)

سير طوبي : أين هو ؟ أستحلفكم بجميع من تحبون. أريد أن أكلمه ولو سكنته جميع الشياطين.
فبيان : ها هو، ها هو. كيف حالك يا صديقي ؟
ملفوليو : اذهبوا عني. أنا أصدر لكم أمرا بالانصراف. دعوني أستمتع بوحدتي. هيا اذهبوا عني.
ماريا : الشيطان يتكلم بصوته. ألم أقل لكم ذلك ؟ والسيدة ترجوك أن تعتني به، يا سير طوبي.
ملفوليو : هل قالت هذا حقا ؟

سير طوبي : ينبغي أن تتصرف معه بلطف. دعوني أفعل كيف حالك يا ملفوليو ؟ أطرد عنك الشيطان، أيها الصديق، واعتبره عدو البشرية.
ملفوليو : هل تدري ما تقول ؟
ماريا : ألا ترى كيف يتألم عندما تسيء الكلام عن الشيطان ؟ قد يكون حقا سكنه الشيطان ؟
فبيان : سنحمله الى العرافة غدا.
ماريا : أجل، لأن سيدتي لا تريد فقدانه، مهما كان الثمن.
ملفوليو : ما معنى ذلك، يا سيدتي.
ماريا : يا الهي !
سير طوبي : أرجوك أن تصمتي. ليست هذه هي الوسيلة الفضلى. ألا ترين انك تثيرين غضبه ؟ دعيني وحدي معه.
فبيان : الوسيلة الفضلى للاعتناء به هي اللطف. لأن الشيطان كائن خشن، ولا يريد أن نعامله بخشونة.
سير طوبي : حسنا. كيف حالك أيها الديك الفصيح ! بل كيف حالك أيتها الدجاجة ؟
ملفوليو : سيدي !
سير طوبي : أجل. تعال معي أيها الصغير. لا يليق بوقارك أن تداعب الشيطان.
ماريا : دعه يتلو صلاته، يا سير طوبي.
ملفوليو : صلاتي، أيتها الحمقاء ؟
ماريا : هو لا يريد، بعد الآن أن يستمع الى كل من يمتّ الى التقوى بصلة.
ملفوليو : اذهبوا جميعكم واشنقوا أنفسكم. فأنا لست من طينتكم. ستعلمون المزيد عني فيما بعد (يخرج).
سير طوبي : هل هذا معقول ؟
فبيان : لو ان ما أشاهده الآن كان عملا مسرحيا حقيقيا، لما صدّقت ما أرى وما أسمع.
سير طوبي : ان خبثنا قد سمم نفسه، يا صديقي.
ماريا : لكن لنلحق به الآن، خشية أن يهوي خبثنا فيفسد.

فبيان : لكننا بعملنا هذا ندفعه الى الجنون.
ماريا : في مثل هذه الحالة، سيعم الهدوء كل أرجاء المنزل.
سير طوبي : تعالوا، سنحبسه في غرفة مظلمة وسنقيده. اذ باتت ابنة أخي مقتنعة بأنه أضحى مجنونا. وهكذا نستطيع أن نطيل مرحنا من جهة، وعقابه من جهة أخرى، حتى يحملنا فرحنا بالذات على الاشفاق عليه. لكن انظروا، انظروا.

(يدخل سير اندريه)

فبيان : سيزداد مرحنا بحضوره.
سير اندريه : هذا هو كتاب التحدّي بالمبارزة. إقرأه. أؤكد لك انه لاذع للغاية.
فبيان : هل هو لاذع الى هذا الحد ؟
سير اندريه : أجل، إقرأه.
سير طوبي : اعطني اياه (يقرأ) أيها الفتى لست سوى بخيل محتال.
فبيان : يا له من رجل شجاع !
سير طوبي (يقرأ) : لا تعجب، ولا تتساءل لماذا أدعوك هكذا، فلن أفصح لك عن ذلك.
فبيان : هذه ملاحظة قيمة تحمينا من ضربات القانون.
سير طوبي (يقرأ) : ستأتي الى المنزل سيدتك اوليفيا وتحسن معاملتك على مرأى مني. لكنك كذاب، وأنا لا أتحدّاك لأجل هذا.
فبيان : لقد أحسن الايجاز. لكنه شط عن الموضوع.
سير طوبي (يقرأ) : سألتقي بك لدى عودتك، واذا كان من حسن حظك أن تقتلني...
فبيان : أحسنت.
سير طوبي (يقرأ) : ستقتلني كما يُقتل الأوغاد.
فبيان : ما زلت تتحاشى القانون.
سير طوبي (يقرأ) : وداعاً. ليتقبّل الله أحد روحَينا، ربما روحي، لكن أملي

كبير في البقاء حيا. وهكذا، ما عليك الا أن تحذرني. فأنا صديقك الحميم اذا أحسنت معاملتي، وعدوّك اللدود...

(اندريه اكاشيك)

اذا لم تحركه هذه الرسالة، فمعنى ذلك ان ساقيه لا تستطيعان حمله. سأسلمه اياها.

ماريا : أمامك فرصة نادرة للقيام بذلك. هو الآن يتحدث الى السيدة وسيغادر المنزل فورا.

سير طوبي : هيا يا سير اندريه، أكمن له في زاوية الحديقة، واذ تراه إمتشق سيفك واشتمه بصوت مريع. اذ غالبا ما تكون الشتيمة هكذا مرعبة. وفي هذه الحالة يعتبر عملك برهانا عظيما على مقدار شجاعتك. فالى الامام.

سير اندريه : إتكل عليّ في هذا الأمر، بحق الشتيمة. (يخرج).

سير طوبي : لا، لن أسلمه هذه الرسالة، لأن تصرف هذا الفتى النبيل، يدل على مقدرته وثقافته. ان مهمته كوسيط بين سيده وابنة أخي تثبت ذلك أيضا. وبالتالي، هذه الرسالة السخيفة لن تسبب له أي خوف. سيدرك ان مرسلها رجل غبي. لكني سأبلغه التحدي بالمبارزة بصوتي الحي. وسأعلم سير اندريه بشهرة هذا الفتى النبيل. وسأرسخ في ذهن هذا الأخير فكره عن غضب سير اندريه ومهارته، وبذلك سيخشى كل منهما الآخر، حتى ان أحدهما سيقتل الآخر بمجرد النظر اليه.

(تدخل اوليفيا وفيولا)

فبيان : ها هو قادم مع ابنة أخيك. لندعهما وحدهما، الى أن يتوارى أحدهما فتتولى أمر الآخر.

سير طوبي : بانتظار ذلك، سأعد ديباجة مرعبة، لأعلن بواسطتها التحدي بالمبارزة. (يخرج سير طوبي وفبيان وماريا).

اوليفيا : لقد أكثرت من التوسل الى هذا القلب المتحجر، وعرّضت شرفي للاهانة، وفي داخلي ما يوبخني على ذنبي هذا. لكن استهتار ذنبي يستخف بالملامة.

فيولا : كل الصفات التي يتحلى بها حبك، يتحلى بها أيضا حب سيدي.
اوليفيا : خذ تذكارا مني هذه الجوهرة التي تحمل صورتي. لا ترفضها اذ ليس لها صوت يزعجك. أستحلفك بأن تعود اليّ غدا. أطلب مني ما تشاء، فيكون لك. لن أرفض لك مطلبا لا يمنعني الشرف من تلبيته.
فيولا : لن أطلب منك سوى حبك الصادق لسيدي.
اوليفيا : كيف أستطيع أن أعطيه ما سبق لي أن أعطيتك اياه، وأظل مع كل ذلك شريفة ؟
فيولا : اني أحلّك من ذلك.
اوليفيا : حسنا. عُد غدا. وداعا. ان شيطانا مثلك، باستطاعته أن يحمل نفسي الى الجحيم (تخرج).

(يدخل سير طوبي وفبيان)

سير طوبي (يخاطب فيولا) : حفظك الله أيها النبيل.
فيولا : وحفظك أنت أيضا، يا سيدي.
سير طوبي : اعتبر نفسك في حالة الدفاع. لا أعلم ما هي نوعية الأخطاء التي ارتكبتها. فما أعلمه هو ان خصمك الدموي ينتظرك في آخر الحديقة. امتشق سيفك وكن مستعدا بكل ما أوتيت من رشاقة لأن خصمك بارع عنيد ومندفع.
فيولا : أنت مخطىء، يا سيدي، فأنا واثق بأني لم أتشاجر مع أحد. واذكر جيدا اني لم أتسبب باهانة أحد.
سير طوبي : ستعلم عكس هذا. أؤكد لك ذلك. فاذا كانت حياتك عزيزة عليك، كن متيقظا. لأن خصمك يتمتع بقوة الشباب ومهارته وعنفوانه.
فيولا : لكن، أرجوك أن تقول لي من هو ؟
سير طوبي : انه فارس يحمل سيفا طويلا لا تشوبه شائبة، وصاحب شهرة واسعة. لكنه في المشاجرات الخاصة يتحول الى شيطان. لقد ازهق حتى الآن ثلاثة أرواح، وغيظه في هذه اللحظة لا تسكته الا سكرات الموت، ووحشة القبر ما دام شعاره : إما النصر وإما الموت.
فيولا : سأعود الى المنزل وأطلب من السيدة أن تؤمّن لي حراسة. لست

مقاتلا. انما سمعت بنوع من الرجال يسعون الى مشاكسة الآخرين، فقط لكي يتحسسوا بسالتهم. وقد يتصف هذا الرجل بهذا العيب الغريب.

سير طوبي : لا، يا سيدي. ان سبب غضبه هو اهانة صريحة. وهكذا، ما عليك الا أن تكمل سيرك وترضيه. لن تعود الى المنزل الا اذا برهنت لي انك تستطيع مجابهته. فإما أن تكمل سيرك، وإما ان تمتشق حسامك، اذ ينبغي عليك أن تقاتل أو تقلع عن حمل السلاح.

فيولا : هذا غير لائق، وغير متعارف عليه. أرجوك أن تسمح لي بسؤال الفارس عن الاهانة التي وجهتها اليه. اذ قد تكون صدرت عني بدون قصد.

سير طوبي : سأفعل ذلك. يا فبيان، ابقَ الى جانب هذا النبيل، ريثما أعود (يخرج طوبي).

فيولا : قل لي، أيها السيد، هل لك علم بهذه القضية ؟

فبيان : ان ما أعلمه هو ان الفارس غاضب عليك كل الغضب.

فيولا : أرجوك أن تعلمني أي نوع من الرجال هو ؟

فبيان : اذا حكمت عليه من ملامح وجهه، فلن تستطيع أن تكتشف فيه الشخص الخارق الذي سرعان ما تتعرف اليه، اذا ما امتحنت بسالته. لا يمكنك أن تجد في مقاطعة إلليري، عدواً دمويا ماهرا مثله. هل تريد ملاقاته ؟ سأوطد السلام بينكما، اذا استطعت.

فيولا : أكون لك من الشاكرين. لأني رجل مسالم ولا أحب القتال. لا أريد أن أكون مشهورا بنزقي (يخرجان).

(يدخل سير طوبي وسير اندريه)

سير طوبي : يا عزيزي، هو شيطان حقيقي. لم أبصر له مثيلا أبدا أثناء القتال.

سير اندريه : لا أريد التحرش به.

سير طوبي : أجل. لكنه الآن في ذروة غضبه، ولا يريد أن يهدأ. فبيان يبذل جهدا كبيرا للامساك به هناك.

سير اندريه : لو كنت أعتقد بأنه مقدام وبارع في لعبة السيف الى هذا الحد، لتركته يذهب الى الجحيم قبل أن أتحداه وأدعوه الى المبارزة. ليعتبر الأمر منتهيا وسأهبه حصاني الرمادي.

سير طوبي : سأعرض عليه اقتراحك. ابقَ هنا وحافظ على رباطة جأشك. سينتهي الأمر دون اراقة دماء. (على حدة) أستطيع مثلك أن أقود حصاني.

(يدخل فبيان وفيولا)

(يخاطب فبيان بصوت خافت) لقد حصلت على حصانه مقابل تعهدي له بتسوية الخلاف وأقنعته بأن الفتى شيطان.

فبيان (يخاطب سير طوبي بصوت خافت) : لقد خامرت ذهن هذا الفتى فكرة مرعبة عنه. هو يلهث ويعلو وجهه الاصفرار، كما لو كان أحد الخنازير يلاحقه.

سير طوبي (يخاطب فيولا بصوت خافت) : لا يوجد حل يا سيدي. هو يريد مقاتلتك من أجل اليمين الذي أقسمه. ولقد فكَّر مليا في الخلاف القائم بينكما، ووجد ان الكلام في هذا الموضوع لا يجدي نفعا. وأكد لي انه لن يلحق بك أي أذى.

فيولا (على حدة) : وقانا الله شره.

فبيان (يخاطب فيولا) : أحجم عن القتال، اذا رأيته غاضبا.

سير طوبي (يخاطب سير اندريه بصوت خافت) : هيا يا سير اندريه، أليس من حل ؟ هذا النبيل يريد فقط أن يركلك حفاظا على شرفه، ولا يمكنه أن يعفيَ نفسه من هذا دون أن يخالف أصول المبارزة. لكنه وعدني بأن لا يلحق بك الأذى. هيا خذ حذرك.

سير اندريه : ليته يفي بوعده ! (يمتشق سيفه).

سير طوبي : أنت، يا سيدي، من أنت ؟

انطونيو : شخص مستعد للقيام بأعمال بطولية، حبا بهذا الانسان، ولا يمكنك أن تقوم بمثلها (يشير الى فيولا).

سير طوبي : اذا كنت تأخذ على عاتقك مشاحنات الآخرين، فأنا أتحداك (يمتشق سيفه).

فبيان : قف يا سير طوبي، ها هم موظفو العدلية.

سير طوبي (يخاطب انطونيو) : سأعود اليك حالا.

فيولا (تخاطب سير اندريه) : أرجوك يا سيدي أن تعيد سيفك الى غمده.

سير اندريه : أريد ذلك يا سيدي. وسأفي بوعدي لك. ان لسانه دافىء ويستطيع أن يقنعك بسهولة ونعومة.
الضابط الأول (يشير الى انطونيو) : هوذا الرجل، فقم بواجبك.
الضابط الثاني : يا انطونيو، أنا أوقفك بناء على طلب الدوق اورسينو.
انطونيو : أنت مخدوع، يا سيدي.
الضابط الأول : يا سيدي أنا أعرف جيدا وجهك، رغم انك لا تعتمر الآن قبعة البحّارة. خذوه. هو يعلم اني أعرفه جيدا.
انطونيو : عليّ أن أطيع. (يخاطب فيولا) لقد حصل لي هذا، وأنا أبحث عنك. ماذا سنفعل ؟ الضرورة تجبرني على أن أسترد منك محفظتي، وأفعل هذا لعدم قدرتي على مساعدتك، وخوفا على ما قد ينوبني. أنت مذهول، انما تشجع وهدىء روعك.
الضابط الثاني : هيا، سر.
انطونيو : لا بد لي من مطالبتك بقسم من هذا المال.
فيولا : أي مال، يا سيدي ؟ تقديرا لحسن موقفك تجاهي، ونظرا الى متاعبك الحاضرة، أريد أن أقتسم معك ما أملك مناصفة رغم ضآلته.
انطونيو : هل تنوي أن تتجاهلني الآن ؟ هل يعقل أن تتنكر لما أظهرته لك من وفاء ؟ لا تجربني في مصيبتي هذه، خشية أن أفقد صوابي وأعاقبك على جميع الخدمات التي قدمتها لك.
فيولا : أية خدمات ؟ لا علم لي بها. أنا لا أعرف صوتك ولا ملامحك، وأكره من المرء نكران الجميل أكثر من الكذب والغدر والثرثرة والسكر وأي عيب آخر تكمن خميرته المفسدة في نفوسنا الضعيفة.
انطونيو : أيتها السماء !
الضابط الثاني : هيا، أرجوك أن تذهب معي.
انطونيو : دعني ألفظ كلمة واحدة. لقد أنقذت هذا الفتى الذي تراه هنا من براثن الموت وقد قدرت مزاياه التي بدت لي حافلة بالفضائل.
الضابط الأول : ماذا يعني كل هذا ؟ الوقت يمر بسرعة هيا نمضي.
انطونيو : أي انسان وضيع أضحى هذا الشخص ! يا سيبستيان، لقد ألحقت

العار بطلعة نبيلة، فليس أبشع في الطبيعة من شناعة الروح، وليس من مشوّه سوى فاقد النزاهة. فالفضيلة هي الجمال. أما العيب المستور، فليس سوى صندوق مقفل يزينه الشيطان.

الضابط الأول : لقد جن الرجل. خذوه. هيا نذهب، يا سيدي.

انطونيو : خذوني. (يخرج الضابطان وأنطونيو).

فيولا : (على حدة) : كلماته تنبع من عاطفة جياشة حتى بدا مقتنعا بما يقول. أمّا أنا فلست مقتنعاً بعد. لا تخدعني أيها الفارس، لا تخدعني. قد اغترّ هذا الفتى وظنني شخصك أيها الأخ العزيز.

سير طوبي : تعال، أيها الفارس، تعال يا فبيان لنتبادل بعض الحِكَم.

فيولا (على حدة) : لقد تلفظ باسم سيبستيان. يخيل إليّ اني أرى أخي بصورة دائمة حيا في ذاكرتي. وأرتدي ذات الثياب التي كان يرتديها، وأقلده في كل شيء. آه ! لو ان أخي ما زال على قيد الحياة، اذاً لرحمتني العواصف وأشفقت علي أمواج البحر. (تخرج).

سير طوبي : هذا فتى خسيس، تنكر لصديقه، في مصيبته.

سير اندريه : سأتعقبه وأضربه.

سير طوبي : امعن في تأديبه. لكن لا تمتشق سيفك في وجهه.

سير اندريه : اذا لم أفعل ذلك... (يخرج).

فبيان : هيا بنا لنرى ما يحدث.

سير اندريه : أراهن على عدم حدوث أي شيء. (يخرج الجميع).

الفصل الرابع

المشهد الأول
في ساحة أمام منزل اوليفيا

(يدخل سيبستيان وفاست)

فاست : أتريد أن تقنعني بأني لم أرسل للبحث عنك ؟
سيبستيان : لا، لا. أنا أعرفك، ولم ترسلني السيدة لأقول لك ان تأتي اليها وتكلمها. انت لست السيد سيزاريو، وهذا أيضا ليس الفتى. لا شيء في الوجود كائن بذاته.
سيبستيان : أرجوك أن تمضي الى مكان آخر، وأن تذيع منه جنونك. أنت لا تعرفني.
فاست : أخشى أن يكون هذا العالم الساذج الفضولي مجرد مصيدة ذباب. لذلك، أرجوك أن تقول لي هل أبلغ السيدة بأنك ستأتي اليها ؟
سيبستيان : أرجوك، أيها الأبله، ان تدعني وشأني. خذ هذا المال. واذا بقيت هنا مدة أطول، ستنال نقوداً من نوع آخر.
فاست : أنت رجل كريم، والعقلاء الذين يهبون المجانين مالا، يؤمّنون لأنفسهم شهرة ويدفعون بدل ايجارها عن أربع عشرة سنة.

(يدخل سير أندريه وسير طوبي وفبيان)

سير اندريه (يخاطب سيبستيان) : وأخيرا وجدتك. يا سيدي، خذ هذا. (يضرب سيبستيان).
سيبستيان : حسنا. خذ هذا أيضا وأيضا. (يضرب سير أندريه) هل جميع الأشخاص القاطنين هنا مجانين ؟
سير طوبي : قف، وإلا ألقيت سيفك من أعلى هذا المنزل.
فاست : سأنقل كل هذا الى السيدة. لا أريد أن أتزيا بزيكم مهما كان الثمن (يخرج فاست).
سير طوبي (يمسك بسيبستيان) : هيا، قف، يا سيدي.
سير اندريه : دعه. سأتصرف معه بطريقة أخرى. وأقيم عليه دعوى، اذا كان هناك من قوانين في مقاطعة إلليري تجيز لك رغم اني بادرت الى ضربه اولا.
سيبستيان (يخاطب سير طوبي) : ارفع يدك عني.
سير طوبي : لن أدعك، يا سيدي. هيا، أعد سيفك الى غمده، أيها الجندي الشاب. أنت قوي الشكيمة، هيا.
سيبستيان : سأتخلص منك. (يفلت منه ويستلّ سيفه). ماذا تريد الآن مني، ان كنت تجرؤ على مبارزتي، إستلّ سيفك وهيا.
سير طوبي : ماذا تقول ؟ سأجعل دمك الوقح يسيل كالماء (يمتشق حسامه).
اوليفيا : قف، يا طوبي. أستحلفك بأن تتوقف.
سير طوبي : سيدتي.
اوليفيا : أنت ما زلت ذاك الخبيث الذي لا سبيل الى اصلاحه، والمخلوق لتعيش في الجبال وكهوف البرابرة الذين لم يعرفوا معنى المدنية. أغرب عن وجهي، ولا تعتبر نفسك مهانا أيها العزيز سيزاريو. ابتعد من هنا أيها الفظّ (يخرج سير طوبي وسير اندريه وفبيان. تخاطب سيبستيان) أرجوك أيها الصديق اللطيف أن تنقاد الى عقلك النبيل لا الى شهوتك الدنيئة ازاء هذا الاعتداء الجائر على سلامتك. ادخل معي، وعندما ستعلم أية حماقات ارتكب هذا الرجل السافل، ستضحك من غبائه. تعال لا تصدّني. ملعون من جعل قلبي يرتعش في هواك.

سيبستيان : ما معنى كل هذا ؟ كيف تجري هذه الأمور ؟ فإما أنا مجنون وإما أنا في حلم. ليستمر الوهم في السيطرة على حواسي، اذا كان الحلم هكذا، فعساني أبقى دائما نائما.
اوليفيا : هيا، تعال. أرجوك أن تدعني أقودك بنفسي.
سيبستيان : أنا أفضِّل ذلك، يا سيدتي.
اوليفيا : ويحك. كن مرحا، وقل آمين (يخرجان).

المشهد الثاني
في منزل اوليفيا

(تدخل ماريا وفاست)

ماريا : أرجوك أن ترتدي ثوب رجال الدين هذا، وأن تضع هذه اللحية. دعها تعتقد بأنك سير توبا الكاهن، وأسرع. سأبحث عن سير طوبي في هذه الأثناء. (تخرج ماريا).
فاست (يرتدي ثوب الكاهن) : سأختبيء داخل هذا الثوب. معاذ الله ان أكون أول من يختبيء داخل رداء مثله. لست سمينا كفاية لأقوم بمثل هذه المهمة، ولا ضعيفا كفاية لأكون علّامة، بمقدار ما هو حسن أن يكون الانسان شريفا، كذلك حسن أن يكون المرء بارعا وعالما كبيرا. لقد وصل الصديقان اللذان لا يفترقان.

(يدخل سير طوبي وماريا)

سير طوبي : البركة تحل عليك، أيها الكاهن.
فاست : الكائن الحي لا شك في وجوده. وهكذا بالنسبة اليّ. فكَوني أنا الكاهن يعني اني رجل دين.

سير طوبي (يشير الى غرفة يحتجز فيها ملفوليو) : هيا بنا نذهب اليه يا سير توبا.

فاست (بصوت عالٍ) : كفى. قلت لك كفى ضجيج السجن.

سير طوبي : يا لك من محتال بارع في التقليد.

ملفوليو (في غرفة مجاورة) : من ينادي هناك ؟

فاست : أنا سير توبا الكاهن، جئت لأزور ملفوليو الغريب الطباع.

ملفوليو : يا سير توبا، يا سير توبا. هيا نذهب الى السيدة.

فاست : اخرج منه أيها الشيطان. لماذا تعذب هذا الانسان ؟ أنت لا تتكلم اذاً الا عن السيدات ؟

سير طوبي : أحسنت، أيها الكاهن.

ملفوليو : يا سير توبا لم يسبق لإنسان أن تحمل ما تحملت أنا من اهانات. لا تحسبني، يا سير توبا، مجنونا رغم اني محجوز هنا في ظلمات رهيبة.

فاست : تباً لك أيها الشيطان المنحط. أنا أدعوك بكلمات متواضعة، لأني من هؤلاء الناس الطيِّبين الذين يعاملون الشيطان نفسه بأدب، تقول ان هذه الغرفة مظلمة.

ملفوليو : انها كالجحيم، يا سير توبا.

فاست : لها نوافذ شفافة مثل المتاريس، ومع ذلك تتذمر من الظلمة.

ملفوليو : لست مجنونا يا سير توبا. وأقول لك ان هذه الغرفة مظلمة.

فاست : أيها المجنون، أنت تائه. قلت ان ليس من ظلمات سوى الجهل الذي أنت تتخبط فيه، أكثر من تخبُّط المصريين في ضبابهم.

ملفوليو : قلت ان هذه الغرفة مظلمة مثلما الجهل هو مظلم، حتى ولو كان الجهل أشد ظلاما من الجحيم، وقلت ان لم يسبق لرجل ان عانى معاملة اسوأ مما عانيت أنا. لست مجنونا، تماما كما انك لست مجنونا. ولك أن تتأكد من ذلك خلال استجوابي بطريقة منتظمة.

فاست : ما رأي فيتاغوروس بالنسبة الى الطائر البري ؟

ملفوليو : روح جدتنا يمكن أن تكون متقمَّصة في شخصه.

فاست : ماذا تقول في هذا الرأي ؟

ملفوليو : أنا لي فكرة نبيلة عن الروح. لذلك لا أقره على رأيه.
فاست : وداعا. ابقَ دائما في الظلام. لن أقتنع بسلامة عقلك قبل أن تساند رأي فيتاغورس، وتخاف من أن تقتل دجاجة الأرض خشية أن تقضي على روح جدتك. وداعا.
ملفوليو : يا سير توبا، يا سير توبا.
سير طوبي : حبيبي أنت، يا سير توبا.
فاست : يا سيدتي، أستطيع الإبحار في كل اتجاه.
ماريا : كان باستطاعتك أن تفعل كل هذا، بدون حاجة الى اللحية وثوب الكاهن، ولم يكن ليراك.
سير طوبي : كلِّمه بصوتك الطبيعي، ثم أخبرني كيف تجده. أريد التخلُّص من هذه المهزلة. اذا كان بالامكان اطلاق سراحه دون عائق، فأنا أرغب في ذلك. لأني الآن في مأزق مع ابنة أخي، ولا أستطيع إطالة هذه المهزلة الى أقصى حد. تعال حالا الى غرفتي (يخرج سير طوبي وماريا).
فاست (يغني) : أيها القاضي، أيها القاضي السعيد، قل لي كيف حال زوجتك ؟
ملفوليو (ينادي) : أيها المجنون.
فاست : زوجتي عديمة الشعور بدون شك.
ملفوليو (ينادي) : أيها المجنون.
فاست : يا للأسف، لماذا هي هكذا ؟
ملفوليو : أيها المجنون، هل تسمعني ؟
فاست : هي تحب رجلا آخر...
من ينادي ؟
ملفوليو : اذا كنت تريد مساعدتي، أيها المجنون، فائتني بشمعة وبريشة وحبر وورقة. أقسم لك بأني سأبقى مدينا لك ما حييت.
فاست : يا سيدي ملفوليو.
ملفوليو : نعم، أيها المجنون.
فاست : يا للأسف، كيف فقدت رشدك ؟

ملفوليو : أيها المجنون، لم يسبق لإنسان أن تحمَّل ما تحملته أنا من اهانات، مع اني بكامل قواي العقلية، مثلك أنت تماما.

فاست : اذاً، أنت مجنون. اذا كنت لا تملك حسا سليما أكثر مما يملك المجنون.

ملفوليو : لقد ألقي القبض عليّ وحُجزت في هذه الظلمات، وأرسل اليَّ برسل، بل بحمير، وهم يفعلون كل ما بوسعهم لكي أفقد عقلي.

فاست : انتبه الى ما تقول، لأن الرسول ما زال هنا. (يبدّل صوته) يا ملفوليو، يا ملفوليو، أتمنى لك أن تؤوب الى رشدك. حاول أن تنام، ودع هذه اللغة الغامضة.

ملفوليو : يا سير توبا.

فاست (يغيِّر نبرة صوته) : لا تكلمه، أيها الصديق. من أنا يا سيدي ؟ أنا لا أكلمه. ليكنْ الله في عونك، يا سير توبا. أنا موافق يا سيدي، أنا موافق.

ملفوليو (ينادي) : أيها المجنون، أيها المجنون، أيها المجنون. هل تسمع ؟

فاست : أرجوك، يا سيدي، أن تتمسك بالصبر. ماذا تريد مني ؟ أنا أعرّض نفسي للملامة عندما أكلمك.

ملفوليو : أيها المجنون، أحضر لي ورقة وشمعة. أؤكد لك اني أتمتع بعقلي كأي رجل في مقاطعة إلليري.

فاست : يا للأسف ! ليتك تتمتع بعقلك !

ملفوليو : اقسم لك بأني أتمتع به، أيها المجنون. أعطني حبرا وورقة شمعة. ثم انقل الى السيدة ما سأكتبه وستكون مكافأتك على عملك هذا عظيمة.

فاست : سأفعل ما تريد. لكن قل لي بصراحة : هل أنت حقا غير مجنون، أم انك تكذب عليّ ؟

ملفوليو : صدّقني، لست مجنونا. أنا أقول لك الحقيقة.

فاست : لن أصدِّق رجلا مجنونا قبل أن أعاين دماغه. سأحضر لك شمعة وورقة وحبرا.

ملفوليو : سأجزل مكافأتك، أيها المجنون. أرجوك أن تذهب.

فاست (يغني) :

أنا ذاهب، يا سيدي
وسأعود اليك حالاً
لأقضي لك حاجاتك،
بطرفة عين
مثل المهرج القديم
الذي بسيفه الخشبي
وفي ثورة غضبه
مثل ولد مجنون.
صرخ قائلا : آه ! ثم آه !
قلِّم أظافرك يا والدي.
وداعا أيها السقيم.

(يخرج)

المشهد الثالث
في حديقة اوليفيا

(يدخل سيبستيان)

سيبستيان : ما أبهج الهواء الطلق، والشمس الساطعة ! ان هذه الجوهرة التي اعطيتني إياها أتحسسها وأتأملها. ومهما كانت النشوة التي تسكرني، فانها ليست بالجنون. أين انطونيو ؟ لم أجده في ضاحية الفيل، ومع ذلك كان هناك. وقد علمت بأنه غادر الى المدينة ليبحث عني. نصائحه مفيدة في هذه اللحظة ولا تقدر بثمن، لأن ذكائي ومعه حواسي، على يقين تام بأن هنا خطأ

ما، وان الأمر ليس مجرد جنون. مع ذلك، أرى هذه الحادثة، هذا الطوفان من النعم لا يصدق، ولا يمكن تفسيره، حتى اني لا يسعني أن أصدق عينيّ، بل أنا أخاصم عقلي وأتهمه بالجنون، أو أتهم هذه السيدة بالجنون. لكنها لو كانت مجنونة، لما استطاعت أن تدير بيتها وتأمر خدمها وتتولى أمورها بنفسها، وترسلهم في مهمات حسب الأصول، بكل هدوء وحزم، كما يتجلى ذلك في تصرفها. ان في الأمر لغزا. ها هي السيدة.

(تدخل اوليفيا والكاهن)

اوليفيا : لا تلمني على تهوّري. اذا كانت نواياك حسنة، تعال الآن معي برفقة هذا الرجل الصالح الى المعبد المجاور. وطمئني تحت هذا السقف المبارك كي تستطيع روحي القلقة ان تحيا بسلام. سيحافظ على سر زواجنا الى اليوم الذي تقرر فيه أن يصبح علنيا. عندئذ ستقيم احتفالا يليق بأصلي ومكانتي. فما رأيك في ذلك ؟

سيبستيان : سأتبع هذا الرجل الطيب، ثم أذهب معكِ. ومتى اقسمتِ بأن تكوني وفية لي، سأكون وفيا لك الى الأبد.

اوليفيا : دلّنا على الطريق أيها الكاهن الطيب، ولتطبع السماء البهية برونقها الزاهي ما سأقوم به من عمل خيِّر. (يخرج الجميع).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في ساحة أمام منزل اوليفيا

(يدخل فاست وفبيان)

فبيان : والآن، اذا كنت تحبني، دعني أطلع على هذه الرسالة.
فاست : ماذا تعطيني بالمقابل ؟
فبيان : كل شيء.
فاست : لا تطلب مني رؤية هذه الرسالة.
فبيان : أنت تتصرف ازائي كما لو كنت اهديتك كلبي، ثم طلبت منك مجددا مكافأة لي.

(يدخل الدوق وفيولا وكوريو وأفراد الحاشية)

الدوق : هل أنتم، أيها الأصدقاء، من أتباع السيدة اوليفيا ؟
فاست : أجل، يا سيدي، نحن نخصّها كأننا من أشيائها الكمالية.
الدوق : أنا أعرفك جيدا. كيف حالك أيها الفتى ؟
فاست : حالي مع أعدائي أفضل مما هو مع أصدقائي.
الدوق : العكس هو الصحيح. تريد أن تقول ان حالك أفضل مع أصدقائك.
فاست : لا، يا سيدي.

الدوق : وهل هذا معقول ؟

فاست : أصدقائي يمتدحونني ويشبهونني بالحمار، بينما أعدائي يقولون لي صراحة اني حمار. حتى اني بتّ أعرف نفسي بواسطة أعدائي، وبتّ مخدوعا على يد أصدقائي. فاذا كانت أربع سلبيات تعادل ايجابيَّتين فيما يتعلق بالتفكير، وكذلك فيما يتعلق بالقبلات، فاني على حق عندما أصرح بأن حالي مع أعدائي أفضل مما هو مع أصدقائي.

الدوق : يا له من استنتاج رائع !

فاست : لا، يا سيدي. هذا خطأ جسيم رغم انك تريد أن تكون من أصدقائي.

الدوق : هذا الأمر لن يزيد حالتك سوءاً. خذ هذه الكمية من الذهب.

فاست : أنا أقبل منك هذا، اذا شئت أن تكون مرائياً.

الدوق : انت بذلك تقدم لي نصيحة مضلِّلة.

فاست : دع اللحم والدم، يا سيدي، يطيعان هذه المرة فقط.

الدوق : فليكن ما تريد. أنا موافق على اللجوء الى الرياء. خذ هذه الكمية من الذهب.

فاست : واحد، اثنان، ثلاثة. هذه لعبة رائعة. هناك مثل قديم يقول : الضربة الثالثة تعوّض عن كل خسارة. واحد، اثنان، ثلاثة.

الدوق : وعلى هذا الأساس، لن تحسم لي شيئا من المال الذي أعطيتك اياه. اذا علمت سيدتك بأني أنتظر هنا للتحدث اليها، واذا عدت بصحبتها، قد تستفيق أريحيتي أيضا.

فاست : حسنا، يا سيدي. بانتظار عودتي، هدهد أريحيتك. أنا ذاهب. لكني لا أريد أن تعتقد بأن رغبتي في التملك هي خطيئة ناجمة عن شهوتي. ومع ذلك، كما تقول، لتنم اريحيتك قليلا، وسأوقظها حالا عند الحاجة (يخرج).

(يدخل انطونيو وبعض ضباط العدلية)

فيولا : هذا، يا سيدي، هو الرجل الذي بادر الى نجدتي.

الدوق : اذكر جيدا وجهه، ومع ذلك، عندما رأيته مؤخرا كان وجهه يعلوه السواد من جراء دخان المعركة. لقد كان ربَّان سفينة ضعيفة البنية تثير الشفقة

فصدم أفضل قطعة في اسطولنا. ورغم الهزيمة صرخنا قائلين : المجد والعزة للبطل. ما الأمر ؟

الضابط الأول : يا اورسينو، هذا هو انطونيو الذي استولى على حمولة السفينة وصدم بسفينته أفضل قطع أسطولنا حيث فقد ابن أخيك تيطوس ساقه. وقد عثرنا عليه هنا، وهو يتسكع في الشوارع أثناء مشاحنة خاصة، فألقينا القبض عليه.

فيولا : لقد أدى لي خدمة، يا سيدي، إمتشق حسامه للدفاع عني، لكنه وجّه اليّ كلمات غريبة لم أفهمها.

الدوق : أيها القرصان الشهير، يا قرصان المياه المالحة، أية جسارة مجنونة اسلمتك الى من جعلت منهم أعداءك في ظروف دموية رهيبة ؟

انطونيو : أيها السيد النبيل اورسينو، اسمح لي بأن أرفض الأسماء التي أطلقتها عليّ. لم يسبق لي أنا انطونيو ان كنت قرصانا، رغم اني، لأسباب كافية، عدو اورسينو. لأن حيلة سحرية جذبتني الى هنا. وهذا الفتى الناكر الجميل، الواقف الى جانبك، سبق لي أن أنقذته من أمواج البحر الهائج المتلاطم، كان مجرد حطام بشري يائس من حياته، فأعطيته الحياة، ومع الحياة الحب والاخلاص بلا تحفظ وبلا قيد ولا شرط. من أجله، وبدافع من صداقتي الخالصة له، عرضت نفسي للمخاطر في هذه المدينة المعادية وامتشقت حسامي للدفاع عنه، عندما هوجم. واذ ألقي القبض عليّ تنكّر لي بوحي جبانته ورفض أن يشاطرني محنتي، بل أصبح غريبا عني بلمحة بصر. ورفض أن يعيد اليّ محفظة نقودي التي وضعتها في تصرفه منذ نصف ساعة تقريبا.

فيولا : متى تم ذلك ؟

الدوق : عندما وصل الى هذه المدينة ؟

انطونيو : اليوم، يا سيدي، ومنذ ثلاثة أشهر، نحن نحيا معا بدون انقطاع ليلا نهارا.

(تدخل اوليفيا وحاشيتها)

الدوق : ها قد أتت الكونتيس، وهي ملاك سماوي يمشي الآن على الأرض. أما بالنسبة اليك أيها الصديق، فان كلامك جنون محض، اذ لم يمض على هذا

الفتى في خدمتي سوى ثلاثة أشهر. سنتكلم في الموضوع بعد قليل. فاحتفظوا به على انفراد.

اوليفيا : ماذا تريد، يا سيدي ؟ وأية خدمة يمكنني أن أسديها اليك ؟ (تخاطب سيزاريو) لم تفِ بوعدك، يا سيزاريو.

فيولا : سيدتي.

الدوق : يا اوليفيا الجميلة !

اوليفيا : ماذا تقول يا سيزاريو ؟

فيولا : سيدي يريد أن يتكلم، وواجبي نحوه يفرض عليّ السكوت.

اوليفيا : لن أردِّد نفس الأغنية، يا سيدي، لأنها باتت مملة ومزعجة على مسمعي تماما كسماع الصراخ بعد الموسيقى الهادئة.

الدوق : أنت دائما قاسية.

اوليفيا : أنا دائما ثابتة، يا سيدي.

الدوق : في أي شيء ؟ في فساد الذوق طبعا. أيتها المرأة المتصلبة، ألم أقدم على مذبحك المشؤوم الناكر الجميل، أعز القرابين التي يمكن أن يتصورها الرجل المخلص ؟ ماذا عساي أن أفعل ؟

اوليفيا : إفعل ما تشاء، يا سيدي، شرط أن يكون لائقا بك.

الدوق : لماذا ؟ اذا كنت شجاعا، لن أفعل مثلما فعل اللص المصري عندما أشرف على الموت، فأقتل من أحب ؟ أيتها المغرورة المتوحشة التي لا تخلو أحيانا من النبل ! اسمعي هذا : بما انك ترفضين حبي، وبما اني أعرف الاداة التي تسلب مني حبك لي، فلا بد من أن أجهز على هذا الفتى الذي تحبينه، يا صاحبة القلب المتحجر، رغم اني أحبه. سأنتزعه أمام نظراتك القاسية حيث يتربع لإذلال سيده. تعال معي، أيها الخادم، لأضحي بالحمل الذي أحبه بهذه الحماقة التي تخفي في صدرها قلب غراب (يهم بالانصراف).

فيولا (تتبعه) : وأنا كلي سرور وفرح، تراني مستعدا لأن أموت ألف مرة كي أصون لك سلامك.

اوليفيا : الى أين أنت ذاهب، يا سيزاريو ؟

فيولا : أنا ذاهب مع من أحب أكثر من نفسي ومن حياتي ومن أية امرأة. اذا

كنت أكذب فليعاقبني رب السماء على هذه الاهانة الموجهة الى حبي.
اوليفيا : لتنزل عليّ العنة، لأني مغرورة !
فيولا : من خدعك ؟ من أساء اليك ؟
اوليفيا : هل نسيت نفسك ؟ هل مضى على ذلك وقت طويل ؟ احضروا الكاهن. (يخرج أحد الخدم).
الدوق (يخاطب فيولا) : تعال.
اوليفيا : الى أين يا سيدي ؟ سيزاريو هو زوجي، أرجوك أن تتوقف.
الدوق : زوجك ؟
اوليفيا : أجل زوجي. هل يسعه انكار ذلك ؟
الدوق (يخاطب فيولا) : أنت زوجها، أيها المحتال ؟
فيولا : كلا، يا سيدي. كلا أنا لست زوجها.
اوليفيا : يا للأسف، حقارة خوفك قضت على كرامتك. لا تخشَ شيئا، يا سيزاريو. ابقَ كما يجب أن تكون، فتصبح عظيما مثل الشخص الذي تخشاه.

(يدخل الكاهن ومعه الخادم)

أهلا بك أيها الكاهن. أستحلفك بربك أن تعلن هنا ما تعرفه. كان في نيَّتنا أن نحتفظ بهذا السر. لكن مجرى الأحداث كشفه قبل الأوان. أرجوك أن تروي اذاً ما حصل بيني وبين هذا الرجل منذ قليل.
الكاهن : بينكما عقد لا يمكن انتهاكه، هو عقد الحب المثبت بتماسك أيديكما، والمتبادل بملامسة شفاهكما المقدسة وتبادل خاتميكما. وقد مهرت كل هذا بشهادتي، بحكم ممارستي مهمتي الدينية. ان ساعتي تقول لي بأني لم أتقدم نحو قبري منذ ذلك الحين سوى مسافة ساعتين فقط.
الدوق (يخاطب فيولا) : أيها المرائي الصغير، كيف تصبح عندما سيخط الشيب شعرك ؟ انتبه لأمورك. فخيانة مبكرة مثل هذه ستوقعك في نفس الشرك الذي تكون قد نصبته لسواك. وداعا. اتخذها زوجة لك. لكن سدّد خطاك نحو مكان لا سبيل لي ولك ان نلتقي فيه معا.
فيولا : أنا أحتجّ، يا سيدي.

اوليفيا : لا تقسم، حافظ على أدنى حد من كرامتك، مهما كان خوفك عظيما.

(يدخل سير اندريه وقد حلق رأسه)

سير اندريه : أستحلفكم بالله أن تحضروا لي طبيبا، وأن ترسلوا حالا طبيبا آخر الى سير طوبي.

اوليفيا : ماذا جرى ؟

سير اندريه : لقد شج لي رأسي، ولطّخ بالدم شعر سير طوبي. أستحلفكم بالله أن تنجدوني. أريد الوصول الى منزلي.

اوليفيا : من فعل بك هذا، يا سير اندريه ؟

سير اندريه : أحد نبلاء الدوق، ويدعى سيزاريو. ظنناه جبانا، فاذا به شيطان لعين.

الدوق : النبيل سيزاريو ؟

سير اندريه : والله هو، هو بالذات. (يشير الى فيولا) لقد كسرت رأسي من أجل لا شيء. اذ دفعني سير طوبي الى القيام بما أقدمت عليه.

فيولا : لماذا تكلمني هكذا ؟ أنا لم أسبب لك أي أذى. فامتشقت حسامك في وجهي، دون أي سبب. وكلمتك بلطف ولم ألحق بك أي ضرر.

سير اندريه : أرى ان الشعر المخضب بالدم لا يعني لك شيئا.

(يدخل طوبي سكران، يقوده فاست)

ها قد وصل سير طوبي، يجر قدميه جراً، وسيخبرك بأمور أخرى.

الدوق (يخاطب سير طوبي) : ما وراءك من أخبار، أيها النبيل ؟

سير طوبي : لا شيء. لقد جرحني. هذا كل ما في الأمر. (يخاطب فاست) أيها الأحمق، هل رأيت الطبيب الجرّاح ؟

فاست : هو سكران منذ حوالي ساعة. وكانت حدقتاه تقدحان شررا منذ الثامنة صباحا.

سير طوبي : ان ما أكرهه بعد كرهي للرقصة الثلاثية والرقصة البطيئة، هو هذا الوغد السكران.

اوليفيا : خذوه. من أوصلهما الى هذه الحالة المؤسفة ؟

سير اندريه : سأساعدك، يا سير طوبي، وستُضمَّد جراحنا معا.
سير طوبي : أتساعدني، أيها الحمار، أيها المجنون ؟
اوليفيا : مدّدوه على السرير، واعتنوا بجرحه. (يخرج فاست وسير طوبي وسير اندريه).
سيبستيان (يخاطب اوليفيا) : أنا مغتم، يا سيدتي، لأني جرحت قريبك. لكني لم أكن أستطيع أن أفعل غير ما فعلت للحفاظ على سلامتي. أنت تنظر اليّ بطريقة غريبة، وأرى من خلال ذلك اني أهنتك. سامحيني أيتها الحسناء بحق الأماني التي تجمعنا.
الدوق (ينظر الى سيبستيان وفيولا) : نفس الوجه، ونفس الصوت ونفس اللباس، انما شخصان مختلفان.
سيبستيان : انطونيو، أيها الحبيب انطونيو، كم تعذبت منذ أن أضعتك !
انطونيو : هل أنت سيبستيان ؟
سيبستيان : هل تشك بذلك، يا انطونيو ؟
انطونيو : كيف افترقتما هكذا ؟ انتما أشبه بتوأمين، أيَّكما سيبستيان ؟
سيبستيان (ينظر الى فيولا) : هل أنا أشبه الشخص الواقف هناك ؟ لم يسبق أن كان لي أخ. ولست ممن يتمتعون بموهبة الحضور في كل مكان. كانت لي أخت ابتلعتها الأمواج الغادرة (يخاطب فيولا) ما هي صلة القربى التي تشدني اليك ؟ هل أنت من مواطنيّ ؟ ما اسمك، وما اسم عائلتك ؟
فيولا : أنا من ميسَّالين، وسيبستيان كان والدي. وسيبستيان آخر كان أخي الذي ابتلعه البحر الهائج، وهو يرتدي زيًّا مثل زيِّك. فاذا كان باستطاعة الأرواح ان تتخذ شكلا وترتدي لباسا فهذا يعني انك ظهرت لترهبنا.
سيبستيان : أنا روح. لكني أتخذ من الأحشاء أحجاما سميكة أتجسد فيها. اذا كنت امرأة، سأدع دمعي ينهمر على وجنتيك وأصرخ : أهلا بك مثنى وثلاثا، أيتها الغريقة فيولا.
فيولا : كان لوالدي علامة فوق جبينه.
سيبستيان : وأنا أيضا.
فيولا : لقد مات يوم أصبح عمر فيولا ثلاث عشرة سنة.

سيبستيان : هذه الذكرى لا تزال حية في نفسي. اذ مات يوم بلغت أختي الثالثة عشرة من عمرها.

فيولا : اذا كان العائق الوحيد في طريق سعادتنا المشتركة هو هذا الحقير الذي انتحلت أنا شخصيته، فلا تعانقني قبل أن تساهم ظروف الزمان والمكان والحظ في اثبات كوني فيولا. ولكي أثبت ذلك، سأصحبك الى ربَّان موجود في هذه المدينة، سبق لي وائتمنته على ملابسي، وأنا مدينة له بالنجاة، وبتيسير انخراطي في خدمة هذا الدوق النبيل. منذ ذلك الحين أنا أمضي وقتي متنقلة بين هذه السيدة والدوق.

سيبستيان (يخاطب اوليفيا) : يستنتج من ذلك انك كنت مخدوعة، أيتها السيدة. كنت تريدين الزواج من عذراء. وأقسم لك بحياتي بأن ظنك لم يخب من هذه الناحية، لأنك اقترنت برجل بتول.

الدوق : لا تبقي مرتبكة. هذا الشاب ينحدر من أصل نبيل. فاذا كان كل هذا صحيحا، تسعدني حادثة غرقك. (يخاطب فيولا) أيها الخادم، قلت لي ألف مرة انك لن تحب امرأة مثلما تحبني.

فيولا : وكل ما قلته لك، أريد أن اؤكده باستمرار، ولن أتراجع عن تأكيداتي هذه ما دام الفضاء الفسيح يحتفظ بالشعلة التي تفرق بين الليل والنهار.

الدوق : أعطيني يدك، ودعيني أبصرك في زيّ امرأة.

فيولا : الربان الذي قادني الى هذا الشاطىء يحتفظ بثيابي، وهو الآن في السجن بناء على طلب ملفوليو، أحد أتباع السيدة.

اوليفيا : سيطلق ملفوليو سراحه. أحضروا ملفوليو. لكنني تذكرت الآن انه في حالة سيئة. يا له من رجل مسكين !

(يدخل فاست حاملا بيده رسالة، يصحبه فبيان)

لقد أنساني جنونه جنوني (يخاطب فاست) كيف حاله، أيها الحقير ؟

فاست : بعث اليك برسالة، وكان ينبغي عليّ أن أوصلها اليك هذا الصباح. لكن بما ان رسائل المجنون ليس لها من اعتبار، فلا يهم أمر وصولها الى أصحابها.

اوليفيا : فضَّها واقرأها.

فاست : ستزيد ثقتك عمقا، ما دام المهرج يترجم لك أفكار المجنون (يقرأ بصوت وبحركات غير مألوفة). بحق السماء، أيتها السيدة...
اوليفيا : هل أنت مجنون ؟
فاست : كلا، يا سيدتي. لكنني أقرأ حماقات. اذا كنت تريدين أن أقرأ كما ينبغي، فعليك أن تدعيني أقرأ بصوت ملائم.
اوليفيا : أرجوكِ أن تقرأ بتعقل.
فاست : هذا ما أفعله، يا سيدتي. واذ أقرأ هكذا، فانما أقرأ بتعقل. وما عليك الا أن تنتبهي، أيتها الأميرة.
اوليفيا (تخاطب فابيان) : اقرأها أنت، أيها الحقير.
فبيان : بحق السماء، أيتها السيدة، كفي عن اهانتك إياي على هذه الصورة. فرغم انك وضعتني في الظلام، وسلطت عمك عليّ، أرى ان عقلي لا يقل رجاحة عن عقلك. وما زلت أحتفظ برسالتك التي حددت لي فيها الهندام الذي ينبغي عليّ أن أرتديه، وبالاستناد الى هذه الرسالة، باستطاعتي أن أبرر نفسي، يسعك أن تفكري فيّ كيفما تشائين. فأنا أضع الاحترام جانبا، وأتكلم بوحي الاهانة التي تلقيتها.

(ملفوليو الذي أسيئت معاملته)

اوليفيا : هل كتب ملفوليو كل هذا ؟
فاست : أجل، يا سيدتي.
اوليفيا : أطلقوا سراح فبيان، واحضروه الى هنا. (يخرج فبيان) يا سيدي، اقبلني كأخت لك، كما كنت ستقبلني كزوجتك. ولنتكلل في نفس النهار، اذا أردت هذا الاتحاد المزدوج، هنا في بيتي وعلى نفقتي.
الدوق : يا سيدتي، أنا أقبل عرضك هذا بسرور لا يوصف. (يخاطب فيولا) سيدك يصرفك من خدمته. لكني لقاء الخدمات التي أديتها لي، وهي خدمات تناقض مزايا جنسك، كما انها لا تليق بنشأتك، ها أنا أمد اليك يدي لتصبحي من الآن وصاعدا سيدة سيدك.
اوليفيا : ستصبحين أيضا شقيقتي.

(يدخل فبيان ومعه ملفوليو)

الدوق : هل هذا هو المجنون ؟

اوليفيا : أجل، يا سيدي، هو بعينه. كيف حالك، يا ملفوليو ؟

ملفوليو : لقد أهنتني، يا سيدتي، بشكل لا يمكن تصوره، وإهانتك إياي كانت بليغة.

اوليفيا : أنا، يا ملفوليو ؟ لا، لا.

ملفوليو : أجل، أنت يا سيدتي. أرجوك أن تقرإي هذه الرسالة. لا تستطيعين أن تنكري خطك ولا ختمك ولا أسلوبك. والآن إشرحي لي، لماذا أظهرت علامات الود هذه في رسالتك ؟ وأمرتني بأن آتي اليك والبسمة تعلو شفتي، وأنا أرتدي جواربي الصفراء، وأن أحتقر سير طوبي وخدمي ؟ وعندما أطعتك، لماذا أذنت بأن أسجن في غرفة مظلمة، وأن يزورني كاهن، وأن أمسي أضحوكة لا مثيل لها. فسِّري لي لماذا فعلت بي كل هذا ؟

اوليفيا : يا للأسف، يا ملفوليو، هذا الخط ليس خطي، أعترف بأنه يشبهه كثيرا هذا بدون شك خط ماريا، وأذكر الآن انها كانت أول من قال لي انك مجنون. أرجو أن تهدىء روعك. أجل هي أول من قال لي انك مجنون. أرجوك ان تهدأ. لقد كنت ضحية خدعة قذرة. لكن عندما ستعرف الدوافع والأشخاص الذين قاموا بذلك ستكون أنت الخصم والحكَم في قضيتك هذه الغريبة.

فبيان : أرجوك، أيتها السيدة، أن تستمعي اليّ، ولا تسمحي لأية مشاجرة لاحقة بأن تفسد عليَّ هذه البرهة السعيدة. وعلى هذا الأساس، أعترف لك بصراحة بأني أنا وسير طوبي دبَّرنا هذه المؤامرة بحق ملفوليو تكفيرا له عن بعض التصرفات غير اللائقة التي وددنا أن نلومه عليها. فكتبت ماريا الرسالة، بناء على الحاح سير طوبي الذي تزوجها مكافأة لها على مساهمتها. ومهما كانت خشونة المهزلة التي عقبت ذلك، فهي تحمل على الضحك لا على الحقد، اذا قابلنا أخطاء الفريقين بغريقة منصفة.

اوليفا (تخاطب ملفوليو) : يا للأسف، أنت مخدوع مسكين، نالك الكثير من الهزء والسخرية.

فاست (يلتفت الى ملفوليو) : أيتها السيدة، هناك من يولدون عظماء، وهناك

من يكتسبون الأمجاد اكتسابا، وهناك من تفرض عليهم الأمجاد فرضا. لقد قمت أنا بدور سير توبا، يا سيدي، ولكن هذا عندي سيَّان. أقسم لك بحق السماء، أيها المجنون، بأني لا أكذب.

ملفوليو : سأنتقم منك ومن طغمتك. (يخرج).

اوليفيا : كم خدعوه وكم سخروا منه !

الدوق : إلحقوا به واحملوه على المسالمة. لم يقل لنا بعد شيئا عن الشيطان. عندما تنجلي هذه المسألة، وتأتي اللحظة السعيدة، سيتم زواجنا. وحتى ذلك الحين، أيتها الأخت العزيزة، لن نفارق هذا المكان. تعال يا سيزاريو. ستبقين في نظري سيزاريو، ما دمت تتزيِّين بزيّ رجل. لكن عندما ستنزعين عنك هذا الزيّ ستصبحين حبيبة اورسينو ومالكة قلبه. (يخرج الجميع).

فاست (يغني) :

عندما كنت فتى
في الهواء وتحت المطر،
كان الجنون مجرد عمل صبياني
لأن السماء تمطر كل يوم.

لكن عندما أصبحت رجلا
في الهواء وتحت المطر،
أصبح كل انسان يقفل بابه بوجه السارق
لأن السماء تمطر كل يوم.

لكن، يا للأسف، عندما تزوجت
في الهواء وتحت المطر
لم أعد أنجح في التهتك
لأن السماء تمطر كل يوم.

وعندما كنت آوي الى سريري
في الهواء وتحت المطر
كنت أسكر دائما مع السكارى

لأن السماء تمطر كل يوم.
نشأ العالم منذ زمن طويل
في الهواء وتحت المطر
هذا لا يهم فقد انتهت مسرحيتنا
وسنحاول أن نسعدكم كل يوم.

﴿ تمَّت ﴾

حكايـة الشـتاء

تعــريــب

أ . ر . مشــاطي

أشخاص المسرحية

ليونتي : ملك صقلية.
ماميليوس : ابنه، أمير صقلية.

كميليو انتيغون كليومان ديون	نبلاء من صقلية.

بولكسان : ملك بوهيميا.
فلوريزال : ابن بولكسان، امير بوهيميا.
ارشيداموس : نبيل من بوهيميا.
روجر : وجيه من صقلية.
اوتوليكوس : لص.
وكيل بولين
مدير السجن
ضباط عدل
راعٍ عجوز
مهرِّج : ابن الراعي.
بحّار

هرميون : زوجة ليونتي.
برديتا : ابنة ليونتي وهرميون.
بولين : زوجة انتيغون.
اميليا : مرافقة هرميون.
مرافقتان أخريان.
مُبسا
دركاس } راعيتان.
الزمان : بهيئة جوقة إنشاد.
سادة وسيدات، وجهاء، حجّاب، حرس، خدم، رعاة وراعيات، وُصفاء، قرويون متنكرون بزيّ اصحاب مجون.

الاحداث تجري تارة في صقلية، وطورا في بوهيميا.

الفصل الأول

المشهد الأول
في صقلية ــ داخل حديقة القصر الملكي

(يدخل كميليو وارشيداموس)

أرشيداموس : ان كتب لك نصيبك، يا كميليو، ان تزور بوهيميا في سبيل خدمة كالتي تشدّني الى هذه الديار، سترى، كما قلت لك، فرقا شاسعا بين بوهيميا وبلادك صقلية.

كميليو : أعتقد بأن ملك صقلية ينوي في الصيف القادم ان يرد زيارة اخيه في بوهيميا، كما تقضي أصول اللياقة.

أرشيداموس : اذا كانت ضيافتنا لا تعجبك، فان مودتنا لك تشفع بنا لديك لاننا حتما...

كميليو : أتوسل اليك...

أرشيداموس : أعترف لك حقا، بكل صراحة وقناعة، بأننا مقصِّرون في تقديم فروض التكريم والتفخيم لشخصك الغالي، لاننا، ولا ادري كيف أعبر لك عن شعورنا... سنقدم لك شرابا منوّما كي لا تنتبه حواسك اليقظة الى عجزنا، لا طمعا بثنائك علينا بل للالتماس تغاضيك وعذرك عن عدم قيامنا بكل ما يليق بك.

كميليو : اراك ترد لي بأبهظ الاثمان ما أسديه اليك بدون كلفة.
أرشيداموس : صدقني، انا لا انطق الا بما توحيه اليّ معلوماتي وما يمليه عليَّ واجبي.
كميليو : لن تفي يوما صقلية ما لبوهيميا عليها من ديون المودة والتعاضد. لان مليكيها قد ربيا معا في ايام حداثتهما، وبينهما من صلات المودة والتقدير ما لا تقوى تقلبات الزمان على زعزعته نظرا لرسوخه في ذهنيهما كالطود الأشمّ. فمنذ افتراق جلالتيهما عند نضوجهما، ونزولا عند متطلبات مملكتيهما، لم تنفك علاقاتهما، وإن على صعيد غير شخصي، عن ان تتواصل بواسطة الموفدين وتبادل الهدايا والرسائل عن طريق السفراء الى حد جعلهما، رغم غياب احدهما عن الآخر، يظلان كأنهما لا يزالان مجتمعين، لم تباعد بينهما المسافات الطويلة. فكانا يتصافحان بواسطة المندوبين رغم بعد المدى ويتعانقان، ان جاز التعبير، من وراء الآفاق السحيقة، بكل محبة واخلاص. وقى الله صداقتهما من كل شائبة.
أرشيداموس : أعتقد بأن لا مجال مطلقا لأي خبث او رزء في الدنيا ان يحول دون استتباب هذه الأواصر الطيّبة من التفاهم والتعاون بينهما. وهذا من دواعي السرور لك ولنجلك الامير ماميليوس الذي لا يفوقه وجيه في بلاطك حكمة وحنكة.
كميليو : انا أشاطرك آمالك فيما يتعلق به. فهو ولد لائق وأمير شهم يملأ قلوب رعاياه عطفا وارتياحا، حتى ان من كان يستعين منهم بعكاز، عند مولده، يتمنى اليوم ان يحيا الى ان يراه فتى يافعا مكتمل الرجولة.
أرشيداموس : بتعبير آخر، يموت وهو قرير العين.
كميليو : الا اذا كان له غير هدف ليعيش مدة أطول.
أرشيداموس : لو لم يكن للملك ابن، لتمنى الجميع ان تطول ايامهم ويمشون على العكاكيز حتى يرزق ولي عهد.

(يخرجان)

المشهد الثاني
في صقلية ـــ داخل القصر الملكي

(يدخل ليونتي وبولكسان وهرميون وماميليوس وكميليو وبعض رجال الحاشية)

بولكسان : تسعة تغييرات في الكوكب النيِّر قد عدّها الراعي منذ ان غادرت عرشي. وستستغرق تشكراتي وقتا أطول، يا اخي، دون ان يتسنى لي عند مغادرتي بلاطك، ان أفي بجزء مما انا مدين به لك الى الابد، من جميل الترحاب وحسن الضيافة. لذا يجدر بي ان اضيف صفرا الى يمين تشكراتي التي لا تحصى، لقاء ما اغدقته عليَّ من جود وإكرام. ورغم مضاعفته هكذا عشرات المرات، اراني مقصِّرا حيال جزيل لطفك وسخائك.

ليونتي : أجِّل شكرك قليلا الى حين رحيلك.

بولكسان : انا مسافر غدا يا مولاي. لاني قلق على ما قد يجدّ اثناء غيابي. أتمنى ان لا تهبّ على بلادي رياح تضطرني الى القول: ان افتراضاتي كانت في محلها. ثم ان مكوثي عندك طال الى حد سبَّب العناء لجلالتك.

ليونتي : ان همتي لا تزال قعساء، يا اخي، فلا تحسبني ممن ينال منهم التعب.

بولكسان : حقا، لا يسعني ان ابقى يوما واحدا آخر.

ليونتي : ارجوك ان تمكث اسبوعا ايضا.

بولكسان : لا، لا. لا بد لي من الرحيل غدا.

ليونتي : اذاً لنقسم الفرق مناصفة، ولا أقبل لغير ذلك عذرا.

بولكسان : أرجوك ان لا تحرجني هكذا. فليس في الدنيا من كلام مؤثر يستطيع ان يستميلني اكثر من ألفاظك الرقيقة. ان كنت فعلا مصرا على استبقائي عندك، فلن يسعني ان ارفض طلبك. لكن اعمالي تستدعي رجوعي سريعا الى مقري. ان تشبثك باستبقائي في ضيافتك يجعل من مودتك كارثة عليّ ويصبح مكوثي هنا مضرَّة لي وإزعاجا لك. فلكي نكون كلانا راضيين ومرتاحين، عليّ ان استودعك الله، يا اخي.

ليونتي (لهرميون) : ما لك ساكتة، ايتها الملكة؟ تكلمي.

هرميون : قصدت، يا مولاي، ملازمة الصمت حتى تتمكن من الحصول على وعد منه بالبقاء. فأنت، يا مولاي، تلح عليه ببرود. قل له انك واثق بأن الامور في بوهيميا تسير على احسن ما يرام. وهذا التأكيد يدعمه آخر رسول قادم من هناك. قل له ذلك فيقنع ويمدد اقامته مطمئن البال.

ليونتي : جميل قولك، يا هرميون.

هرميون : وان تحجَّج بأنه مشتاق الى مشاهدة ولده، فهذا امر لا يحتاج الى نقاش، واصراره عذر كافٍ ليذهب ان شاء. وان أقسم بذلك، فأنا لن أبقيه فيما بيننا، بل أرى لزاماً علينا حينذاك أن نشجّعه على الرحيل ونضطرّه اليه، ولو اقتضى لدفعه استعمال المغزل. (لبولكسان) هيا أود ان تتحفنا ببقائك عندنا اسبوعا آخر على الاقل. وحين تستقبل جلالته في بوهيميا سأسمح له بأن يمكث عندك شهرا زيادة عن الوقت المحدد لعودته. على كل حال، كن واثقا، يا ليونتي، بأني لن احبك ذرّة واحدة اكثر مما يجب على المرأة ان تهوى زوجها. (لبولكسان) فهل نويت ان تبقى؟

بولكسان : كلا، يا سيدتي.

هرميون : لا، بل ستبقى.

بولكسان : حقا، لا استطيع.

هرميون : أحقا؟ انت تمانع في البقاء بحجج مائعة. لكنك مهما حاولت ان تضمِّن حلفانك من دعم، اقول لك ان كلمة « حقا » التي تلفظها سيدة تعادل في قوتها ومفعولها نظيرتها يتلفظ بها مولى خطير مثلك. فهل انت لا تزال مصمما على الرحيل؟ تصرّف كما تشاء. انما ستضطرني هكذا الى حجز حريتك إما كضيف، واما كأسير. وعلى هذا الاساس يترتب عليك ان تدفع فدية قبل ان تنطلق وتوفر على نفسك سيلا من الشكر. فماذا تختار؟ أن تكون ضيفي أم أسيري ؟ فبموجب قولك « حقا » عليك أن تكون هذا أو ذاك.

بولكسان : أفضل طبعا ان اكون ضيفك، يا سيدتي. اذ اني عندما اصبح اسيرك اكون عرضة لاهانة يصعب عليّ ارتكابها كما يصعب عليك انت ان تلوميني عليها.

هرميون : اذاً لن أكون سجّانتك بل مضيفتك السخيّة. دعني أستفسر عن الاكواخ التي كنت انت وزوجي تبنيانها ايام طفولتكما، وتبدوان فيها كسيدين وسيمين.

بولكسان : ايتها الملكة الرائعة، كنا صبيَّين لا يريان في المستقبل إلاّ غداً مماثلا للأمس، ويظنان ان الحداثة تدوم الى الابد.

هرميون : أولم تكن انت، يا مولاي، المشاغب الاكبر بين كليكما؟

بولكسان : لا بل كنا كحملين توأمين نجري ونقفز في الشمس، ويغني احدنا للآخر ببساطة وبراءة جاهلين كل ما يمتّ الى الشر بصلة لا نتصور ان في الدنيا من يعرف بوجوده. ولو كنا واصلنا حياتنا على هذا المنوال، ولو لم يحمس ذهنينا الساذجين دم أحمى من دمنا، لكنا اجبنا بشجاعة على هذا الاتهام بأننا غير مذنبين الا في ما يتعلق بالجرم المشهود.

هرميون : أستنتج من هذا الكلام انكما تعثرتما بعد تلك المرحلة.

بولكسان : في الحقيقة، يا سيدتي الكريمة، منذ تلك الفترة تولدت الاغراءات في صدورنا. اذ يوم كنت صغيرا، كانت زوجتي لا تزال طفلة وكان شخصك العزيز لم يسترعِ بعد أنظار زميلي الصغير السن.

هرميون : رحماك أللهم! ارجوك يا مولاي ان لا تستنتج اية فكرة خفية. وإلا ادّعيت اني انا وزوجتك كنا من العفاريت. مع ذلك، نحن على أتم الاستعداد لان نكون مسؤولتين عن الاخطاء التي زينتما لنا ارتكابها، بشرط ان تكون ذنوبكما ابتدأت بصحبتنا واكتملت معنا فقط، بدون ان تشركا في ارتكابها معكما بنات حواء سوانا.

ليونتي (لهرميون) : هل اتخذ قراره اخيرا؟

هرميون : أجل، سيبقى، يا مولاي.

ليونتي : عندما طلبت انا منه ذلك، لم يقبل. حقا، يا عزيزتي هرميون، لم يكن وقع حديثك ابدا اكثر ملاءمة منه في هذه الساعة.

هرميون : ابدا؟

ليونتي : نعم ابدا. ما عدا هذه المرة ومرة اخرى.

هرميون : ماذا تقول؟ هل تكلمتِ جيدا مرتين فقط في حياتي؟ ومتى كانت

المرة الأولى؟ ارجوك ان تعلمني، ولا تبخل عليّ بالثناء، بل دعني أنتفخ زهواً كالديك. ان عملا صالحا مهملا يجر وراءه ألوفا من أمثاله الى عالم النسيان. فالاطراء للمرأة هو في نظرها أثمن مكافأة. وهكذا ترانا نندفع الى الجري الف فرسخ لقاء قبلة عذبة، ولا مجال لجعلنا نمشي ميلاً واحداً بوخز المهماز. لنعد الى حيث كنا. ان آخر عمل صالح قمت به هو التماسي منه ان يبقى. فما هو عملي الصالح الاول؟ هكذا خيل اليّ اني فهمت منك، فهل هناك من التباس؟ ام اني اسأت الفهم؟ تقول اني أجدت النطق في مرة سابقة؛ أليس كذلك؟ فمتى كان هذا؟ وفي اية مناسبة؟ ارجوك ان توضح لي تلميحك لاني اتوق الى معرفة ما ترمي اليه.

ليونتي : حسنا. كان ذلك بعد ثلاثة اشهر من انتظاري المرير، الى ان مددت اخيرا يدك اللطيفة الناعمة الناصعة البياض الى يدي، حين بحت لي قائلة في آخر المطاف: « انا لك الى الابد ».

هرميون : هذا التصريح، كان حقا اجمل ما فُهتُ به في حياتي، وكما تلاحظ، أجدت النطق مرتين: في الاولى، ربحت ملكا كزوج طوال العمر، وفي الثانية: صديقا لا أشك في وفائه.

(تمد يدها الى بولكسان).

ليونتي (على حدة) : جميل جدا. فالخلط بين الاستلطافات الحميمة هو تمازج بين الاشخاص ايضا. وهذا يرعد فرائصي ويرقص قلبي لا من الفرح بل من الفزع والريبة. اذ يتسنى للياقة ان تسير سافرة الوجه، ويمكن التسامح فيها الى بعض حدود حسن النية والكرم وطيبة القلب بدون اية اساءة، كما أفترضه وأتقبّله. انما بلوغ حد مصافحة اليدين والشدّ على الانامل، كما هو الحال الآن، وتبادل البسمات والنظرات المبطنة، واثارة التنهدات كأنها صيحات في مطاردة غزال اثناء الصيد، ففي الحقيقة، هذه المجاملات لا يرتاح اليها فؤادي ولا تعلّي جبيني. هل انت فعلا ولدي من صلبي، يا ماميليوس؟

ماميليوس : أجل، يا مولاي الكريم.

ليونتي : أحقا هذا هو وريثي وولي عهدي؟ كيف وسّخت انفك، يا عزيزي؟

يقال انه نسخة طبق الاصل عني. ارجوك، ايها الغلام، ان تحافظ على ستر عورتك، اقصد القول ان تظل مشكور السيرة ايها الامير الصغير. لأن الثور والبقرة والعجل كلها بطبيعة الحال من ذوات القرون. (ينظر الى بولكسان وهرميون) هو لا يزال يربت على يدها. (لماميليوس) ايها الوعل الوقح، هل حقا انت وعلي؟

ماميليوس : اجل، يا مولاي، ان شئت ان اكون انا هو.

ليونتي : ينقصك رأس غير منسق وأطراف كأطرافي لتشبهني تماما. مع ذلك، يُقال اننا كلانا نتشابه نظير بيضتين. هكذا تقول النساء عندما يصفننا. لكنهن مهما كنّ غشاشات نظير أسوْد الصبَّاغ والهواء والماء، خداعات نظير زهر اللعب الذي يتمناه الماكر عندما يريد وضع حد بين ما يخصه وما يخص سواه، فلن يكون الحق ابدا بجانبهن في تأكيدهن ان هذا الابن يشبهني. هيا، ايها الغلام، انظر الي بعينك السماوية، يا عزيزي الرذيل الحلو، يا فلذة كبدي، هل يتسنى لوالدتك ان... هل هذا ممكن؟ ايتها التخيُّلات، ان خنجرك يطعن رجولتي في الصميم. هل يصبح المستحيل ممكنا؟ انت تخلط بين الحلم واليقظة. فكيف يجوز ذلك؟ انت تمزج بين الوهم والحقيقة وتزج افتراضاتك في وهدة العدم. أفلا يمكن ان تكون افكارك مطابقة للواقع؟ ها هي الان امام ناظري، اشعر بها كحقيقة ملموسة لا تقبل الشك. وهذا ما يشتت افكاري ويضعضع عواطفي ويندى له جبيني عارا.

بولسكان : ما بال ملك صقلية شارد الذهن؟

هرميون : يبدو عليه انه متعب قليلا.

بولسكان : بماذا تشعر يا مولاي؟ وكيف حالك يا أعز أخ لي في الدنيا؟

هرميون : يظهر عليك بعض القلق. فهل هناك ما يكدّر صفو خاطرك، يا مولاي؟

ليونتي : كلا. لا شيء. ان الطبيعة تهزأ احيانا بمشاعرنا واحساساتنا حتى لتكاد تسخر بنا وتجعلنا أضحوكة لقساة القلوب. عندما أتفحص ملامح وجه ولدي، يخيل اليّ اني ارى ذاتي كما كنت قبل ثلاثة وعشرين عاما، وأراني بدون سروال رسمي لابسا سترتي المخملية الخضراء، وعلى جنبي خنجري

المغلّف بقرابه خوفا من ان يجرحني ويؤذيني، كما هو حال كثير من الزخارف، وأتساءل كم انا اشبه هذا الصبي، هذا الغرّ، بل هذا الأمير الصغير الرفيع الشأن. (لماميليوس) يا صديقي النبيل، أيمكنك ان تخطىء بغباوة وتستبدل المصباح المنير بقرعة جافة؟

ماميليوس : انا أفضِّل القتال، يا مولاي.

ليونتي : أأنت تقاتل؟ وهل لك هذا الحظ السعيد؟ (لبولكسان) يا اخي، هل انت هائم حتى الجنون بحب ابنك الامير، كما هو حالي حيال ولدي؟

بولكسان : في نظري، يا مولاي، هو كل كياني، وكل فرحي وكل همي. هو تارة صديقي الحميم وطوراً عدوّي اللدود، هو مزاحمي كما هو حارسي ورجل دولتي. هو كل ما في الدنيا، ولا يستبعد ان يجعل أطول أيام الصيف كأقصر ايام الشتاء، وبأهوائه الصبيانية يبدد احزاني المضنية التي تكثف دمي.

ليونتي (يشير الى ماميليوس) : مرافقي هذا يمارس حيالي عين الوظيفة التي تتحدث عنها. فنحن نتنزه كلانا معا، ولأجله أرتضي سلوك طريق الخطر... ارجوك، يا هرميون ان ترينا مقدار محبتك لنا في استضافة اخيك، فلا تضني عليه بأغلى ما في صقلية واسترخصي في سبيله كل نفيس. لانه بعدك وبعد ولدي الصغير سيكون وريثي العتيد المحبوب.

هرميون : ان شئت ان تنضم الينا فنحن ننتظرك في الحديقة، وكل املنا ان توافينا.

ليونتي (لبولكسان) : تدبر امرك كما يحلو لك. سنلقاك على كل حال اذا بقيت تحت سمائنا. (على حدة) انا الآن اصطاد في الماء العكر، وان لم تروا كيف ألقي شبكتي. هيا، هيا (يراقب بولكسان) يا للهول كيف تمد لها يديك وشفتيك، ايها المحتال. بماذا تتذرعُ لاستباحة حرية المرأة في حضور زوجها السموح. (يخرج بولكسان وحاشيتهما) ها هم قد ذهبوا ليغوصوا في الاوحال حتى الركب. وأنا الزوج المخدوع آخر من يعلم. (لماميليوس) انصرف الى لعبك ايها الصبي. إلعب، فوالدتك تلعب، وأنا ايضا ألعب، وأقوم بدور مخجل الى درجة ان الخاتمة ستلفّني ككفن من العار والاشمئزاز والسخرية. امضِ الى لعبك، يا ولدي. فكم من زوج مخدوع

نظيري، اليوم وفي كل حين، يتأبط ذراع زوجته، حتى في هذه اللحظة، بدون ان يدري بأن غيابه ارخى لها الحبل على الغارب وأفسح المجال لجاره ان يصطاد في الماء الآسن. ابتسم، يا مولاي، لذكر جارك. أجل، هناك تعزية أستخلصها من قولك لي ان غيري من الرجال لهم ايضا ابواب، وان هذه الابواب تفتح مثل ابوابي بدون رضاهم. لو ان جميع النساء الثائرات يئسن لضاع عِشر البشرية سدى، ما دام لا دواء لهذا الداء الوبيل. لاننا في هذه الدينا نخضع جميعنا لقدر غاشم هدّام يفسح المجال لسيطرة كل متجبِّر متغطرس مستبد يكيل لي الصدمات من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب، حيث انا موقن بأن لا حدود لجشع البطون فيتسنى للعدو الدخول والخروج بسلاحه وعتاده على هواه. هناك ملايين بيننا مصابون بهذا المرض العضال، وهم لا يعلمون. فكيف حالك أنت، يا ولدي؟

ماميليوس : انا مثلك تماما، على ما يقال.

ليونتي : هذه تعزية كبيرة لي. (يلمح كميليو) ماذا ارى؟ كميليو هنا؟

كميليو : أجل، يا مولاي الكريم.

ليونتي : انصرف الى لعبك، يا ماميليوس، فأنت فتى شريف. (يخرج ماميليوس) هو ان كميليو، السيد الخطير، ينوي تمديد اقامته في ربوعنا.

كميليو : لقد عانيت الكثير حتى حلت دون سحبه مرساته للاقلاع، وهو يحاول ان يسحبها كلما مانعت انت في رحيله.

ليونتي : هل لاحظت ذلك.

كميليو : لم يشأ ان يبقى عندما طلبت منه انت ان يمدد اقامته، وتذرّع بأن اعماله تستدعيه بإلحاح.

ليونتي : أجل، لاحظت هذا. وها هو يتمتم ويهمس مثلي: ان ملك صقلية هو... كذا وكذا. وسيقتضيني وقت طويل كي أبتلع كل هذا. ما الذي أقنع كميليو بالبقاء؟

كميليو : الفضل كله للملكة الرصينة.

ليونتي : لا انكر فضل الملكة. لكني هنا يصعب عليّ مجازاتك على الامانة، لانها في الواقع مفقودة. ولا ادري ان كان غيري يدرك ما اخشى حتى

مجرد التفكير في احتمال حدوثه. ففطنتك المتساهلة لا تأبه للتجاوزات السمجة. وأظن ان هذا الأمر لا يفوت الذهن الثاقب والمتبصر البعيد النظر. اما العامة من الناس فقد لا يرون من غرابة في ما يجري حولنا.

كميليو : ماذا يجري، يا مولاي ؟ أعتقد بأن أغلب الأصحاب قد علموا بأن ملك بوهيميا قد مدد اقامته في ربوعنا.

ليونتي : ماذا تقول؟

كميليو : مدد اقامته هنا.

ليونتي : نعم ، ولماذا؟

كميليو : ارضاء لسموك، ونزولا عند الحاح مولاتي النبيلة الرائعة.

ليونتي : نزولا عند الحاح مولاتك... نزولا عند الحاحها. هذا يكفي. لقد ائتمنتك يا كميليو، على أعز اسرار قلبي وحياتي. لانك كنت المرشد الذي طهّر نفسي، وكنت اغادرك كالمذنب التائب. غير اني اخطأت في وضع ثقتي في استقامتك او بالحري ما ظننته فيك من صلاح.

كميليو : معاذ الله، يا مولاي.

ليونتي : انا اثق بك اكثر من اللازم. فأنت لست وفيا، وان كنت تتظاهر بالاخلاص. انت جبان، طعنت الامانة في الخفاء لتمنعها من سلوك السراط المستقيم. لذا يجب عليّ ان أراقبك كخادم متشبث بثقتي ورضاي، لكنك شديد الاهمال ولن تحتفظ بهما طويلا، او كغبي يراني اسحب ثروتي الطائلة من ايدي الغشاشين ويحمل تصرفي على محمل الهوس.

كميليو : مولاي الجليل، قد اكون مهملا وغبيا وجبانا. اذ لا احد يخلو من هذه النقائص، ولا مجال لان يكون واثقا في غمرة أحداث هذا العالم التي لا تحصى، بأن لا تظهر في شخصه بوادر هذه المعايب. فان اتفق لي ان اكونِ في امورك مهملا عن عمد، فهذا يعدّ مني حماقة لا تغتفر. وإن صدر مني بعض الحمق فهو من باب الاهمال ولا يقام وزن لنتيجته. وان خشيت اتيان عمل شككت بنجاحه وتهيبت خطره فهذا لا ينجو منه أرصن العقلاء. هذه يا مولاي، شوائب مقبولة لا يخلو منها اي ولاء. لكني ألتمس من جلالتك ان تكون اكثر صراحة حيالي، وأرجوك ان تبين لي

الخطأ الذي ترميني به، كما تراه بوضوح كي انفيه عني لانه حتما ليس صادرا عني.

ليونتي : ألم تبصر كميليو؟ لا بد من ان تكون شاهدته، وإلا لكانت نظراتك أغلظ من قرنيَّة عين الرجل المخدوع. ألم تسمع ما يقال؟ فأمام المشاهد الاخاذة لا سبيل للاشاعات ان تكون خرساء. ألم تخامرك الظنون ــ ولا تنسَ ان لا وجود للفكر في رأس غير المؤمن ــ بأن زوجتي غير وفية. ان كنت تقر بذلك، عليك ان تعترف به. وإلا، اذا كنت تنكر بوقاحة ان لك عيونا وآذانا وأفكارا، فان زوجتي فرس من خشب، وهي تستحق اسما يخلع على أحقر مستهترة تستسلم قبل عقد خطوبتها. قل هذا، وتوسع في الموضوع بلا تردد ولا وجل.

كميليو : انا لا اقبل بالمكوث هنا لأسمع ما يسوّد صفحة مولاتي المكلة، بدون ان أثأر لسمعتها فورا. لتنصب اللعنة على رأسي ان سكتّ عما تذيعه انت بحقها من كلام بذيء يشكل تكراره ذنبا أفظع من المعصية ذاتها لو صح وقوعها.

ليونتي : أوَليس مريبا ان يتحدث اثنان بصوت خافت؟ وأن يسندا خدا الى خد، وأن يلامس انف الواحد انف الآخر؟ وأن تتهافت الشفاه في قبلات مثيرة؟ وأن تختلط البسمات العريضة بالتنهدات العميقة كدليل قاطع على انهيار الفضيلة؟ وأن تلتف الرجل على الساق، وأن يختبيء مشتاقان في الزوايا وأن يتمنيا لو تسرع مسيرة الزمان. فتصبح الساعة دقيقة والظهر يمسي منتصف الليل، وأن تصاب الأنظار بالعمى، فلا يشاهد الجرم احد. واذا كان كل هذا لا وجود له، فالعالم أجمع اذاً وما فيه ليس له وجود، والسماء التي تعلوه ليس لها ايضا من وجود. وكذلك زوجتي تكون غير موجودة ان لم يكن لكل ما عددته لك الان اي اثر في الوجود.

كميليو : حسنا، يا مولاي، اطرد عنك حالا هذه الخواطر السقيمة لانها تشكل على صحتك افدح الاخطار.

ليونتي : مهما كان الحال، فهي صحيحة.

كميليو : كلا، كلا، يا مولاي.

ليونتي : بلى، هي صحيحة. وأنت تراوغ، لانك منافق، يا كميليو. ولذا انا اكرهك، لانك غبي احمق ودسَّاس بلا ضمير، لا تميز بين الخير والشر. فان كان ايمان زوجتي فاسدا كحياتها، فلن تحيا اكثر من فترة تناثر الرمل في المرملة.

كميليو : ومن ذا الذي افسدها؟

ليونتي : من يعلقها كمدالية في عنقه، هذا البوهيمي الذي... لو كان حولي خدّام أوفياء تسهر عيونهم على سعادتي كما يهتمون بمكاسبهم ومصالحهم الخاصة، لما وصلت بنا الامور الى هنا. أجل، انت الذي تسقيها وتسكرها، انت الذي انتشلتك من الحضيض ورفعتك الى مصاف ذوي السلطان، انت الذي تعاين بوضوح من علياء سمائك ما يجري على الارض، كما تبصر من الارض ما يتلألأ في كبد القبة الزرقاء، كم انا مستاء من تصرفك، لانك تجرع كؤوس من تنتشي من رائحة الخمرة التي أعتبرها انا إكسيرا لقلبي الجريح.

كميليو : مولاي، وإن استطعت ان افعل ما تتهمني به، فان ما اسقيه من شراب خفيف النشوة، سلس لطيف يشرح الصدر، لا كالسم القاتل مفعوله يفضح. لكني شخصياً لا أظن بأن شرف مولاتي قد تدهور الى مثل هذه الهوّة، وقد عهدنا فيها الوقار... لا سيما انا الذي اخلصت لك الود الى ابعد الحدود.

ليونتي : لا بل عليك ان لا ترفع عنه الشبهات، وأنت لست غريبا عنها. أتخالني مغفلا عديم الادراك، تزجّني هواجسي بدون داع في مستنقع هذا العذاب؟ وأن ادع اشواك الظنون تقض مضجعي وتلطخ بياض صفحتي التي حرصت دائما على حفظها نقية من كل الارجاس كي لا تلدغني الافاعي والعقارب، ولا تلوث أقذار الفضيحة دم ولدي الامير الذي أعتقد بأنه من صلبي وأحبه اكثر من نفسي. لولا البراهين القاطعة التي ألمسها، أتظنني أشغل بالي بافتراضات تافهة وأشتت افكاري بترهات لا طائل تحتها؟

كميليو : عليّ ان أصدقك، يا مولاي. لذا سأسعى بكل طاقتي لازالة ملك بوهيميا من الوجود، بشرط ان تشمل الملكة حالا بعد غيابه، بعين رعايتك وعطفك كالسابق، لا لحجة سوى كمّ الافواه عن نهش صيت ولدك واخراس

الألسنة الطويلة في البلاطات والمناطق المعروفة بالولاء لشخصك الكريم.
ليونتي : رأيك هذا ينطبق تماماً على ما كنت أوطّد العزم على القيام به. وأنا أنوي أن أزيل أيضاً كل غبار عن شرفها الذي كان من المفروض أن أعتزّ به ؟
كميليو : هيا، يا مولاي، أظهر لملك بوهيميا وللملكة زوجتك أصفى معالم وجهك المشرق كأنك في ابهج ايام افراحك ولياليك الملاح. انا خادمك الامين، ان لم أسقه كأس الحِمام، لا تحسبني من أتباعك المخلصين.
ليونتي : كفى. تمِّم ذلك ولك كل مودتي وعرفاني بجميلك، وإلا حكمت على نفسك بالخزي والنفي.
كميليو : انا أتعهد لك بتنفيذ رغبتك حرفيا، يا مولاي.
ليونتي : هذا اختبار لما تحفظه لي من صداقة، وأنا واثق كل الثقة بأمانتك وبصواب نظرتك

(يخرج).
كميليو : يا لك من ملكة شريرة! لكن في أي مأزق زججت نفسي؟ عليّ ان اقضي بالسم على بولكسان الكريم. ودافعي الى اقتراف هذا الاثم، هو الخضوع لمشيئة مولاي الذي يأبى لأعوانه الا الامتثال لاهوائه المستبدة. ان سيري في ركابه خير ضمان لترقيتي. فكم أتمنى ان الاقي مثلي بين الناس من باع سيده وازدهرت احواله فيما بعد. ضميري ليس مرتاحا الى هذا العمل المشين، انما هناك ليس من نحاس ولا حجر ولا ورق ليقوم دليلا على هذا الصنيع. ألا قبَّح الله الطمع، لا بد لي من مغادرة البلاط، ان تم الامر او لا، لانه في الواقع ورطة جسيمة. يا نجمة حظي آن لك ان تلمعي، فالى ملك بوهيميا اذاً.
بولكسان : امر غريب عجيب. يبدو لي ان نجم طالعي يهوي ويميل الآن الى الأفول. ألا تكلمني؟ نهارك سعيد، يا كميليو.
كميليو : السلام عليك، يا صاحب الجلالة.
بولكسان : ما وراءك من اخبار البلاط؟
كميليو : ليس من امر هام، يا مولاي.
بولكسان : ان من يشاهد الملك يظن انه فقد مقاطعة من اراضيه، عزيزة

جدا على قلبه. لقد قابلته منذ لحظة بالاجلال المعتاد. فما كان منه الا ان أشاح عني بأنظاره ازدراء، كأنه يتهرب مني ويريد ان يفهمني ان ما يجول في خاطره قد تحوّل عني.

كميليو : لا اجسر على معرفة ذلك، يا مولاي.

بولكسان : كيف لا تجسر؟ ألا تدري بما يخامره من وساوس؟ لا أظنك تجهل ما يربك تفكيره. هذا ما يستشف من اجوبتك. لاني واثق بأنك مطَّلع على خفايا الامور، ولا يسعك ان تصرح بأنك لا تجسر على البوح بسر مكتوم. عزيزي كميليو، ان تبدل ملامحك الان برهان قاطع على ما طرأ من تحوّل على امكانات جلالته، ولا أشك بأن لي في القصة نصيبا لا بأس به، ما دمت انا قد تأثرت هكذا بهذا الوضع الجديد.

كميليو : هناك شر، زرع بذور الفوضى فيما بيننا. غير اني لا اقوى على تعيين العلة، ولا بد من ان تكون قد سرت عدواها منك، مع ما تتمتع به انت من صحة وعافة.

بولكسان : كيف سرت العدوى مني؟ لا تنسب اليّ منشأ هذا التغيير. ان عيني وقعت على ألوف الاشخاص فيما مضى، ولم تنتقص مقدار ذرة من حسن حالهم، ولم تصب احدا بأي اذى. فاذا كنت، يا كميليو نظيري، على يقين بأنك رجل شهم، واذا كنت بخبرتك ورصانة سيرتك التي يتجلى بها نبلنا نظير الاسم الكريم الذي خلفه لنا أجدادنا الأماجد، أتوسّل اليك، مهما كنت تعرف القليل عما جدّ، ان تعلمني به ولا تتركني سجين جهلي الخجول لما يجري حولي.

كميليو : لا يسعني ان اجيبك يا مولاي.

بولكسان : تقول ان العلة كامنة فيّ، وان كنت انا سليما معافى. هذا يستوجب ردا. اسمع، يا كميليو، أستحلفك بكل عزيز لديك وبشرفك كإنسان لا تنقصه الشجاعة والمروءة، وأتوسل اليك ان تكشف لي عما بدر مني من اساءة، من قريب أو من بعيد، وبدون علمي، قلبت بيننا موازين المواقف التي أتمنى ان تعود الى سابق عهدها.

كميليو : سأعلمك، يا مولاي، بما انك تستحلفني بشرفي وبمن يعز عليّ

شرفها كثيرا. انما انتبه جيدا الى نصيحتي التي آمل ان تتبعها بحذافيرها وبأسرع وقت ممكن. وإلا اضطررنا، انا وأنت، الى الهتاف: « أسفا، لقد ضاع منا كل امل ». وعلى هذا اقول لك: عمتَ مساء.

بولكسان : تكلم، يا كميليو، ولا تخف.

كميليو : انا الرجل المكلف بقتلك، يا مولاي.

بولكسان : ومن الذي كلفك بذلك، يا كميليو؟

كميليو : الملك نفسه.

بولكسان : لماذا؟

كميليو : لانه يعتقد، ماذا اقول؟ بل يقسم جازما بأنه رآك او بأنه تجسس عليك، في استهتارك عندما اتصلت بالملكة وأشركتها بتهتك في مغامرة مجونك.

بولكسان : لو صح ذلك، لتمنيت ان يتحول دمي الى أقذر ماء آسن، وأن يقترن اسمي بوصمة مَن خان العادل الديّان، وأن تصبح سمعتي العاطرة أكثر نتانة من جيفة يهرب الجميع من نتانتها الكريهة حيثما توجهت وأينما حلت. فيتجنبني الناس كالأجرب ويرذلونني كالشيطان الرجيم على مدى العصور حسبما تقتضيه تقاليد التاريخ.

كميليو : مهما اقسمت له من ايمان مغلظة على عكس ما هو مقتنع به كواقع اكيد، واستشهدت بجميع كواكب السماء ونيِّراتها، يظل خضوع البحر لناموس جاذبية القمر أسهل من زعزعة ايمانه بما يخامره في اخلاصك من شكوك جنونية مهينة قد تغلغلت الى أعماق صدره ولا سبيل الى انتزاعه ما دامت في عروقه نبضة من حياة.

بولكسان : وكيف ارتسمت في ذهنه هذه الفكرة المشؤومة؟

كميليو : لست ادري. انما ما أؤكده لك هو ان احتراسك منه أسلم من فهم كيفية ولادة هذا الريب في قلبه. فان كنت لا تخشى الثقة بنزاهتي المدفونة الى الأبد في هذا الصندوق (يدق كميليو على صدره) طاوعني على الذهاب معي هذه الليلة بالذات. سأعلم رجالك بالامر كي يتسللوا كل اثنين او ثلاثة على حدة، وينسجوا بطرق مختلفة، وأنا اخرجهم من المدينة. أما

من جهتي فاني اضع تحت تصرفك جميع امكاناتي وثروتي التي قد أضعتها هنا بما افضيت به اليك من سري. فلا يخامرنك اي شك من نحوي، لاني قسما بشرف اجدادي، مّا بحت لك بسوى الحقيقة الاكيدة. واذا اردت برهانا على صدق اقوالي، لن اتأخر عن ابرازها لك. وهكذا لن تكون هنا في مأمن اكثر من محكوم عليه بالاعدام، اقسم الملك على تنفيذه فيه مهما كلف الامر.

بولكسان : اني أصدّق كلامك. فقد رأيت على محياه ما يختلج في صدره. أعطني يدك وكن دليلي فيصبح مكانك دوما الى جانبي. ان سفينتي جاهزة، ورجالي ينتظرون رحيلي منذ يومين. اما هذا الحسد فبطلته سيدة نبيلة الاخلاق، نادرة الوجود كجوهرة غالية الثمن. وكلما تفاقمت الغيرة، كلما باتت أعنف بطشا. وبما انه يظن ان شرفه قد دنسه رجل يعتبره من اوفى اصدقائه سيكون انتقامه أشرس من المودة التي كان من المفروض ان يبادله اياها. انا اخشى ظل وجوده هنا. فهلا حالفنا الحظ في الهرب من هذا المكان بسلامة وأمان، على ان نظل مخلصين للملكة النبيلة التي لا تزال في متناول يده ولا تستحق ما يحاك حولها من دسائس ومكائد دنيئة. تعال، يا كميليو. سأحترمك كوالدي ان انقذتني من هذه الورطة. هيا الى الهرب.

كميليو : نظرا الى ما أتمتع به من سلطة، فان يدي تصل الى مفاتيح جميع المخارج، فاغتنم، يا صاحب السمو، هذه الفرصة وعجّل في الذهاب. هيا يا مولاي نسلك طريق الهرب.

الفصل الثاني

المشهد الاول
دائما في القصر

(تدخل هرميون وهي تقود ماميليوس وتتبعها سيدات من حاشيتها)

هرميون : خذي الصبي معك. لأنه يتعبني الى أبعد حدود الاحتمال.

السيدة الاولى (تمد يدها الى ماميليوس : هيا، يا مولاي الصغير، ألا تريد ان أشاركك في ألعابك؟

ماميليوس : كلا. انا لا أحبك.

السيدة الاولى : لماذا يا مولاي اللطيف؟

ماميليوس : لانك تقبلينني بحنو زائد، وتكلمينني كأني لا ازال طفلا صغيرا. (لسيدة غيرها) انت أحبك اكثر منها.

السيدة الثانية : وما الداعي ايها الامير الكريم؟

ماميليوس : ليس لان حاجبيك أشد سوادا، مع ان الحاجبين السوداوين يليقان جدا ببعض النساء شرط ان لا يكونا كثيفين وأن يرتسما كقوسين فوق العينين كأنهما هلالان خطتهما ريشة بارعة.

السيدة الثانية : من علمك هذا؟

ماميليوس : وجه النساء. (للسيدة الاولى) قولي لي، ما هو لون رموش عينيك؟

السيدة الاولى : ازرق يا مولاي.
ماميليوس : هل تسخرين مني؟ لقد رأيت انف سيدة ازرق، لكني لم ابصر ابدا رموشا بهذا اللون الازرق.
السيدة الثانية : اسمع، يا مولاي. ان امك الملكة، يكبر بطنها بسرعة، ونحن على وشك ان نقدم خدماتنا لامير جميل جديد في يوم قريب، وسيسرك ان تلعب معنا، ان اردنا اشراكك بتسلياتنا.
السيدة الاولى : من عهد قريب اخذ بطن والدتك يتضخم بروعة. فنتمنى ان يسعدها الحظ بمولود حلو لطيف مثلك.
هرميون : علامَ يدور حديثكم؟ (لماميليوس) تعال ايها الامير الصغير، انا الان متفرغة لك. ارجوك ان تجلس بجانبنا، وأن تقص علينا حكاية.
ماميليوس : كيف تفضِّلنها، حزينة ام مرحة؟
هرميون : نريدها مرحة للغاية.
ماميليوس : ان الحكاية الحزينة أنسب بكثير لأيام الشتاء. وأنا اعرف واحدة تتحدث عن عائدين من القبور وعن شياطين صغار.
هرميون : قص علينا هذه الحكاية، ايها الامير. تعال اجلس هنا. هيا افزعنا بالعائدين من القبور، لانك تجيد هذا النوع من الحكايات.
ماميليوس : كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان، رجل...
هرميون : هيا تعال اجلس بقربنا. والآن أكمل.
ماميليوس : يقيم في مدفن. سأرويها لكنَّ بتأنّ، لاني لا أود ان تسمعني الصراصير.
هرميون : اقترب اذاً، واهمسها في أذني.

(يدخل ليونتي وانتيغون وبعض الوجهاء ثم الحرس)

ليونتي : لقد صادفناه هنا، هو وحاشيته ومعه كميليو.
الوجيه الاول : شاهدته وراء اشجار الصنوبر. ولم أبصر اناسا يكنسون الطريق بمثل هذه السرعة. فتبعتهم بأنظاري حتى وصلوا الى سفنهم.
ليونتي : كم كنت مصيبا في تقديراتي وفي ظنوني، يا للاسف! وكم وددت ان لا ارى ما عانيت! وكم ألعن ذاتي لان نبوءاتي تحققت. قد يوجد عنكبوت

في قعر الكأس، وربما تمكن المرء من الشرب ومن ابعاد شفتيه بدون ان يلتقط أي مقدار من السم، لان خياله غير مضطرب. أما أن يقع نظره على هذه المادة القاتلة، وأن يدري بما شرب، فعليه ان يبصق حالا كل ما في جوفه، إن تطلّب ذلك منه أعنف الجهود. فأنا قد شربت، رغم اني ابصرت العنكبوت، وكميليو كان العميل الوسيط. هناك مؤامرة على حياتي وعلى تاجي. وكل حذري كان في محله. تباً لهؤلاء الخبثاء الذين اردت استخدامهم فاستخدموني. لقد شاء ان يبوح بمقاصدي، وأنا ظللت اتألم، أجل، كمجرد درع يتسلى اللؤماء به على هواهم. كيف فتحت المخارج بمثل هذه السهولة؟

الوجيه الاول : بفضل سلطانه الواسع الذي مارسه غالبا بناء على اوامرك.

ليونتي : انا أعرف ذلك جيدا. (لهرميون) اعطني الولد. اراني مسرورا لأنك لم تغذّيه بلبانك. ومهما كان كثير الشبه بي، فقد منحته انت كثيرا من دمك.

هرميون : ماذا تعني بهذا القول؟ هل هو على سبيل المزاح؟

ليونتي : لا بد من ابعاد هذا الطفل من هنا كي لا يدنو منك بعد اليوم. أقصوه عنها، ولتتسلَّ بالذي تحمله في أحشائها لانه ثمرة بولكسان الذي نفخها هكذا.

هرميون : لا يسعني سوى رفض فكرتك. وأنا اقسم بأنك لن تصدقني، لانك تميل الى المشاكسة.

ليونتي : انظروا اليها، يا سادة، وراقبوها، ولا يغرّنكم بهاؤها فتهتفوا : « ما اجمل هذه المرأة! »، فان عدالة وجدانكم تضطركم الى اضافة هذه الكلمات: « ولكن ما أحقرها! لانها غير شريفة وغير محترمة ». يمكنكم ان تمتدحوا فقط جمالها الخارجي الذي لا انكر انه يستحق كل ثناء. انما ستهزأون بها حالا وتغمغمون متأسفين لما انتاب هذا الجمال من ذبول وما لاكته الألسن عنه من نميمة. لا، لا، انا مخطىء هي تستحق الغفران لان النميمة لا تغتاب سوى الفضيلة. أما التهكُّم والهمهمات، عندما تقولون انها جميلة، فتبدر منكم قبل ان يتسنى لكم القول انها فاضلة. اذ عليكم ان تعلموا ممن اختبرها وأنف انحرافها، بأنها زانية.

هرميون : لو نسب اليها هذه المذلة اكثر المجرمين انحطاطا لكان عندئذ

مجرما مرتين. فأنت، يا مولاي، بكلامك هذا تغالط نفسك.

ليونتي : انت التي تغالطين نفسك، يا سيدتي، عندما تعتبرين بولكسان بمقام زوجك ليونتي. انت ايتها الخليقة التي لا أريد ان أسميك بأمثالك خشية ان تسمح البربرية لذاتها بأن تحذو حذوي في وصم من هنّ في مقامك الرفيع بسمتك الوضيعة وتنزيل الفوارق بين الامير النبيل والمتسول الحقير. قلت انها زانية وبيّنت مع من، بل هي تعدت ذلك وارتكبت جرم الخيانة العظمى، وما كميليو الا شريكها في المكيدة. لانه يعرف السر الذي لا بد من ان يخجل منه لمساهمته فيه نظير المجرمة الرئيسية. هو يعلم بأنها لطخت سريرها بالعار نظير العاهرات اللواتي يخلع العوّام عليهن اقبح النعوت، أجل، لانها مستودع شذوذهن.

هرميون : لا، لا، اقسم بحياتي اني لست مستودع شذوذ احد. ستندم حتما عندما تتضح لك الحقيقة، ويتبين لك انحطاط تشهيرك بي. آه، يا مولاي السموح، دعني أصارحك بأنك لن تعوض عن ذرة مما تلحقه بي من اذلال حتى لو اعترفت بأنك اخطأت بحقي.

ليونتي : كلا، كلا، لن اتراجع عما انا مقتنع به، ولو هبطت السماء على الارض وارتفعت لجج البحر الى قمم الجبال. (يشير الى هرميون) خذوها واحبسوها. وكل من يدافع عنها سيحكم عليه بالموت كأنه شاهد زور.

هرميون : حتما هناك كوكب مشؤوم يسيطر على دنياي. فصبراً الى ان تتسم السماء بالحلم والسماحة. سادتي الكرام، انا غير مستعدة للبكاء، كما هو حال بني جنسنا نحن البشر. ففي غياب لآلىء الندى، قد تصمت شفقتكم، لكني اشعر هنا (تضع يدها على قلبها) بألم نبيل، ألم يكوي القلب بعنف ويطفئه في سبيل الدموع؟ أستحلفكم جميعا، يا سادتي، بأن لا تدينوني الا بموجب رحمة افكاركم التي تستوحونها من وجدانكم، وعلى هذا الاساس فلتتم مشيئة الملك.

ليونتي (للحرس) : ألا تسمعونني؟

هرميون : من يذهب معي؟ ألتمس من سموّك ان تسمح لنسائي ان يرافقنني. فكما نعلم جميعنا جيداً، ان وضعيتي الخاصة تقتضي ذلك (لنسائها) لا تبكين،

يا مهووسات، اذ لا داعي للعويل والنحيب. عندما تعلمن ان ملكتكن قد استحقت السجن، حينئذ اسكبن الدموع السخينة عند أقدامي. أما المحاكمة التي أتعرض اليها الان فهي آئلة الى أعظم أمجادي. وداعا، يا مولاي. كم تمنيت ان لا اراك مغموما. انما الان، لن تنجو من الهواجس والهموم. تعالي يا نسائي — فمرافقتي مسموحة لكنّ.

لينونتي : هيا، نفِّذنَ أوامري، واخرجن. (يخرج الحرس آخذين معهم هرميون والنساء).

الوجيه الاول (لليونتي) : أستحلفك بكل عزيز ان تستدعي الملكة، يا صاحب السمو.

انتيغون : تيقَّن مما تقدم عليه، يا مولاي، خشية ان ينقلب عدلك الى ظلم وهكذا يذهب ضحية جورك ثلاث ضحايا كبار، هم شخصك الكريم بالذات والملكة زوجتك، وابنك ولي عهدك.

الوجيه الاول : من جهتها هي، يا مولاي، اجرؤ على التأكيد، ان قبلتَ بوجهة نظري، ان الملكة طاهرة نقية امام السماء وأمامك من كل عار تتهمها به.

انتيغون : واذا ثبت انها غير بريئة، فاني أنوي أن أجعل من مقرّها، إن كانت زوجتي، اسطبلا للدواب، وأن لا امشي الا مربوطا الى جانبها، ولن اثق بها الا عندما اشعر بها وأراها بقربي، اذ لن يبقى حينئذ ظفر امرأة بل ذرة من جسد ابنة حواء لا يكون مجبولا بالغش والخداع، اذا كانت الملكة فعلا تستحق اللوم.

ليونتي : اصمتا كلاكما.

الوجيه الاول : مولاي الكريم.

انتيغون : نحن نتكلم لصالحك لا لصالحنا. انت ضحية منافق متآمر لا بد من معاقبته. أود من كل قلبي ان اعرف من هو هذا اللئيم، فأتولى محاسبته هنا في هذا المكان. ان كانت هي مستهترة في المحافظة على عفتها — انا لي ثلاث بنات، البكر منهن عمرها احدى عشرة سنة، والثانية تسعة، والثالثة تناهز الخامسة — أكرر عليك، ان كانت حقا مذنبة، فاني سأعاقب بناتي ايضا. أقسم بشرفي بأني سأشوّه وجوههن جميعا ولن يبلغن ربيعهن

الرابع عشر لكي يلدن جيلا من اللقطاء. هن وريثاتي، وأنا لن ارضى ابدا الا ان يخلّفن ذريّة شرعية صالحة ترفع الرأس عاليا.

ليونتي : كفى. لا أريد سماع كلمة اخرى. انك تشم هذه القضية بأنف مزكوم يشبه حاسة الاموات. (يمسك بيد انتيغون) اما انا فأراها وأشعر بها كما تحس بقبضتي وكما تبصر يدي التي تمسك بك.

انتيغون : ان كان الامر حقا كذلك، فلا حاجة بنا الى قبر لدفن شرفنا. ولن يبقى بنفسجة خير تعطر وجه هذه الارض المكسوة بالاقذار.

ليونتي : ماذا اسمع؟ هل حجبت عني ثقتك؟

الوجيه الأول : أفضِّل أن تحتجب الثقة عني لا عنك، يا مولاي، في هذا المجال لاني انظر بسرور الى تبرير شرفها وتكذيب ظنونك مهما تعرضت سيادتك للملامة.

ليونتي : ماذا يدعوك الى مناقشة هذا الموضوع؟ لماذا لا تتبع بالحري اتجاه مشاعرنا التي قلّ ان تخطىء. ان مبادرتي لا تحتاج الى نصائحك، وان كاشفتك بالامر، فذلك عائد الى طيبة قلبي واستئناسي برأيك. فان تغلبت عليك الغباوة طوعا او قسرا فلم تعد ترى او تقدّر نظيري هذه الحقيقة المرة. اعلم جيدا اني عند ذاك استغني عن مشورتك. ففي هذه القضية، سواء في كسبها او خسارتها، الرأي الاخير والقرار النهائي متعلق بي شخصيا.

انتيغون : ان ما أرغبه يا مليكي، هو ان يجري التحقيق في هذه القضية بصمت لا علانية.

ليونتي : وكيف يمكن ذلك؟ هل أصابك العجز قبل الاوان، ام اصبحت مغفلا؟ ان هرب كميليو قد زاد الطين بلة، ودل على العلاقة الحميمة التي تربط بينهما. وهذا امسى بديهيا لا يحتاج الى برهان لانه ظاهر للعيان تفضحه الظروف من كل صوب والهمهمات من جميع الافواه. ولذلك عجَّلت بالبت في ملاحقتها. على كل حال، لزيادة التأكيد، لان مسألة كهذه تضر بها العجلة، أرسلت الى معبد أبولون في المدينة المقدسة « دلف »، كليومان وديون اللذين تعرف انت مقدرتهما. وهكذا تكون استشارة الالهة دعما للقرار النهائي، فإما ان أتريث وإما ان أنفذ الحكم. أوَليس هذا هو الحل الأفضل؟

الوجيه الأول : حسناً فعلت، يا مولاي.
ليونتي : مهما كنت مقتنعا، ولا أبحث عن مزيد من الادلة، أعتبر الاستشارة أريح لأذهان أمثالك الذين، لغباوتهم وجهلهم، لا يريدون ان يصدقوا الحقيقة المجردة. وعلى هذا الاساس، رأيت الأنسب ان أحجزها بعيدا عن نظرتي المتحررة، خوفا من أن يؤدي بها هرب الخونة الى تعلم درس اخير منهم. تعال اتبعني. فسأذهب الى جمهور الشعب، لان هذه القضية قد تؤدي الى هلاكنا جميعا.
انتيغون (على حدة) : أجل، من الضحك، ان ثبت افتراضي، وبانت الحقيقة على جليتها.

(يخرج الجميع).

المشهد الثاني

في مدخل السجن

(تدخل بولين وحاشيتها)

بولين : أين مدير السجن. ارجو ان تستدعوه وتعلموه من انا (يخرج واحد من جماعتها) ايتها الملكة، ليس في كل اوروبا من محكمة صالحة للنظر في قضيتك. ماذا تفعلين هنا في السجن؟

(يدخل مدير السجن، وامامه حاجب)

(للمدير) سيدي العزيز، انت تعرف من انا، أليس كذلك؟
المدير : انت سيدة نبيلة أقدرها حق قدرها.
بولين : في هذه الحالة، ارجوك ان تقودني الى الملكة.
المدير : لا استطيع، يا سيدتي، فهذا محرم عليّ بموجب امر خاص مشدد.

بولين : وما الداعي الى منع دخول الشرفاء الافاضل للزيارة. هل مسموح ان ارى اية واحدة من نسائها؟ اميليا مثلا؟

المدير : من فضلك، يا سيدتي، اسحبي جماعتك من هنا، وأنا مستعد لان أستقدم لك اميليا.

بولين : ارجوك ان تناديها (لجماعتها) انسحبوا انتم.

(يخرجون)

المدير : فضلا عن ذلك، يا سيدتي، عليّ ان احضر المقابلة.

بولين : حسنا. ارجوك ان تعجِّل. (يخرج المدير) ما أصعب فرض الشبهة على من لا تلطخها اية شائبة.

(يدخل المدير وتصحبه اميليا)

(لإميليا) سيدتي العزيزة، كيف حال جلالة الملكة؟

اميليا : على أحسن ما يسمح بالجمع بين العظمة والمذلَّة. فبسبب هلعها وآلامها، اذ لم تشعر أبداً امرأة مثلها بأشنع مما تتحمّله، طرأ عليها المخاض فجأة فولدت قبل الأوان.

بولين : صبيا؟

اميليا : بل بنتا، آية في الروعة والصحة، جاءت تعزية كبيرة لوالدتها الملكة حتى انها خاطبتها قائلة: « ايتها السجينة المسكينة، ثقي بأني بريئة نظيرك ».

بولين : لا أتردد في الحلفان تأكيدا لذلك. فلتحلّ اللعنة على « هلَّة » الملك الخطرة المشؤومة. لا بد من مجابهة هذا الاستبداد، فهذا واجب يؤول بنوع خاص الى امرأة، وأنا سأتولج مواجهته. فاذا كانت حلاوة العسل على شفتيّ او كان لساني لهيبا محرقا ينفث نار غضبي، ارجوك يا اميليا ان تقدمي للملكة اخلص وفائي وخدماتي، وان كانت لا تخشى من ان تأتمنني على رضيعتها فاني مستعدة ان اقدمها للملك وأن أدافع عنها بكل شجاعة. لست ادري مدى تأثير منظر الطفلة على جلالته. فغالبا ما يقنع صمت البراءة كأقوى حجة وينجح حيث يبوء بالفشل أفصح الكلام.

اميليا : سيدتي المحترمة، ان ولاءك وطيب عنصرك ظاهران للعيان، وكرم اخلاقك لا يسعه الا ان يفوز بالنهاية السعيدة، ولا احد غيرك جدير بهذه

المهمة الخطيرة. فأرجو من سموك ان تذهبي الى الحجرة المجاورة. سأعلم الملكة فورا باقتراحك النبيل. فهي في هذا النهار بالذات فكرت في الامر. انما لم تجرؤ على طلب الوساطة الخطيرة من احد، خوفا من ان يكون نصيبها الرفض والفشل.

بولين : قولي لها، يا اميليا، ان طلاقة لساني اذا آزرتها البلاغة وساندتها البسالة كفيلة بأن تحرز الفوز وتبلغ الغاية المنشودة في خلاصها.

اميليا : لتحلّ عليك جميع البركات. انا ذاهبة الى الملكة، فتفضّلي بدخول اقرب غرفة الى هذا المكان.

المدير (لبولين) : اذا شاءت المكلة ان ترسل اليك الطفلة، يا سيدتي، لست ادري لأي خطر أتعرض اذا انا اذنت لك بأخذها.

بولين : لا بأس عليك، يا سيدي. فالطفلة كانت سجينة في أحشاء والدتها، وناموس الطبيعة وحده سمح لها بالخلاص والانعتاق. ولا مجال لغضب الملك ان يتطاول عليها. فهي غير مذنبة، ولو كان هناك من ذنب يقع على امها.

المدير : انا مؤمن بذلك مثلك.

بولين : لا تخف اذاً. أقسم لك بشرفي بأني سأحول دون تعرضك لأي شر او ضرر.

(يخرج الجميع).

المشهد الثالث

في صقلية ــ في قاعة العرش، وفي صدرها باب مفتوح تظهر من خلاله غرفة

(يدخل ليونتي، يتبعه انتيغون ووجهاء وحجاب
وحرس يصطفُّون في صدر المسرح)

ليونتي (وحده عند باب الغرفة) : لا راحة في النهار ولا في الليل. ومن الضعف ان يرزح المرء تحت وقر الشقاء على هذه الصورة، بل يزداد الضعف حين يكون هناك امل لحل المسألة بشكل او بآخر. فأنا امسك على الاقل بأطراف القضية التي تدور عليها قصة هذه الزانية. اما الملك المتهتك فلا ذنب عليه ولا تتطاول عليه يدي ولا نقمتي، لانه يتنصل من المؤامرة الدنيئة. غير اني استطيع ان أوقعه في الفخ. فعندما تختفي هذه المرأة عن المسرح بعد اهلاكها، يتسنّى لي أن أنعم بنصف الراحة، وسأبذل كل جهدي للحصول على النصف الآخر من راحتي مهما كلف الامر. لكن، من الآتي الى هنا يا ترى؟

الحاجب الاول (يتقدم) : مولاي.

ليونتي : كيف حال الصبي؟

الحاجب الاول : لقد نام هذه الليلة بهدوء، ولامل كبير بأن يكون قد شفي من مرضه.

ليونتي : نظرا الى اصله النبيل، وحالما علم بعار امه، اخذت صحته تنهار وتتدهور بسرعة. لانه لم يطق تحمُّل هذه المذلة، ففقد نشاطه وشهيّته للأكل، وجفاه النوم فسقط من الاعياء. اتركني وحدي واذهب لترى كيف هو الآن. (يخرج الحاجب) تباً له من رجل فاسق. ان رغبتي في الانتقام منه ترتد عليّ لانه شديد البأس، قوي جدا بشخصيته وبأنصاره وبمحالفاته. فليعش حتى يحين الوقت المناسب لإزالته والتخلص منه، اذ لا سبيل الان للانتقام

فورا. فلتنصبّ نقمتي عليها وحدها في الحاضر. ان كميليو وبولكسان يهزآن بي في هذه الساعة ويتشفّيان بإيلامي. ولو كنت قادرا على النيل منهما لما ضحكا ابدا، كما انها هي لن يتسنى لها ان تضحك لانها في قبضتي. (يجلس على العرش ويبدو مفكرا).

(تظهر في مدخل القاعة بولين حاملة طفلة)

الوجيه الاول (يتجه نحو الباب) : من الافضل ان لا تدخلي.

بولين : ارجوكم ان تساعدوني، يا سادتي الكرام. ان غضبه المستبد يقلقكم، واأسفاه، اكثر من حياة الملكة البريئة الكبيرة النفس الطاهرة الذيل، وأكثر مما هو غيور حسود.

انتيغون (لبولين زوجته) : كفى، كفى.

الحاجب الثاني : الملك لم ينم هذه الليلة، وقد اصدر امرا بأن لا يتصل به احد.

بولين : لماذا كل هذا الحرص، يا سادة؟ انا آتية لأجلب له الطمأنينة والرقاد. ان اشخاصا مثلكم يحومون حوله كالاشباح ويشهقون لدى كل تنهدة مصطنعة تخرج من صدره، هم انفسهم الذين يسببون له السهاد والارق. انا آتية لأسمعه كلاما صريحا شريفا شافيا.

ليونتي (يلتفت) : ماذا يجري هنا؟ ما هذا الضجيج؟

بولين (تتقدم نحو الملك) : هذه ليست ضجة، يا مولاي، بل حديث ضروري عن موضوع يعذب ضمير جلالتك.

ليونتي : ماذا تعنين؟ ابعدوا عني هذه المشاغبة. يا انتيغون، ألم أكلفك بأن لا تدع احدا يأتي اليّ؟ كنت عالما بأنها ستتغلب عليكم.

انتيغون : لقد منعتها، يا مولاي، وهددتها بغضبكم واستيائي، وحذّرتها من المثول امامكم.

ليونتي : ما هذا؟ أوَليس لك من سلطة عليها؟

بولين (للملك) : أجل، له سلطة كي يمنعني من عمل الشر. لكن هنا، الا اذا لجأ الى عين الوسائل والاساليب التي تستخدمها، وأسلمني الى السجّان جزاء ما افعله من خير، فكن مطمئنا انه لن يكون له عليّ اي سلطان.

انتيغون : أسمعتها؟ عندما تعض على الشكيمة لا يسعني ان امنعها عن الجري، وهي لا تبالي بأحد.

بولين (للملك) : ايها الملك الكريم، أتوسل اليك ان تعيرني أذنا صاغية، لاني آتي اليك كخادمة وفية، بل كطبيب شافٍ وكناصح متواضع ينوي ان يريحك من عذاب ضميرك، ولا يبغي ان يتشامخ مفتخرا بتفانيه في سبيلك نظير هؤلاء المتظاهرين امامك بالولاء، اقول لك اني آتية من قبل زوجتك الملكة الفاضلة.

ليونتي : الملكة الفاضلة!

بولين : أجل، الملكة الفاضلة، يا مولاي، أكرر قولي: الملكة الفاضلة. وأنا مصممة على اثبات فضيلتها لك، وسلاحي في يدي، ولو لم اكن رجلا، وأنا بطبيعة الحال أضعف منك بنية.

ليونتي : اطردوها فورا من هنا.

بولين : من اراد ان يفقد عينيه بأبخث ثمن فليتقدم ويلمسني. سأخرج حين اشاء، لكن ليس قبل أن أنجز مهمتي (للملك) أقول الملكة الفاضلة، لأنها حقا فاضلة، أنجبت لك ابنة، ها هي، لتحميها بحنان شهامتك ومروءتك.

(تضع الطفلة عند قدمي الملك)

ليونتي : ابعدوها. سحقاً لها من ساحرة مسترجلة. اخرجوها من هنا، واغلقوا الباب وراءها. تباً لها من عاهرة لا تستحي.

ليونتي (للوجهاء) : أيها الخونة، ألا تريدون أن ترموها خارجاً ؟ ردّوا اليها هذه اللقيطة. (لأنتيغون) وأنت ايها الجبان الخسيس الذي تسيطر عليك غانية مستهترة بدلا من سيدة محترمة، خذ هذه اللقيطة من امامي. خذها، اقول لك، وردّها الى هذه الفاجرة الوقحة. (يتقدم انتيغون نحو الطفلة).

بولين (لأنتيغون زوجها) : لتشلّ يدك، ان لمست هذه الاميرة، نزولا عند طلب هذا الدنيء الخالي من العاطفة والضمير. (يتراجع انتيغون).

ليونتي : هو يخاف من امرأته السفيهة.

بولين : كم أتمنى ان يكون هذا حالك ايضا، فتفتخر حينئذ بأولادك.

ليونتي : قبحاً لكم من عصابة خونة!

انتيغون : أأنا الان خائن؟ اقسم بهذا النور المقدس، اني امين وفيّ.
بولين : لا، لا انا، ولا احد من جميع الحاضرين هنا، لسنا من الخونة، بل هو وحده الخائن الغادر (تشير الى ليونتي) لان الملك وحده يستهتر بشرف السلطة المقدسة والملكة المظلومة وابنها صاحب المستقبل الباسم، وأيضا هذه الطفلة التي تحوم حولها الشبهة والنميمة، بينما هي تجاهه كسيف مرهف الحدَّين. انه لا يريد ادراك الحقيقة، وهذا شر ما في البلية. وفي هذا الحال يضطرني الى اعلان الحقيقة على رؤوس الاشهاد، لانه لا يريد اقتلاع جذور الفساد المتأصل كشجر البلوط والمتحجِّر كالصخر الأصم.
ليونتي : انظروا الى هذه الحمقاء الزلقة اللسان التي تخزل زوجها وتريد ان تحطمني انا ايضا. هذه الطفلة ليست من صلبي، فهي ابنة بولكسان. خذوها عني، وابعدوها مع والدتها، وألقوهما في النار المحرقة.
بولين : هي ابنتك، وأنا أذكرك بأن هذه الثمرة من ذاك الغصن. انظروا، يا سادة، مهما كانت ملامحها ناعمة، فهي صورة مصغرة عن ابيها: عيناها وانفها وشفتاها وحاجباها وجبينها، حتى خدّاها وابتسامتها وشكل يديها وأظفارها وأناملها، كلها تشبهه. والطبيعة التي كوّنت هذه الطفلة جعلتها طبق الاصل عنك انت والدها. فان قصدت ان لا تزهق روح الانسانية في صدرها فلا تدعها تستمد من حقدك حقارة الضغينة والدناءة، خشية ان تظن مثلك في مستقبل الايام ان اولادها ليسوا من زوجها.
ليونتي : يا لك من خبيثة ماكرة (لأنتيغون) انت تستحق الموت شنقا، ايها الغبي، لانك لا تقوى على قطع هذا اللسان السليط.
انتيغون : عليك ان تأمر بشنق كل الازواج الذين لا يستطيعون القيام بهذا الاعتداء، فلا يبقى احد من رعاياك.
ليونتي (للوجهاء) : مرة اخرى، اقول لكم، خذوا هذه السافلة من امامي.
بولين : ان أحط زوج فيهم لن يتصرف نظيرك انت.
ليونتي : سآمر باحراقك.
بولين : هذا لا يخيفني. فالكافر الزنديق هو من يوقد النار لا من يحترق فيها. انا لا أريد ان ادعوك طاغية. لكن معاملتك للملكة زوجتك بهذه الشراسة،

وبدون ان تتمكن انت من ابراز أي دليل حسي لإثبات اتهاماتك سوى أهوائك التي لا تستند الى اي اساس، هي عين الهمجية، وهي كافية لتجعل منك أحط صعلوك في أشنع فضيحة عرفها العالم حتى الان.

ليونتي (للوجهاء) : باسم ما يتحتم عليكم نحوي من الخضوع، أستحلفكم ان ترموها خارج هذه القاعة. فلو كنت حقا مستبدا، ترى أي ويل كنت انزلت بها؟ وهل كانت تجاسرت على نعتي بالطغيان لو كنت فعلا أمارسه. خذوها، هيا خذوها.

(يقترب منها رجال الحاشية)

بولين : ارجوكم ان لا تلمسوني. فأنا اخرج من تلقاء ذاتي. إسهر على طفلتك، يا مولاي. فهي حقا ابنتك. وآمل ان تمنّ عليها السماء بحارس أرحم منك. (للوجهاء) لماذا كل هذا الامتعاض مني؟ انتم الذين تشفقون على هوسه، لن يجد فيكم ابدا خدّام أمناء. حسنا، حسنا. الودع، أنا ذاهبة.

(تخرج)

ليونتي (لأنتيغون) : انت خائن، دفعت هذه المرأة للمجيء الى هنا. ابعدوا هذه الطفلة عن نظري. (لانتيغون) انت الذي تشفق عليها خذها من هنا حالا واجعلها طعمة للنار. انت وحدك مسؤول عنها. خذها سريعا، وقبل مرور ساعة من الزمن، عليك ان تبشرني بأن الامر قد قضي، وأن تثبت لي ذلك بشهادة ناظر عيان، وإلا خطفت روحك مع كل ما تملك. واذا رفضت وعارضت مشيئتي، صارحني كي أهشم رأس هذه اللقيطة بيدي وأسحق دماغها بقدمي. خذها حالا الى النار، فأنت الذي حركت زوجتكَ وأثرتها عليّ.

انتيغون : هذا خطأ، يا مولاي. ان رفاقي النبلاء، ان ارادوا، امكنهم ان يبرروا تصرفي.

الوجيه الاول : أجل، نحن نستطيع، ايها الملك المعظم، فهو ليس مسؤولا عن تصرفات امرأته.

ليونتي : انتم جميعكم منافقون جبناء.

الوجيه الاول : ألتمس من سموك ان تمنحنا الامان. نحن خدمناك دوما

بولاء، فنسأل سموّك أن لا تظلمنا. ها نحن نجثو أمامك متوسّلين، ملتمسين أن لا تحرمنا جزاء أمانتنا الماضية والمستقبلة، وأن تبدّل قرارك الدموي المريع حتى لا تنهال علينا الكوارث. ها نحن نجثو أمام جلالتك بكل خضوع.

(يركع رجال الحاشية).

ليونتي : اراني كريشة في مهب الرياح. هل تحتم عليّ ان أبصر هذه اللقيطة تركع امامي وتدعوني والدها؟ ان احراقها افضل الف مرة من صب اللعنات عليها. تريدون ان أدعها تحيا، فليكن ما تشاؤون. لكن، كلا ثم كلا، لن تعيش. (لأنتيغون) اقترب يا صاح. انت توسلت بإلحاح الى القابلة القانونية مركتون لتنقذ حياة هذه اللقيطة، التي ليست سوى ابنة الخيانة والعار، بدون اي شك كما ان هذه اللحية قد وخطها الشيب. فبماذا تريد ان تغامر الان لانقاذ حياة هذه الطفلة؟

انتيغون : اقوم بكل التضحيات الممكنة، يا مولاي، نظرا الى نبل محتدي ونفوذ مقامي الرفيع لديك. انا مستعد لان اجود بالدم القليل المتبقي في عروقي كي أنقذ هذه البريئة، ولن أدخر وسعا في هذا السبيل.

ليونتي : ان ما اطلبه منك ممكن جدا. فاقسم لي بهذا السيف، انك ستنفذ رغبتي.

انتيغون : اقسم لك، يا مولاي.

ليونتي : اسمع واطع. لان اصغر هفوة او اهمال سيجر الموت ليس فقط عليك بل ايضا على زوجتك الوقحة التي أسامحها هذه المرة. انا اكرمك نظرا الى ما ابديته نحوي دائما من الولاء والاخلاص، وأطلب منك ان تأخذ هذه اللقيطة وتنقلها الى أي شاطىء بعيد خارج مملكتي، وأن تتركها هناك بدون شفقة، تحت رحمة الانواء. فكما جاءتني في ظروف غامضة، أريد حتما تحت طائلة الاقتصاص منك في حال مخالفتك اوامري، ان تتركها في مكان مجهول حيث يحكم نصيبها عليها بالحياة او بالموت. المهم ان تأخذوها من امامي.

انتيغون : أقسم لك بأن أنفذ ارادتك، مع ان هلاكها حالا هو الحل الارحم. تعالي ايتها الطفلة المسكينة. أتوسل الى الارواح الخيِّرة ان ترسل لك الصقور

والغربان لإرضاعك وتربيتك. يقال ان الذئاب والدببة، رغم شراستها تحن وتعطف أحياناً. أرجوك، يا مولاي، أن ترقّ لحال هذه الطفلة التي لا تستحق منك هذا الظلم. وأنت، فلتحرسك بركة السماء وتحميك من كل سوء ووحشية، ايتها البريئة المحكوم عليك بالموت

(يخرج وهو يحمل الطفلة).

ليونتي : كلا، لن اربي طفلة غيري.

الحاجب الثاني : العفو يا صاحب السمو. هناك رسولان آتيان بأنباء استشارة الآلهة، وصلا منذ ساعة، وهما كليومان وديون القادمان من « دلف » وقد غادرا السفينة وأسرعا الى البلاط.

الوجيه الاول : ان استعجالهما، يا مولاي، قد تعدّى ما كنا نترقبه منهما.

ليونتي : لقد مضى على غيابهما ثلاثة وعشرون يوما وهذه سرعة نادرة حقا. يقال ان الإله الاعظم أبولون شاء ان تبرز الحقيقة بسرعة فائقة. فاستعدّ، يا مولاي، واستدع المجلس لتعرض عليه قضية زوجتك المذنبة. ولأن اتهامها كان علينا يجب ان تتم محاكمتها كذلك بصورة علنية وعادلة. فما دامت على قيد الحياة، سيظل كابوس ثقيل جاثما على صدري. اتركوني الان وحدي، ونفذوا اوامري بكل دقة.

(يخرج الجميع)

الفصل الثالث

المشهد الاول

على الطريق ـــ امام نزل الغرباء

(يصل كيلومان وديون)

كيلومان : الطقس جميل والهواء عليل والجزيرة خصبة والمعبد رائع رغم كل ما يصفونه به من نعوت هزيلة.

ديون : ان ما لفت نظري بنوع خاص تلك الملابس الفخمة التي لا يسعني ان أصفها بغير ما ذكرت، وكذلك جو الوقار والرهبة المخيم عليه. أما الذبيحة فكانت جليلة للغاية تفوق مراسها، عند التقدمة، طاقة معظم البشر.

كيلومان : والاروع كان دويّ الرعد والصوت الجهوري الذي اعلن المشورة كأنه صاعقة ألقى بها الإله المشتري، فشلّت جميع حواسي، وكدت اهلك فزعا.

ديون : ان افضى سفرك الى انقاذ حياة الملكة، والى ما فيه الخير لنا ايضا، كما تشاء السماء على ما يبدو لي، فلن نكون أضعنا وقتنا سدى.

كيلومان : نسأل الإله أبولون تدبير الامور على احسن ما يرام. ان اتهام هرميون بهذه الطريقة العلنية لا يعجبني كثيرا.

ديون : وهذا العنف قد عجّل النهاية سواء كانت يمنا او شؤما. اما المشورة

كما ارتآها الكاهن الاكبر ابولون فقد فضحت السر بما اوحت به من حكم لا أعدل منه. هنا استبدل الجياد، وتعال نتابع طريقنا آملين ان تكون الخاتمة خيرا.

المشهد الثاني
في صقلية ـــ يوم المحاكمة

(ليونتي والوجهاء وهيئة المحكمة جالسون في امكنتهم الخاصة)

ليونتي : اعلن بكل اسف ان هذه المحاكمة طعنة نجلاء في صميم فؤادي. فالمتهمة ابنة ملك، وهي زوجتي الحبيبة. فلا يلومنّي احد ويصف تصرفي بالطغيان، بما ان المحاكمة تتم علنا فالعدل سيأخذ مجراه حتى اصدار الحكم بالعقاب او بالبراءة. اجلبوا المتهمة.

احد القضاة : شاء سموه ان تمثل الملكة شخصيا امام محكمتكم الموقرة. فأرجو السكوت والاصغاء.

(تدخل هرميون يحيط بها الحرس، وترافقها بولين ونساؤها)

ليونتي : ليتلى نص الاتهام.

كاتب الوقائع (يقرأ) : هرميون زوجة صاحب الجلالة ليونتي ملك صقلية المعظم، الماثلة ها هنا متهمة بالخيانة العظمى، بارتكابها جناية الزنى مع بولكسان ملك بوهيميا، ومتآمرة مع كميليو على قتل زوجك ومولاك الملك. وقد كشفت بعض الظروف والملابسات خطتك الدنيئة، يا هرميون، خلافا لما يجب عليك ان تبديه من حب ووفاء كاحدى رعايا الملك المبجل الذي يتحتم عليك ان تديني له بالولاء والاخلاص عوضا عن تسهيل مهمة المتآمرين عليه ومساعدتهم على الهرب ليلا.

هرميون : بما ان ليس لدي ما أرد به سوى نفي التهمة عني، وبما ان الشاهد الوحيد على براءتي هو الطفلة التي انجبتها من صلب الملك، فلا داعي لان أؤكد لكم اني غير مذنبة. ولأن أمانتي انقلبت في نظركم الى خيانة فانكم تعتبرون تصريحي هذا كاذبا. كل ما اعرفه هو ان كميليو رجل شريف. لكن لماذا غادر البلاط، هذا ما تجهله الآلهة ذاتها لانها لا تعلم اكثر مما اعلمه انا.

ليونتي : انت كنت عارفة برحيله كما كنت عالمة بما كان عليك ان تفعليه اثناء غيابه.

هرميون : انك تتكلم لغة لا افهمها، يا مولاي، ولأن حياتي تحت رحمة تخيلاتك، انا اترك امري للأقدار.

ليونتي : اعمالك هي التي تدينك. ولذا اطلب الاقتصاص منك لانك انجبت لقيطة من صلب بولكسان. وهكذا فقدت كل حياء كأية زانية في مثل حالك، وتنكرت لكل اعتبار، فأصبح انكارك شاهدا عليك يثبت جرمك. ألا اعلمي ان طفلتك قد ألقيت خارجا لتتحكم بمصيرها الاقدار، ما دام لا اب لها يتعرف عليها ويحميها، ومسؤولية حظها المشؤوم انت تتحملينها اكثر منه. فترقبي حكم العدالة الصارم الذي لن يكون سوى موتك.

هرميون : خفف تهديداتك، يا مولاي. ان العدالة التي تقصد ان تفزعني بها، انا ابحث عنها. لان الحياة لن ترأف بي بعد الآن ما دام هذا موقفك تجاهي. وهكذا اعتبر التاج والفرح والحياة والامتيازات جميعها باطلة، ولست آسفة على ضياعها من يديّ. ان ابني البكر، هو ثاني تعزية أحرَم منها في الحياة، كأني مصابة بداء البرص. اما التعزية الثالثة التي جاد بها عليّ حظي العاثر، فهي ابنتي البريئة التي أرضعتها من ثديي ولم يجف حليبي بعد على شفتيها الطاهرتين حتى ارسلتها الى الموت الزؤام. ولقد شهَّرت بي في كل مكان كعاهرة حقيرة لان حقدك الجبان حرمني مما يحق لي كوالدة مميزة نظير اية سيدة في مستواي، وها انا مطروحة في هذا المكان، معرضة لجميع الرياح الهوجاء التي تذهب بالبقية الباقية من قواي. والان قل لي، يا مولاي، ما هي السعادة التي اخشى فقدها في هذه الدنيا وتحملني على الخوف

من الموت؟ واصل ظلمك اذاً. انما اصغِ الى ما اقوله لك: لا تحاكمني. فأنا لست متشبثة بالحياة التي لم تعد تساوي عندي شروى نقير. أما نظرتي فأريد ان ابررها. ان حكم عليّ استنادا الى شكوك لا برهان يدعمها سوى حسدك وغيرتك، فأنا اعتبر ان عدالتك ليست الا ظلم واستبداد (لهيئة المحكمة) لتسمعني هيئتكم الكريمة، يا سادة، اني خاضعة لتوجيه المشورة، وليكن ابولون ديَّاني العادل.

الوجيه الاول (لهرميون) : انت محقة تماما في طلبك. ولذا، باسم ابولون نستمع الى فحوى الاستشارة (يخرج بعض أركان المحكمة).

هرميون : كان والدي امبراطور روسيا. ليته الان حي ليشهد محاكمتي انا ابنته. ليته ينظر الى هول بؤسي وشقائي بعين الشفقة و الرأفة لا بعين البغض والانتقام.

(يعود اركان المحكمة، يتبعهم كليومان وديون)

موظف (في يده ورقة) : ستُقسمان على سيف العدل هذا، بأنكما، انت كيلومان، وأنت ديون، ذهبتما الى « دلف » ومنها عدتما بهذه الاستشارة المختومة، كما استلمتماها من يد الكاهن الاكبر ابولون، وانكما منذ ذلك الحين لم تجسرا على فض الختم المقدس، وقراءة السر الذي يحتوي عليه.

كيلومان وديون : نقسم على صحة ذلك.

ليونتي : فضُّوا الآن الختم واقرأوا.

الموظف (يقرأ) : ان هرميون عفيفة وبولكسان لا لوم عليه، وكميليو من الرعايا الامناء، اما ليونتي فطاغية حسود غيور، وابنته البريئة شرعية، والملك سيحيا بدون وريث اذا لم يوجد ولي عهد المفقود.

الوجهاء : تبارك الكاهن الاكبر.

هرميون : المجد لحكمته النزيهة.

ليونتي (للموظف) : هل حقا قرأت ما هو مكتوب؟

الموظف : أجل، يا مولاي، حرفياً كل ما جاء في المستند.

ليونتي : لا صحة اذاً لما قرأت في هذه الاستشارة. فجلسة المحكمة ستنعقد لان كل ما تلفظت به خطأ فاضح محض.

(يدخل احد رجال الملك باندفاع)

الرجل : مولاي الملك!

ليونتي : ماذا جرى؟

الرجل : مولاي، ستلعنني لاعلاني لك ما يلي: ان نجلك الامير، لمجرد الوقوف على قصدك في المحاكمة، ولمجرد خوفه على مصير الملكة والدته، قد غاب.

ليونتي : كيف غاب؟

الرجل : لاقى حتفه.

ليونتي : ابولون غاضب، والسماء ذاتها عاقبتني على ظلمي. (تقع هرميون مغميا عليها) وهذه، ماذا حل بها؟

بولني : ألا ترى ان هذا النبأ قاتل بالنسبة الى الملكة؟ (لليونتي) اخفض نظرك، وعاين ما فعل الموت.

ليونتي : خذوها من هنا. ان قلبها يكاد يتوقف اختناقا. لكنها لن تعتم ان تعود الى وعيها. فأنا لا أصدق ما تختلقه من خدعات (لنساء الملكة) استحلفكن بكل عزيز ان تبذلن لها كل عناية ورعاية لرد الحياة اليها. (تحمل بولين والنساء هرميون) سامحني، يا ابولون، على انتهاكي حرمة مشيئتك. سأصالح بولكسان، وسأهب مليكتي حبا جديدا، سأستدعي كميليو الكريم الذي أعلن هنا انه رجل ثقة ووفاء ورحمة. اذ يجب ان تعلموا اني انجرفت وراء جوري وغيرتي ورغبتي في هدر الدم انتقاما. لقد اخترت كميليو وزيرا وكلفته بتسميم صديقي بولكسان، وكاد الأمر يتم لو لم يتأخر كميليو بسبب كبر نفسه وسمو اخلاقه في تنفيذ مشيئتي الدنيئة العنيفة. فباطلا حاولت تهديده بالموت وترغيبه بالوعود ان إمتثل لإرادتي، او خالفها. فهو بروح انسانيته ونزاهة ضميره الحي كشف لضيفي الملك سر مؤامرتي مستغنيا عن كل ما له هنا، كما تعلمون، من عز ومكانة عالية، وعرّض نفسه للمذلة والهلاك، يشجعه على ذلك نبله واستقامته. فكم سمت فضيلته على حقارة معصيتي، وكم سوّدت شفقته ومروءته صفحة سفالتي وتصرفي المشين.

(تدخل بولين باندفاع)

بولين : لتحل اللعنة على الظالم الخسيس. فكوا وثاقي او يقطعه قلبي الخفّاق.
الوجيه الاول : ما هذه البادرة، يا سيدتي؟
بولين (لليونتي) : ما هذا العذاب المهووس الذي أعددته لي عن سابق تصميم ايها الظالم؟ ما هذه المنصة، ما هذه المشنقة، ما هذا الأتون، ما هذا الخلقين؟ اين الرصاص المصهور، اين الزيت المغلي؟ ما هذا العذاب القديم او الجديد الذي عليّ ان أقاسيه لاجل كلمات كل واحدة منها تستحق انزال اقسى عقوباتك؟ ان طغيانك اسير حسدك وغيرتك، وأهوائك صبيانية حتى في نظر الاولاد، وسخيفة حتى في نظر بنات الاعوام التسعة. ألا فكِّر بما فعلته، ثم افقد عقلك لان كل الحزازات الماضية هي جراثيم النقمة الحاضرة. وخيانتك لبولكسان لا تعد فظاعة بجانب تقلباتك الغبية وعقوقك الذميم. لم يكن بالامر المعقول ان تحرض كميليو على قتل ملك، لان هذا يعتبر تفاهة بالنسبة الى انحطاطك الشنيع، ولا بالحدث المقبول ان ترمي بابنتك الطفلة الى الغربان، مع ان هذا العمل المخزي يعدّه الشيطان ذاته فظيعا وهو الذي يستخرج الدموع من بين اللهيب. انا لا أدينك على قتل الامير مباشرة. اذ ان فكرة الشرف أرفع من ان يدركها ذهن ولد صغير قليل الخبرة، لم يسعه ان يقبل فكرة اب شرس احمق يدين امه ويحكم عليها بالموت. لا ليست هذه الجريمة الاولى التي اعتبرك مسؤولا عنها ولا الاخيرة التي تعلنها يا مولاي، وأنت تصرخ : الويل للملكة، اروع ملكة وأفضل مخلوقة كريمة، قتلتها نقمتك الحاقدة التي لم تسقط بعد من علاها.
الوجيه الاول : ألا حمَتنا القوات السماوية من الغدر والطغيان.
بولين : اعلن انها ماتت، وأنا مستعدة لان أقسم على صحة ما تقول. واذا لم يقنعكم حلفاني وتأكيدي، اذهبوا وعاينوا. فان تمكنتم من اعادة اللون الى شفتيها والبريق الى عينيها والحرارة الى جثمانها والنفَس الى رواياها، سأخدمكم كما اخدم الآلهة. اما انت ايها الطاغية المستبد، فإياك ان تندم على ما فات، لان ذكر الماضي ثقيل كالكابوس على صدرك، وعذاب ضميرك سيقضّ مضجعك. استسلم بدون تردد الى يأسك القاتل. وعندما تجثو على ركبتيك الى الابد، عاريا صائما على رأس جبل موحش في شتاء قارس

البرد تعصف في لياليه الرياح الهوجاء لن يتسنى لك استعطاف الآلهة لترأف بك وتنشلك من براثن العذاب والهلاك المحتم.

ليونتي : هيا، لن تفي موضوع التنديد بي حقه، لاني أستحق كل ما تلفظه الافواه عني من بذيء الكلام.

الوجيه الاول (لبولين) : لا تصرحي بأكثر من هذا. مهما حدث، انت مخطئة بما تفوهت به من كلمات جريئة قاسية.

بولين : انا مستاءة، وقد ندمت على جميع ما ارتكبته من اخطاء، حالما انتبهت اليها. يا للأسف، لقد اظهرت كثيرا من الحماس بصفتي امرأة (تشير الى ليونتي) بعد ان رزىء في أعز عواطف قلبه النبيل. الامر الذي انقضى ولم يعد في الامكان التعويض عنه. يجب ان لا نرذله ولا نندم عليه. فلا تتألم بسبب تهجمي عليك. أتوسل اليك ان تعاقبني بالحري على تذكيرك بما كان عليك ان تنساه. فاغفر، يا مولاي السموح، لمهووسة مثلي. لان المحبة التي أكنها للمملكة تتعدى كل الحدود. فأنا لا ازال مهووسة، اذ يجمل بي أن لا أحدّثك بعد الآن عن زوجتك أو عن ولديك، ولا أذكرك كذلك بزوجي النبيل المفقود هو ايضا. فاعتصم بكل ما لديك من صبر وكن واثقا بأني لن أنطق بحرف واحد بعد الان.

ليونتي : لقد تكلمت انت بما يجب عندما كشفت لي الحقيقة. وأنا أتقبَّل صراحتك برحابة صدر اكثر من تزلفك. ارجوك ان تقودني الى جثتَي زوجتي وابني اللذين أود ان أدفنهما في ضريح واحد أنقش على بلاطه سبب موتهما الذي يصم جبيني بالعار الى الابد. وسأزور قبرهما مرة كل يوم، والدموع التي ازرفها ستكون اكبر تعزية لي في حزني وأساي. اقسم لك بأني سأؤدي هذا الواجب المفروض علي كلما سمحت لي به ظروفي. فأرجوك ان تقوديني الى منقع عذابي هذا الاليم.

المشهد الثالث

في بوهيميا ــ في منطقة جرداء قرب البحر

(يصل انتيغون حاملا طفلة وبصحبته بحّار)

انتيغون : هكذا انت واثق بأن السفينة اقتربت من جرود بوهيميا.

البحّار : أجل، يا مولاي، وأخشى ان نكون نزلنا الى البر في وقت غير ملائم. الجو يبدو ملبدا بالغيوم وينذر بهبوب عاصفة قريبة. ثم ان نفسي وضميري، وكذلك الآلهة، جميعها تثور على ما ننوي اقترافه من اثم، ولذلك نراها متجهمة رهيبة العبوس.

انتيغون : فلتتم مشيئة الآلهة المقدسة. عد الى السفينة، واسهر على ما يجري على متنها، وأنا لن اتأخر في اللحاق بك.

البحّار : عجِّل ما استطعت، ولا تتوغَّل بعيدا في ذلك الجوار. اذ من المرجح ان نواجه أنواء مزعجة، ولا ننسَ ان المكان يعجّ بالوحوش الضارية.

انتيغون : اذهب وأنا أتبعك حالا.

البحّار : اراني مسرورا لاني تخلصت من المشكلة.

(يخرج)

انتيغون : تعالي ايتها الطفلة البريئة. لقد سمعت بدون ان أصدق، ان ارواح الموتى تستطيع العودة الى عالمنا، فان صح ذلك، فقد تراءت لي امك الليلة الماضية، وحلمي لم يكن يوما أشبه بالحقيقة منه الان. ولقد تقدمت نحوي ذليلة مطأطأة الرأس، تميل تارة الى هذه الجهة، وطورا الى الجهة الاخرى، ولم اشاهدها ابدا قبل ذلك محطمة القلب تتجسد فيها الرقة والنعومة، وهي ترتدي ثوبا ابيض كالقديسين، ودنت من الحجرة التي كنتَ أرقد فيها، فانحنت ثلاث مرات امامي، وكأنها فتحت فاها لتنطق، انهمرت من عينيها الدموع ثم هدأ روعها، وما عتمت ان تفوهت بهذه الكلمات: « يا انتيغون الكريم، بما ان القدر بالرغم من حسن نيتك، قد كلفك بموجب قسمك، بأن تنفي

طفلتي، وبما ان في بوهيميا أصقاعا بعيدة، اسألك ان تذهب وأنت تبكي وتتركها هناك تصرخ وتستنجد، وبما ان الطفلة معرضة للهلاك، ارجوك ان تدعوها برديتا، وللتكفير عن مهمتك هذه غير الانسانية التي فرضها عليك مولاي، لن ترى ابدا زوجتك بولين». ثم توارت في الفضاء والدموع تملأ محجريها. خفت في بادىء الامر، ثم عدت الى وعيي وخلت هذه الرؤيا حقيقة لا خيالا. ومع اني اعتبر الاحلام أمورا صبيانية، أجدني متشائما هذه المرة وأود ان أستلهم تفاصيل ما شاهدت. أعتقد بأن هرميون لاقت حتفها، وان ابولون يرغب في ان تكون هذه الطفلة، وهي حقا ابنة الملك بولكسان، وديعة هناك، فيكون نصيبها ان تحيا او تموت على ارض والدها الحقيقي. (يضع الطفلة على الارض، ثم يضع الى جانبها رزمة وكيسا مملوءً ذهبا). آمل ان تحيي هنا، ايتها الزهرة النضرة. استريحي في هذا المكان الموحش، وهذه علامة للتعرف عليك، وهذا ايضا بعض المال. فليحالفك الحظ. ان هذا الذهب ضمانة كافية لتربيتك، ايتها الطفلة الجميلة، بل يفيض عن الحاجة. (تبرق السماء وترعد). ها هي العاصفة قد هبت. يا لك من صغيرة مسكينة، تتعرضين الى الاهمال والخطر بسبب جريمة اتهمت بها أمك. انا لا يسعني ان ابكي، انما قلبي يتفطر حزنا عليك، وأنا أستحق اللعنة، ما دام قسمي يجبرني على التصرف بمثل هذه الصرامة. الوداع. ها هي جحافل الليل تزحف، وضجيج الأنواء يهدهدك بقسوة لتنامي من شدّة الاعياء. لم أبصر السماء في حياتي هكذا دكناء (يُسمع زئير) ما هذا الصوت الوحشي؟ ارجو ان اصل الى السفينة سالما. فها هي مطاردتي قد بدأت، وأنا لا محالة هالك. (يهرب امام دب يلاحقه).

(يصل راعٍ عجوز)

الراعي : كم أود ان لا يمر العمر مسرعا بين السنة العاشرة والثالثة والعشرين، او ان لا يكون الشباب في هذه المرحلة سوى رقاد طويل الأمد، اذ في هذه الحقبة لا يجيد عملا مثل إخصاب الفتيات، واهانة المتقدمين في السن والاختلاس والمشاحنة بلا رؤية. (يسمع زئير بعيد ودوي رعد). هل تسمع هذا؟ ألا قل لي، بربك، ان كان غير دماغ طائش بين التاسعة عشر والثانية

والعشرين من العمر، يصطاد في مثل هذا الطقس الرديء. لقد سبب هذا المستهتر هرب اثنين من افضل خرافي، وأخشى ان يلتقيا بالذئب بدلا من راعيهما. ان قدِّر لي ان اجدهما في مكان ما فعلى شاطىء البحر وهما يرعيان العشب. ارجو من حسن طالعي ان يستجيب دعائي. ما هذا؟ (يلمّ الطفلة) رحماك ايتها السماء، هذا رضيع جميل الطلعة. هل هو صبي ام بنت؟ لأتفحصه. هي طفلة رائعة. لا شك في ان احد قساة القلوب قد رماها هنا. اذ مهما كنت جاهلا، انا على يقين بأن وصيفة اسرة عريقة قد رمتها وهربت، وانها حصيلة مجون مفاجىء على درج او في حجرة صغيرة او زاوية منفردة، وان من اشترك في هذا الطيش كان ينعم بالدفء اكثر من هذه الطفلة المنبوذة الملقاة في هذا المكان الموحش. انا اشفق عليها وأود الاحتفاظ بها. على كل حال، سأنتظر وصول ابني الذي أسمع صوت ندائه تعال اليّ، انا هنا.

(يدخل مهرّج)

المهرِّج : هلالا، هلالوَ.

الراعي : هل كنت هكذا قريباً من هنا ؟ يُخيَّل اليّ انك تريد أن تروي لي حادثة طريفة قبل أن تحين وفاتي وتبلى عظامي، فاقترب اذاً مني. ماذا دهاك، يا بنيّ الشجاع ؟

المهرِّج : لقد عاينت مشهدين مؤثرين للغاية: الواحد على الارض والآخر في البحر. انما لا يسعني ان ادعو هذا بحرا، اذ ليس هناك سوى الماء والسماء، وبين الفلك والبحر لا يمكن ان يكون المدى اوسع من خرم الابرة.

الراعي : هيا يا بنيّ، قل لي ماذا رأيت؟

المهرِّج : كنت أود ان ترى بأم عينك وتسمع بأذنك دويّ العاصفة، كيف تجأر وكيف ترتطم بالشاطىء. ولكن ليس هذا كل ما أعنيه، يا لها من صرخات أليمة صادرة عن نفوس مسكينة معذّبة، كنت تارة أبصرها، وطوراً لا ابصرها حتى خيِّل اليّ في لحظة من اللحظات ان السفينة تكاد تخترق سطح القمر بعالي صاريها، وبعد هنيهة كان هذا القمر قد ابتلعته امواج البحر المزبدة فبدا كأنه سدادة قنينة ملقاة في برميل ضخم. لننتقل الان

الى ما جرى على الارض. ليتك رأيت كيف كان الدب ينهش لحم كتف ضحيته، وكيف كان المغدور يستنجد بي، ويهتف انه يدعى انتيغون وانه مولى خطير. لكن لكي أتخلص من السفينة كان عليّ ان أعاين كيف صدمها موج البحر الهائج، ثم كيف كان اصحاب النفوس المضعضعة يزعقون وكيف كان البحر يهزأ بهم. وكيف كان الوجيه المسكين يزأر، وكيف كان الدب يتهكم عليه، وكلاهما يزمجران بصوت اعلى من هدير البحر ومن دوي العاصفة.

الراعي : رحماكِ، ايتها السماء! متى شاهدت كل هذا، يا ولدي؟

المهرِّج : في هذه اللحظة، في هذه اللحظة بالذات. لم تغمض لي عين منذ ان عاينت ذلك. فالرجال لم تبرد جثثهم بعد تحت الماء، والدب لم يفترس نصف الوجيه بعد، فهو لا يزال ينهش لحمه.

الراعي : كم وددت ان اكون حاضرا لأسعف هذا العجوز!

المهرِّج : انا آسف، لانك لم تكن قريبا من السفينة لتنجده. أعتقد بأن قواك، بالرغم من شفقتك وعزيمتك، كانت انهارت هولا، لا محالة.

الراعي : ما أتعس هذا الحال. لكن انظر الى هنا، يا بنيَّ، وقرّ عينا. لقد صادفت انت منازعين يغالبون سكرات المنون، وأنا لقيت طفلة في الاقماط، لا حول لها ولا حيلة. هذا مشهد يهمّك كثيراً. أنظر الى هذه الأقمطة التي تليق بأمير. انظر، انظر (يريه كيس الذهب) التقطه، التقطه، يا ولدي وافتحه. أرني ما فيه. لقد قيل لي منذ مدة ان الجن سيجودون عليّ بثروة طائلة فأصبح غنيا. وها هي هذه الثروة تهبط علي مع هذه الطفلة المنتزعة من مهدها. افتح. ماذا ترى، يا بنيّ؟

المهرِّج (يخرج قبضة من القطع الذهبية) : لقد اصبحت في الواقع غنيا، يا صاح. ان غفرت لك خطايا شبابك، ستعيش حتما في بحبوحة ورخاء بفضل هذا الكيس المحشو ذهبا.

الراعي : هذا ذهب سحري، يا ولدي. خذه واربط الكيس جيداً. وهلما نرجع الى بيتنا من أقصر الطرق. حظنا خارق، يا ابني، ولكي نحافظ على

سعادتنا يجب علينا أن نصون لساننا. دع خرافي تذهب، وهيا بنا يا ولدي الى بيتنا من أقصر الطرق.

المهرِّج : من أقصر الطرق، ومعك لقيَّتك! انا ذاهب لأرى ان كان الدب قد ترك شيئا من الوجيه، وكم أكل منه. فان الدببة لا تهاجم الا عندما تكون جائعة. فان وجدت هناك بقايا من عظامه، دفنتها.

الراعي : هذا عمل صالح، تُشكر عليه. وإن أمكنك أن تعرف من أشلائه من هو، تعال اخبرني كي ازوره.

المهرِّج : والله، بالصواب نطقت، وستساعدني على دفنه في الارض.

الراعي : هذا يوم سعيد، يا ولدي، فلنرتع بما اغدقه علينا من نعم جزيلة.

(يخرجان).

الفصل الرابع

المشهد الاول

(يدخل الزمان متمثلاً في جوقة مرنمين)

الزمان : انا الذي ارضي البعض، وأدوِّخ جميع الناس، انا الذي أفرح الاخيار وأروّع الاشرار، أنا الذي أسبّب الأخطاء وأكشفها، أتعهّد بصفة كوني الزمان أن أبسط جناحيّ في الفضاء الرحيب وأتخطى ستة عشر عاما. واذا تركت هذه الفترة الطويلة الانتقالية بدون استثمار، فان باستطاعتي ان اقلب الشرائع، وفي ساعة مباغتة، ان ارسِّخ او أقتلع اية عادة من العادات التقليدية. دعني أمرّ كما كنت قبل ان أنظِّم الطريقة القديمة او الحديثة التي عالجتها اليوم. كنت شاهد العصور التي ولدتها كما سأكون شاهد الوسائل الجديدة في المصائر التي ستسيطر عليها. وسأجعل بريق الحاضر يخبو اذ أخلع عليه عمر روايتي القديمة. أستأذنك، وأقلب مرملتي، وأعجِّل في مسيرة الأحداث، وكأنك تستيقظ من رقاد طويل. لقد اقلع ليونتي عن الانقياد الى حسده الجنوني وغيرته العمياء. واذ عصر الالم قلبه لجأ الى العزلة والانزواء. تصور، ايها المشاهد الكريم، انني الان موجود في بوهيميا الجميلة، ولا تنسَ اني

ذكرت لك اسم ابن ملك تلك البلاد، وهو المدعو فلوريزال. أتسمعني؟ سأكلمك بنفس الحماس عن برديتا التي نمت في احضان العز والرفعة والمجد. يا ترى، ماذا يكون مصيرها؟ لا اريد ان أستبق الاوان وأنبئك عنه، بل اترك الوقائع الجديدة تبرزه لك في حينه. لان نصيب ابنة الراعي وما سيجري لها من مغامرات هو موضوع الساعة الحاضرة. جد عليّ بصبرك، ان لم تفاجئك الظروف بما هو اسوأ. وإلا فالزمان ذاته يكشف لك بصدق واخلاص كيف يتسنى لك ان لا تستخدم تقلباته بطريقة مشؤومة.

(يخرج)

المشهد الثاني

في بوهيميا ــ في القصر الملكي

(يدخل بولكسان وكميليو)

بولكسان : أرجوك، يا كميليو الكريم، أن لا تضايقني أكثر مما فعلت. يؤلمني جدا ان ارفض طلبك، لان في تلبيته موتي الاكيد.

كميليو : لم ازر بلادي منذ خمسة عشر عاما. وقد عشت معظم ايام حياتي في الغربة حيث لا أود ان تدفن عظامي. من جهة اخرى، مولاي الملك التائب، قد ارسل في طلبي، لاني قادر على مواساته في شدته، كما آمل، وأعتقد بأن ذلك يحمسني على الرجوع الى مسقط رأسي.

بولكسان : ان كنت تحبني فعلا يا كميليو، لا تضيِّع جميع ما قدمته لي من خدمات سابقة، وتتركني الان في محنتي. ان حاجتي ماسة اليك انت الذي نبهتني اليها. وكم كان أهون عليّ ان لا اعرفك من ان افقدك بمثل هذه السهولة. وبما اني باشرت في أمور لا سبيل لاحد ان يرعاها نظيرك،

عليك ان تبقى الى جانبي لكي تدبرها بنفسك، ان لم تشأ ان تهدم بذهابك كل ما بنيته لخيري بما اسديته الي من خدمات جليلة. وبما اني لم احسب لغيابك اي حساب، اراني الان غير قادر على الاستغناء عنك. لست ادري كيف اشكرك على معروفك. فحرصي من الان وصاعدا على الاحتفاظ بمودتك وعونك سيكون صعبا. اما هذه الجزيرة المشؤومة صقلية، فأرجوك ان لا تأتي امامي على ذكرها بعد اليوم. فإن صدري ينقبض لمجرد سماع اسمها، الذي يذكرني بأخي الملك التائب كما يدعوه. لأن فقده زوجته الملكة الرائعة وولديه هو منتهى شقائه المتجدد باستمرار. قل لي متى شاهدت ابني الامير فلوريزال؟ كم يتمنى الملوك الاشقياء أمثالي الذين يفقدون اولادهم ان يحتفظوا بهم احياء، حتى ان كانوا معاقين متخلفين، عندما يكونون واثقين من فضيلتهم.

كميليو : منذ ثلاثة ايام، لم ابصر الامير، يا مولاي. فماذا يشغله عنا يا ترى؟ هذا ما لا علم لي به غير اني لاحظت، يا للأسف، انه متغيّب عن البلاط منذ بضعة ايام، وانه لا يواظب كالمعتاد على ممارساته الاميرية.

بولكسان : لقد خطرت ببالي نفس هذه الافكار، يا كميليو، وهذا ما يقلقني، الى حد اني بثثت العيون لمراقبته في عزلته. وهكذا علمت بأنه يتردد بصورة مستديمة على راع وضيع، كان في الماضي، كما قيل لي، رجلا معدما لا يساعده احد، والآن لا يدري حتى جيرانه كف توصل الى اقتناء ثروة طائلة غامضة المصدر.

كميليو : لقد سمعت الناس يتحدثون عن هذا الرجل، يا مولاي. وقيل لي ان له ابنة قلّ ان تتمتع بنات جنسها بمثل جمالها الرائع وفضائلها الممتازة، وقد ذاع صيتها بشكل غريب عجيب لا يصدق بعد ان عمت شهرتها الارجاء منطلقة من كوخها الحقير.

بولكسان : هذا ما تنبئني به معلوماتي ايضا. غير اني اخشى ان تشوّق هذه الصيادة ولدي وان تجتذبه الى العض على طعم صنارتها في خاتمة المطاف. سترافقني في الذهاب الى ذلك المكان. لاني أفضّل ان اطرح على الراعي بعض الاسئلة بدون ان يعرف من انا. ولا اخال صعبا ان أستخلص من

ساطته سر مواظبة ابني على التودّد اليه. ارجوك ان تساعدني في هذه المهمة أن تدع جانبا تفكيرك في صقلية.

كميليو : سمعا وطاعة، يا مولاي الكريم.

بولكسان : حلَّت عليك البركة، يا كميليو الامين. هيا نتنكر.

(يخرجان).

المشهد الثالث

في بوهيميا ــ عبر الحقول

(يدخل اوتوليكوس)

اوتوليكوس (ينشد) : عندما النرجس يزهر

وأكتاف الوادي تتعطر

يهبط الوحي على المتعبِّد

فوق وشاح الثلج المتجلِّد.

وفي ربى الورد والياسمين

يغرد العصفور للرياحين

ناشرا بهجة العيش الرغيد

في الناس كأيام العيد السعيد

ها هي القبَّرة والبنفسجة

وطائر الباز والعوسجة

تنسجم كلها لتنعم بالهناء

كأنها تهزج من بعد العناء

لقد خدمت الامير فلوريزال، وفي ايام العز ارتديت الحرير المقصب. لكني الان بعيد عن هذا الامتياز المشرِّف.

غير أني لن احزن يا عزيزتي
اذا ما البدر غاب عن ليلتي
كي أتيه في مغامرة جريئة
ثم أرتدّ عن غلطتي البذيئة
واذا ما انسدّ في وجهي السبيل
وتعثر سيري في الدرب الطويل
فنور الحق يهديني ويعيدني
الى حيث يرتاح قلبي ويسعدني.

انا أتاجر بمختلف السلع، بينما الطيور تبني أعشاشها والقطن ترتفع اسعاره. ابي دعاني اوتوليكوس لاني ولدت في حمى زحل، فكان نصيبي ان اتعاطى اختلاس ما صغر حجمه من الاصناف. فالابر والخيوط في أيدي البنات النشيطات قد حاكت لي هذه الحلة لأزيِّن بها حصاني، وأتباهى بها عندما أمارس مهنتي بمهارة اللصوص. اما المشانق التي تؤدي اليها السرقات الكبيرة بعد الجَلد بالسياط، فالاختناق بحبالها يريعني ويطير له صوابي، ويهيب بي للرجوع عن غيِّي وسلوك الطريق القويم، مع العلم بأني لا أبالي بمستقبل حياتي. (يرى المهرج) ها هوذا صيد سمين.

(يدخل المهرج)

المهرِّج : لندرس المسألة. احد عشر خروفاً تعطي خمسة وعشرين أقة من الصوف. وخمس وعشرون أقة من الصوف تساوي ليرة استرلينية وشلنا واحدا تقريبا. فكم ثمن الف وخمسمئة جزة من الصوف؟

اوتوليكوس (على حدة) : اذا اطبق الفخ فكَّيه، سيكون الحجل من نصيبي.

المهرِّج : انا لا يسعني ان احسب هذا بدون ورقة (يسحب من جيبه ورقة) ماذا عليّ ان اشتر لعيد جزاتنا؟ ثلاث أقّات من السكر وخمس أقات من الكراوية والارزّ. فماذا تفعل اختي بالارزّ؟ هذا لا يهمني لأن ابي هو الذي

أوكل اليها اعداد حفلة العيد، وقد سجلت جميع ما يلزم. ها قد صنعت خمسا وعشرين ضمة للجزّارين، وكلهم يترنمون بثلاث طبقات من الاصوات، وجميعهم يجيدون الانشاد. لكن اغلب اصواتهم من الطبقة الوسطى والضخمة. وبينهم متزمِّت يرافق انشاده بمزمار القرية. لا بد لي من إحضار الزعفران لتلوين قرص حلوى الاجاص. ان حب الهال والبلح لا حاجة اليهما. لانهما غير مسجلين، بل يلزمني سبع حبات من جوز الطيب وجِذر او اثنين من الزنجبيل، وهذا يمكنني الحصول عليه. ثم اربع أقات من الخوخ المجفف ومثلها من الزبيب.

اوتوليكوس (يزحف على الارض) : آه! لماذا اتيت انا الى هذا العالم؟

المهرِّج (يندفع نحوه) : باسم السماء، لا تتذمر.

اوتوليكوس : النجدة، النجدة! خلصوني من هذه الاسمال البالية، وإلا متّ.

المهرِّج : واأسفاه! ايها المسكين، عوضاً عن تخليصك من هذه الاسماك، اراك بحاجة الى استبدالها بغيرها تغطيك وتستر جسمك.

اوتوليكوس : يا سيدي، ان التقزز الذي تثيره فيّ هذه الاسمال يؤلمني اكثر من سيور الجلد التي نزلت على ظهري بقساوة وبأعداد لا تحصى تناهز المليون.

المهرِّج : لهفي عليك ايها التعيس! ان مليون جلدة تجر عليك أوبل الويلات وتودي بك حتما الى الموت الزؤام.

اوتوليكوس : لقد تعرضت للضرب والسرقة، يا سيدي، عندما جردت من دراهمي ومن ملابسي، وألقِيت عليّ هذه الاسمال المهلهلة الذرية.

المهرِّج : ومن كان الجاني، أفارس أم راجل ؟

اوتوليكوس : هو راجل، يا سيدي العطوف، هو راجل بدون شك.

المهرِّج : في الواقع، لا بد من يكون راجلا، اذا نظرنا الى الملابس التي تركها لك. لو كانت تخص فارسا لكانت افضل من هذه بما لا يقاس. هات يدك لأساعدك. هيا، هات يدك.

(يساعده على الوقوف)

اوتوليكوس : ارجوك يا سيدي الحنون ان ترفق بحالي. آه!
المهرّج : لهفي عليك، ايها المسكين.
اوتوليكوس (ينقاد الى المهرج) : ارجوك، ثم ارجوك، يا سيدي، ان ترفق بي، لانني اخشى على لوح كتفي من ان ينفصل عن بدني.
المهرّج (يسنده) : ماذا تقول؟ ألا تقوى على الوقوف؟
اوتوليكوس : مهلا، يا سيدي. (يمد يده الى جيب المهرج ويحث) ارفق بي، يا سيدي. لقد اسديت الي بصنيعك هذا معروفا لن انساه ما حييت.
المهرّج : هل انت بحاجة الى المال؟ يمكنني ان اعطيك قليلا منه.
اوتوليكوس : كلا، يا سيدي الكريم، كلا. أستحلفك بكل عزيز. امامي حوالي ثلاثة أرباع الميل حتى اصل الى قريب لي كنت متوجهاً اليه، وهو يعطيني كل ما أحتاج اليه. فأرجوك ان لا تقدم لي مالا، لان هذا العرض يحزّ في قلبي.
المهرّج : ما هي هيئة الفتى الذي سلبك؟
اوتوليكوس : هو غبي، يا سيدي، كأمثاله الذين كنت اراهم قابعين تحت القناطر. ولقد شاهدته في الماضي يخدم في قصر الامير. لا يسعني ان اقول، يا سيدي الكريم، لاية فضيلة قد طرد من البلاط.
المهرّج : لأية فضيلة؟ بل قل لاية رذيلة. اذ لا احد يطرد من البلاط بسبب فضائله. لذا يكرم الفضلاء ليبقوا، ومع ذلك لا أثر للفضيلة هناك الا بالفكر فقط.
اوتوليكوس : قصدت ان اقول بسبب قبائحه، يا سيدي. انا اعرف جيدا هذا الرجل. لانه بعد ان اصبح مرقّص قرود ثم حاجب محكمة ثم عارض طرائف نادرة ودمى متحركة، تزوج اخيرا امرأة صانع قدور نحاسية وراح يتجول لبيعها ضمن دائرة ميل من مشغله حيث تقع املاكي وأراضيّ. وبعد ان انتقل من مهنة حقيرة الى مهنة أحقر، استقر على السرقة والاحتيال، والبعض يدعونه اوتوليكوس.
المهرّج : بئس مصيره من لص دنيء! أقسم لك بحياتي، انه محتال خطير، يروّع المجتمعات والسهرات والاسواق ومصارعات الدببة.

اوتوليكوس : أصبت، يا سيدي. هو بعينه العلج الذي سطا عليّ وتركني في هذه الحالة الزرية.

المهرِّج : ليس من نشال أجبن منه في كل بوهيميا. كان عليك ان تحزم امرك وتبصق على وجهه فيهرب مهرولا.

اوتوليكوس : لا بد من ان ابوح لك، يا سيدي، بأني لست من المقاتلين. فالجرأة تنقصني من هذه الناحية، وأنا واثق بأنه يعرف علتي.

المهرِّج : كيف حالك الان؟

اوتوليكوس : لا بدّ لي من أن أبوح لك، يا سيدي، بأني لست من المقاتلين. وأنوي ان استأذنك بالرحيل على مهل، وأتوجه الى نسيبي.

المهرِّج : أتريد ان أوصلك الى الطريق؟

اوتوليكوس : لا، لا، يا سيدي الكريم. اشكرك.

المهرِّج : الوداع اذاً. عليَّ ان اذهب لشراء بعض البهارات لاجل عيد جزَّات الصوف.

اوتوليكوس : أتمنى لك حظا سعيدا، يا سيدي العطوف. (يخرج المهرج) اذهب، فان محفظة نقودك ليست مليئة لشراء البهارات، وسألحق بك الى حفلة جزَّات الصوف. فاذا لم أعوض هذه السرقة بغيرها، واذا لم أستجرّ انا عددا كبيرا من الخراف، أخسر مهارتي ويدوَّن اسمي من الان وصاعدا في سجل اهل الفضيلة.

تعالَ نسرح، تعال نمرح
على الدروب نهزج ونفرح
فالقلب الخالي لا يبالي
ولا يضنيه سهر الليالي.

(يخرج)

المشهد الرابع
في بوهيميا ــ داخل كوخ

(يدخل فلوريزال وبرديتا بثياب العيد)

فلوريزال (متنكراً بزي راع) : هذه الملابس غير العادية لكل من مناسباتك الحلوة، تزيد العمر طولا وبهجة. فأنت لست براعية، بل انت زهرة تفتحت في مطلع نيسان. وعيد الجزّات هو بالحري اجتماع آلهة لطيفة انت ملكتها.

برديتا : مولاي الجليل، لا يليق بي ان ألومك على مغالاتك، فاعذرني اذا اشرت اليها. انك اخفيت شخصك النبيل، قبلة هذه لبلاد، تحت ملابس الرعاة هذه، وأنا الفتاة النحيلة قد ابرزتني كإلهة. من حسن حظنا ان اعيادنا تتيح لنا هرج المآدب التي يقبل الناس على مآكلها الدسمة ويهضمونها كالعادة. وإلا كنت خجلت من ارتدائك هذه الثياب التي تظهر فيها كأنك اقسمت على تذكيري بما كان عليّ ان أرتديه.

فلوريزال : اني أبارك اللحظة التي طار فيها صقري عبر حقل والدك.

برديتا : أتمنى ان يجعل الإله المشتري الحق الى جانبك. الفارق بيننا، في الواقع، يقلقني. فان سموك لم تعتد الخوف، بينما انا في هذه اللحظة أرتجف لفكرة امكان مرور والدي صدفة في هذا المكان، كما حدث لك انت قبلا. ليتني اعرف موقفه عندما يعلم ان لابنه علاقة بفتاة من هذا المستوى الوضيع. ماذا يقول؟ وكيف يتسنى لي انا ان أتحمل نظراته على ضوء هذه القناديل الكاشفة التي تزين احتفالا كهذا غير مألوف بالنسبة الي؟

فلوريزال : ارجو ان ترافقيني دائما في الافراح. لا تنسي ان الآلهة ذاتها حين تتذلل ألوهيتها امام جبروت الحب تتخذ أشكالا غريبة من الحيوانات. فمثلا صبح المشتري ثورا وزمجر، وأمسى نبتون الفجّ كبشا وثغا وإله النار، واله الذهب، وأبولون قد صار راعيا نظيرك في هذه اللحظة. ولم يكن تحولهم

هذا إلّا ليزيدهم جمالا وصفاء وعفّة، ما دامت رغباتهم تتيه في ما وراء حدود الشرف، وشهواتهم ليست اقوى ولا أحر من ايماني.

برديتا : لكن تصميمك، يا مولاي، لا يمكنه ان يجابه سلطة الملك الذي سيضطر حينئذ الى اللجوء الى احد حلين: اما ان تقلع عن مشروعك او ان تفقد حياتك.

فلوريزال : عزيزتي برديتا، ارجوك ان لا تقلقي لهذه الافكار الخاطئة ولا تتوجّسي خوفا من فرحة هذا العيد. سأكون لك، يا حبيبتي، ولن اكون لوالدي. لاني لا استطيع ان اسيطر على نفسي ولا ان يمتلكني احد، ان لم أخصَّك انت بالذات. لقد قررت هذا، حتى ان عاندتني الظروف والاقدار. فالزمي المرح يا صديقتي، واطردي عنك هذه الخواطر المزعجة. ها هم ضيوفك قد اقبلوا. فابتسمي وليظل محياك الصبوح مشرقا كما لو كان اليوم عرسك الذي اقسمنا كلانا على احيائه في يوم قريب.

برديتا : ليت حسن الحظ يشملني برعايته الخاصة في هذه الظروف!

(يدخل الراعي، ثم بولكسان وكميليو متنكرين ثم المهرج ومبسا ودركاس وغيرهم).

فلوريزال : ها هم ضيوفك قد اقتربوا. فاستعدي لاستقبالهم بسرور، فتتورد خدودهم انشراحا.

الراعي (لبرديتا) : تباً لك يا ابنتي. عندما كانت زوجتي على قيد الحياة في مثل هذا الوقت، كانت تهتم بالخبز والشراب والطعام، كسيدة وخادمة للترفيه عن الجميع، تغني وترقص تارة فوق طرف الطاولة وطورا في وسطها متوكئة حينا على كتف هذا الضيف وحينا على ذاك، وخداها متورّدتان من الحركة. وعندما تروي عطشها بكأس شراب تقدم لكل واحدة من ضيفاتها جرعة. اما انت فتقبعين في زاوية كأنك ضيفة لا مضيفة جميع الحاضرين. ارجوك ان تكرمي هؤلاء الاصدقاء، وان كنت لا تعرفينهم بعد، لان افضل طريقة لتوطيد صداقتنا الحميمة هي انشاء علاقات طيبة مع المجموع. هيا، تنشّطي وأرني ما انت قادرة على عمله كسيدة هذا العيد. هيا، هيا استقبلي الجزّارين اذا اردت ان يزدهر قطيعك الممتاز وينمو انتاجه.

برديتا (لبولكسان) : اهلا بك يا سيدي. لقد شاء ابي ان يحسن استقبالك

في هذا النهار. (لكميليو) مرحبا بك انت ايضا يا سيدي. ناوليني هذه الزهور يا دركاس. ارجوكم، يا سادتي المحترمين، ان تقبلوا هذه الزهور البرية التي تحتفظ بنضارتها ورائحتها طوال ايام الشتاء، فهي خير تذكار لهذه المناسبة السعيدة. اهلا بكم، شرفتم عيدنا.

بولكسان : شكرا لك ايتها الراعية الجميلة. احسنت صنعا بتقديم هذه الأزهار الشتائية لنا ونحن في هذا العمر.

برديتا : السنة تشرف على نهايتها، يا سيدي، في فترة اواخر هذا الصيف الذي لم ينته بعد، ولم يبدأ فصل الشتاء البارد المنتظر. أعتقد بأن اجمل زهور هذا الفصل يمكننا ان نذكر القرنفل والمنثور اللذين يعتبرهما الناس من مبهجات الطبيعة، وكلاهما لا وجود لهما في حديقتنا القروية، وأنا لا اكترث لغيابهما.

بولكسان : لماذا، ايتها الفتاة الحلوة لا تبالين بهما؟

برديتا : لاني سمعت انهما، في فن تنويعهما، تحتاجان الى عون طبيعي خلّاق.

بولكسان : وعندما يتم ذلك لا يسع الطبيعة ان تتكامل الا بما تبتدعه هي نفسها من تطور. وبذلك يكون الفن الذي يساهم في التجميل منبثقاً من الطبيعة ذاتها. وهكذا، ترين ايتها الصبية الرائعة ان لا بد من تطعيم الجزع البري بغصن نضر للحصول على نوعية افضل، وبهذا الاسلوب نجعل القشرة الخشنة تستمد النعومة من برعوم كريم الاصل، وهذا فن رفيع قائم بذاته لتغيير أوصاف النبات وتحسينه عفويا بواسطة ليست غريبة عن الطبيعة ذاتها.

برديتا : هذا ما يجري فعلا.

بولكسان : فما عليك الا ان تزيدي غنى حديقتك باضافة القرنفل والمنثور اليها ولا تهتمي بما يُعتبر تطويرا في الازهار.

برديتا : انا لا احب ان اغرس في الارض نباتات مختلفة لجعلها كلها فصيلة واحدة، كما اني لا اشتهي ان اضع على خدي احمر لاجتذاب هذا الشاب المعجب بي واغرائه بمجرد حمله على تأمين افراح الامومة لي. هذه ازهار تعجبك: الخزامى والنعنع والمردقوش والخطمي الذي ينام مع غياب الشمس وينهض مع اشراقها، وقطرات الندى كدموع العذارى على وجنتيه. هذه هي

ازهار منتصف الصيف، وأعتقد بأن تقديمها يليق بالرجال المتوسطي العمر. فأهلا وسهلا بكما.

كميليو : لو كنت من قطيعك لكففت عن الرعي، لكي اشبع فقط من بهاء طلعتك.

برديتا : آسف ان يصيبك الهزال حينئذ، وتجعلك رياح كانون الثاني ترتجف من شدة البرد. (لفلوريزال). كم أتمنى، يا صديقي العزيز لو ان لديّ ازهارا ربيعية تناسب نضارة شبابك (للقرويين الشبان) وأنتم ايضا (لسائر القرويين) وكذلك انتم الذين لا يزال عنفوان الشباب يتدفق في عروقكم طافحا بالحيوية والبهجة. يا بروسبارين، كم أود ان تكون لدي ازهار، سقطت اثناء فزعك، من عجلة الاله بلوطون. ان النرجس الذي يسبق عودة السنونو في مطلع الربيع، يأسر رياح آذار بروعته، والبنفسج الغامق المتضوع عطره اكثر من رموش عيني جينون واريج انفاس عشتار، وأزهار الربيع الشاحبة التي يقضي عليها مرض العقم المتفشي في بعض العذارى، قبل ان تعرف الاله فابوس متجلياً بعظمة قدرته، وغيرها من الازهار الربيعية كالسوسن والزنبق التي احتاج اليها لأضفر منها لك، يا صديقي الحلو الرقيق، اكليل مجد أتوّج به رأسك العالي.

فلوريزال : ماذا تقولين؟ لتجعلي مني جثة في نعش.

برديتا : بل فراشا من الورد للاستراحة عليه في مداعبات الحب، لا جسما هامدا ينتظر الدفن، انما غصن بانٍ نابض بالحيوية بين ذراعيّ. هيا خذ ازهارك. يُخيَّل اليّ اني هنا شخص كمالي نظير عدد كبير من الذين رأيتهم يزيّنون رقصة الرعاة في عيد الربيع. في الواقع، أعتقد أن الثوب الذي أرتديه له كبير الاثر في تبدل مزاجي.

فلوريزال : ان ما تفعلينه الان افضل بكثير مما صنعته في الماضي. فحين تتكلمين يا فتاتي الحلوة، أود ان لا انقطع عن سماعك تنشدين، وعندما تترنمين يحلو لي ان اراك هكذا تبيعين وتشترين وتتصدقين وتصلّين، كما أتمنى ان تشتغلي وأنت تغنين. وعندما ترقصين يسرني ان اراك كموج البحر تتحركين، وأنت تواظبين على ذلك باستمرار بدون ان تتعاطي ابدا امرا سواه

لان تصرفك اصيل في أدق تفاصيله، يتوج على الدوام كل اعمالك كأنك ملكة رائعة الجمال كاملة الخصال.

برديتا : ما أفصحك في اطرائي، وما ابلغك في التعبير عن شعورك الفياض. من حسن حظي ان يكون جمالك ونقاء دمك الذي يورّد خديك، اقوى دليل على انتسابك ببراءة الى جماعة الرعاة. وإلا، خشيت يا معبودتي، ان لا تكون عاشقا متيما وفيا.

فلوريزال : لا مجال لتطرق الخوف الى قلبك، ولا للشك بولهي واخلاصي. لكن تعالي نرقص، هات يدك، يا برديتا، فهكذا تتشابك ارواح المحبين في اتحاد ابدي لا يعتريه الانفصال.

برديتا : اقسم لك بأني لا أتمنى غير ذلك. (يمشي فلوريزال وبرديتا متأبطا كل منهما ذراع الآخر وهما يتحدثان).

بولكسان : ها هي اجمل فتاة رأيتها تمشي على المرج الاخضر، وكل حركاتها وسكناتها لا اروع منها ولا ارفع، تسمو بما حولها في كل مكان مشرّف.

كميليو : ان ما يقوله لها من شأنه ان يصعد الدم الى وجنتيها حياء. في الحقيقة هي ملكة كل ما يمتّ الى الحليب والزبدة بصلة.

المهرِّج (يخاصر مُبسا) : هيا اعزفوا لنا لحنا بديع.

دركاس (على حدة وهي تراقب المهرج) : ان كنت تفضل مبسا، فما عليك الا ان تتناول قليلا من الثوم لتنجو من قبلات سواها.

مبسا : هيا، اتبع الايقاع.

المهرِّج : لا تلفظي كلمة واحدة بعد الان. فنحن منسجمان في الرقص. اكملوا اللحن.

(رقصة رعاة وراعيات يشترك فيها الجميع ما عدا الراعي العجوز وبولكسان وكميليو).

بولكسان (للراعي العجوز) : قل لي ايها الراعي، من هو هذا الشاب الوسيم الذي يراقص ابنتك؟

الراعي : اسمه دوريكلاس. وهو معتد بما حبته اياه الطبيعة من نضارة وحيوية. هذا ما قاله هو لي، وأنا أصدق قوله لانه يبدو رصينا. هو يصرح بأنه يهوى ابنتي، وأنا مقتنع بذلك. لان القمر لم يتسنّ له ان يتراءى على صفحة الماء

ببهاء أصفى وأروع منه، كما تشهد بذلك ايضا عينا ابنتي الحبيبة. والحق يقال، ان لا اختلال حتى ولا بمقدار ذرّة بين حبهما وتناسقهما.

بولكسان : رقصها بديع للغاية.

الراعي : كل ما تفعله بديع ايضا. لكن، ماذا اقول هنا؟ من الافضل ان اسكت. لا حرج، ان كان دوريكلاس الشاب قد وقع اختياره عليها فهي تحمل اليه بائنة لا يسعه ان يحلم بمثلها.

(يدخل وصيف)

الوصيف (**للمهرج**) : يا سيدي، لو انتظرت البائع المتجول خارجاً لما رضيت ابدا بأن ارقص على صوت الطبل والمزمار، ولا كانت موسيقى القربة قد استهوتك. هو يترنم بأنغام شتى، اسرع من حركة عد النقود، وهو يدمدم بها بمهارة كأنه انتشى بألحان سماوية تصيخ اليها جميع الآذان الصاغية مدهوشة.

المهرِّج : ليس أنسب من توقيت مجيئه، دعه يدخل. انا احب كثيرا طرق هذه المواضيع الشيقة وسماع الموسيقى الساحرة ذات الكلمات العجيبة والنبرات الحزينة.

الوصيف : لديه اناشيد للرجال والنساء بمختلف الايقاعات. وليس من خياط ابرع منه في تفصيل رداء لكل واحد حسب ذوقه. هو يعرف اجمل اغاني الحب المعتدلة المجون للصبايا، وهذا نادر الوجود، ولديه لازمات لائقة يتخللها دينغ دونغ، وضم وعناق وتأجج عواطف، وغيرها مما يعجب العاشق المشتاق من ثناء وغزل واغراء، ترد عليه الفتاة قائلة: كفاك، يا هذا! ما هذه الدعابة ؟ وتوقفه عند حدّه هاتفة في وجهه : أرجوك، يا صاح، كفاك تطاولاً.

بولكسان : ما أجرأك، ايها الفتى!

المهرج (**للوصيف**) : أصدقني، هل تتكلم حقا عن شاب لعوب، لديه سلع معروضة للبيع؟

الوصيف : لديه اشرطة من جميع الوان قوس قذح، وبشروط انسب من كل ما يوجد في شرائع جميع قضاة بوهيميا، مع انه يفكر فيها بالجملة،

ولديه زخارف وحبكات وأنسجة وشاش، ويعدد شتى هذه الاصناف في اغانيه، كما لو كان كاهن الآلهة والإلهات، فيلمّح الى القميص مثلا كأنه ملاك، معتبرا ان مجمل تجارته مجموعة من الاشغال السماوية ضمن اطار من المهارة والابتكار والتقوى.

المهرّج : أرجوك ان تستدعيه وتسأله ان يدخل وهو ينشد.

برديتا : نبِّهه الى عدم استعمال الالفاظ المتطرفة في اغانيه.

المهرّج : هناك باعة متجولون بارعون اكثر مما تتصورين، يا أختاه.

برديتا : او بالحري مما يهمني ان أتصوره، يا اخي.

(يدخل اوتوليكوس وهو يغني)

اوتوليكوس : وشاح أشد بياضا من البرَد
ونسيج بلون الغراب الاسود
وقفاز أريجه كالورد الجوري
وقناع يخبىء الوجه الحوري
وأساور عقيق وقرط عنبري
وعطر يسكر العاشق الولهان
وتسريحة شعر تسحر في كل آن
يمكن ان يهديها فتى لعروسه
مع دبوس ودملج يذهب بعبوسه
وكل ما يرضي الصبية الرشيقة
تعالي اشتري يا ابهى عشيقة،
واشتروا يا فتيان لصباياكم الشقر
تعالوا اشتروا قبل زوال العصر.

المهرج (لأوتوليكوس): لو لم اكن متدلها بحب مبسا، ما كنت حصلت على أي مال. لكن بما اني اسير هواها أود ان اضع تحت تصرفها بعض الاشرطة والقفازات.

مبسا : هذا ما كنت موعودة به في ليلة العيد. وهي تصلني الان في حينها.

دركاس (لمبسا) : هل وعدك هذا المنافق بشيء آخر؟

مبسا (لدركاس) : لقد اعطاني كل ما وعدني به، ومنحني فوق ذلك ما استحي ان أرده اليه.

المهرّج : أولم يبقَ من اخلاق تزين الفتيات؟ وهل تحتم عليهن ان يرفعن ثيابهن الى رؤوسهن ؟ أوَليس لديك، حين ذهابك لحلب البقرة أو الى الفراش او الى التنُّور، ما يكفي من الوقت لفضح جميع هذه التجاوزات، وهل من حاجة الى الثرثرة في هذا الموضوع امام ضيوفنا؟ يسرني ان يتحدث اصحابنا فيما بينهم بصوت خافت، وأنتِ ايضا اخفضي صوتك ولا تنطقي بكلمة اخرى.

مبسا : لقد انتهى حديثي، فهيا نذهب. أو ما وعدتني بوشاح ألفه حول عنقي، وبقفازين معطّرين.

المهرّج (لمبسا) : ألم اخبرك كيف تعرضت للسرقة اثناء الطريق، وكيف فقدت كل ما أحمل من نقود.

اوتوليكوس : في الواقع، يا سيدي، لصوص الريف عديدون، ويجمل بالانسان ان يحذرهم.

المهرّج : لا تخف هنا من السرقة، يا صاح، فلن تفقد شيئا وأنت بيننا.

اوتوليكوس : ارجو ذلك، يا سيدي، لان لدي سلع كثيرة غير مصرورة.

المهرّج : ما معك هنا؟ بعض قصائد ملحنة؟

مبسا (للمهرج) : ارجوك ان تشتري بعضها. فأنا احب الاناشيد لا سيما المطبوعة، ونحن واثقون بأنها اصيلة.

اوتوليكوس : هذه واحدة لحنها جميل، كأنها امرأة مرابي ولدت عشرين كيس نقود دفعة واحدة، واشتهت ان تأكل سمك الحنكليس وأفخاذ الضفادع.

مبسا : هل تعتقد بأن هذا صحيح؟

اوتوليكوس : اكثر من صحيح. هذا ما جرى تماما منذ شهر فقط.

دركاس : نجّني، أيتها السماء، من الاقتران بمرآب.

اوتوليكوس : لقد روت هذا النبأ قابلة قانونية تدعى ليَكونت، ووافقت عليها خمس او ست من النساء الحاضرات. هل انا ناقل اخبار ملفقة؟

مبسا (للمهرج) : ارجوك ايضا ان تشتري لي منها.

المهرّج : ضعيها جانباً. وتعالي نتفحّص أولاً ما يعجبنا من القصائد، ثم نشتري أصنافا اخرى.

اوتوليكوس : هذه اغنية اخرى، وهي عن حوت ظهر على الشاطىء يوم الاربعاء الواقع في الثامن من شهر نيسان على بعد أميال من الساحل، وقد نظم كلامها لانتقاد الفتيات القاسيات القلب. يقال ان امرأة تحولت الى حوت لانها لم تطاوع عشيقها في مبادلته الغرام رغم انها تحبه. والقصيدة ترثي لحال الضحية التي جرت قصتها من مدة غير طويلة.

دركاس : وهل تعتقد بأنها حدثت فعلا؟

اوتوليكوس : ما دامت تحمل تواقيع خمسة قضاة وشهادات اكثر مما تتسع له رزمتي.

المهرّج : ضعيها ايضا جانبا. ولنتفحص واحدة غيرها الان.

اوتوليكوس : هذه أنشودة مرحة وجميلة للغاية.

مبسا : لنأخذ بعض الاغاني المفرحة.

اوتوليكوس: هذه واحدة مرحة جدا، لحنها رائع وليس من فتاة في كل المنطقة لا تنشدها، وأؤكد لك انها مرغوبة جدا.

مبسا (لأوتوليكوس الذي يشير الى دركاس) : كلانا نعرف ان نغنيها، ونود ان تشاركنا في انشاد احدى طبقاتها، لانها مؤلفة من ثلاث طبقات صوتية.

دركاس : لقد تعلّمنا لحنها منذ شهر.

اوتوليكوس : انا أتقن الطبقة التي تلائم صوتي. وأنتم تعلمون ان الغناء مهنتي. اصغيا انتما الاثنان.

(تغني):

تعالوا لأن عليّ أن أرحل
ولا حاجة لان تعرفوا اين أنزل

دركاس (تغني) : اين؟ اين؟

مبسا (تغني) : قل لنا اين؟

دركاس : اين، اين؟

مبسا : مرامي ينسجم مع رغبتك

فما عليك الا ان تبوح بسرك

دركاس : دعني انا ايضا امضي الى هناك.

مبسا : أأقصد الطاحون ام اطرح الشباك؟

دركاس : هذا وذاك ليس من مستواك.

اوتوليكوس : لعمري، ما ابعدك عن الادراك!

دركاس : لماذا التهجم، يا صديق؟

اوتوليكوس : وقد أقسمت انك لي رفيق.

مبسا : ايها المنافق، أما أكدت لي هواكِ؟

فأين المفرّ وأنا دوما وراك.

المهرّج : سيأتي، بعد هنيهة، دور هذه الأغنية التي ننشدها معا. ان والدي يشارك هؤلاء السادة في احاديثهم. فلنتجنب ازعاجهم. هيا احمل طردك واتبعني. ايتها الفتاتان، سأشتري لكما منه اثنتين. وأنت ايها البائع المتجول اعطني أفخر ما عندك. اتبعاني ايتها الصبيتان.

اوتوليكوس (على حدة) : وستدفع بسخاء عنهما.

(ينشد):

اشتري، يا حلوتي، الزنار
لتزيني به وشاحك المختار
يا بهجة الشوق والأنظار
قلبي لا يزال في حبك محتار.
اختاري من القطن والحرير
والهدايا الحلوة والازاهير
مما ينال الاعجاب والتقدير
ويجتذب الحبيب ويقيه المحاذير.
على البائع المتجوّل أقبلوا
وعن أصنافه لا تعدلوا
ولا تتحيروا ولا تتجادلوا
حتما لقاء نقودكم تحصلوا.

(يخرج المهرج واوتوليكوس ودركاس ومبسا، ثم يدخل الوصيف).

الوصيف (للراعي العجوز) : يا معلم، هناك ثلاثة سائقي عربة وثلاثة رعاة غنم وثلاثة رعاة بقر، وكلهم رجال شبه عراة في زي الجن، ولديهم رقصة تعتبرها الصبايا نوعا من القفزات، لانهن لا يشتركن فيها، ولكنهن يعتبرن فيما أنها لم تكن عنيفة، فهي ترضي البعض ممن لا يعرفون الحركات الهادئة المعروضة على المرج الأخضر، ويعجبون بها غاية الإعجاب.

الراعي : كفى. نحن لا نريدها بعد كل ما جرى هنا من المهازل. وأنا أعلم، يا سادة، بأننا نرهق أعصابكم.

بولكسان : انتم لا ترهقون الا من يسلّوننا. ارونا هذا الثلاثي من الرعاة.

الوصيف : ان أحد هذا الثلاثي، إذا صدّقنا ما يقال، قد رقص امام الملك، وأردأهم لا يقفز أقل من اثني عشر قدماً ونصف، وهذا ليس بزهيد طفيف.

الراعي : دعك من هذه الثرثرة، ما دام ذلك يعجب هؤلاء السادة. أدخلهم إذاً حالاً وسريعاً.

(يخرج ثم يعود، بصحبة اثني عشر قروياً متنكرين بزي الجن، فيرقصون ثم ينسحبون).

بولكسان (للراعي) : ستعلم قريباً بأكثر مما تعرف. (على حدة) ألم تبلغ هذه المسائل الحد المقبول؟ لقد آن لهم أن ينفصلوا. هو ساذج ويتكلم اكثر مما يلزم. (بصوت عالٍ لفلوريزال الذي يمر) تعال ايها الراعي الوسيم. اراك مشغولاً عن الحفلة بأمور لا تمتّ الى العيد بصلة. لعمري، كنت انا شاباً وكنت اتأبط ذراع صديقتي، وكان من عادتي ان اسمعها ما يرضيها من الكلام المعسول، وكنت أستأثر بكل ما يحمله البائع من اصناف حلوة لأضعه عند قدميها. أمّا أنت فقد تركته يذهب بدون أن تشتري منه أية هدية فاذا اساءت حبيبتك تفسير هذا الإغفال او النسيان ولامتك على تقصيرك كأنها نقيصة في الحب او في السخاء، ستلاقي الحرج في اعطائها جوابا سديداً اذا رغبت في الاحتفاظ بمودتها وعطفها.

فلوريزال : ايها الشيخ الوقور، انا اعرف انها لا تعلّق كبير اهمية على توافه كهذه. لأن الهدايا التي تنتظرها مني هي مجموعة ومكدسة في فؤادي الذي وهبتها أياه ولم اسلمها اياه بعد. (لبرديتا) دعيني أفتح صدري امام هذا العجوز

الذي يبدو عليه انه احب كثيراً في شبابه. هاتي يدك الناعمة كريش النعام، الناصعة البياض كأسنان الفتاة الحبشية او كالثلج النقي القابع على رؤوس الجبال الشامخة.

بولكسان: ماذا سيجري بعد الآن؟ كم تلطَّف هذا الراعي الشاب بملامسة تلك اليد الناعمة البيضاء! (لفلوريزال) أعذرني لأني قاطعت حديثك. ارجوك ان تعود الى تصريحك، وأن تسمعني اعترافك الصادق الكامل.

فلوريزال: سأتابعه، لأني أؤمن بشهامتك.

بولكسان (يشير الي كميليو): وجاري يشاطرك هذا الرأي.

فلوريزال: هو وغيره ايضاً وجميع من على الأرض وفي السماء وكل الكون. لو كان رأسي مكلَّلاً بتاج اكبر امبراطورية عن جدارة واستحقاق، ولو كنت اجمل شاب بهر بوسامته العيون، وكنت حاصلاً على جميع المقدرة وكل العلوم التي لم يسبق لأحد ان يحويها في شخصه، فإن سائر الإمتيازات لا يكون لها وزن في نظري بدون حبها. ففي سبيلها سأستخدم هذه المزايا ولها وحدها أكرسها وبها وحدها احصرها، وإلا فلتتدهور برمتها في هوّة العدم.

بولكسان: هذه هبة ملوكية.

كميليو: ومَن يبرهن على مثل هذه المودّة العميقة ؟

الراعي: انتِ، يا بنيتي الحبيبة. فهل افضيت اليه بما يوازيها من هيام وتقدير.

برديتا: انا لا يسعني ان ابوح بحرف من هذا القبيل، كلا، ولا حتى ان أفكر بأفضل من ذلك. لأني على نموذج مشاعري أقيس صدق عواطفه.

الراعي: ضعي اذاً يدك في يده، فيتم الإتفاق بينكما. وأنتما ايها الصديقان المجهولان تشهدان على تعهدي التالي: سأزف اليه ابنتي وأمنحها بائنة تساوي ما يملكه هو.

فلوريزال: ما بالك تتكلم عن بائنة؟ المهم فضيلة ابنتك. فبعد موت شخص معين، انا واثق بأن ثروة أضخم مما تتصور ستنتقل اليّ وتدهشك. لكن، لنرتبط أولاً بعهد أمام هذين الشاهدين.

الراعي: هيا، هات يدك ايها الفتى. وأنت يا ابنتي هاتي يدك.

بولكسان : مهلاً أيها الراعي. لحظة، من فضلك (لفلوريزال) هل والدك على قيد الحياة؟

فلوريزال : نعم، لماذا ؟

بولكسان : هل هو على علم بأمر زواجك؟

فلوريزال : هو لا يعلم، ولن يعلم به ابداً.

بولكسان : أظن ان الوالد، في عرس ابنه، هو أعز مدعو يشرّف الحفلة. ارجوك ان تسمح لي بسؤال اضافي: هل والدك غير جدير بإبداء حكم في قضية ما؟ ألم يفقد رشده بداعي العمر او خفة النظر؟ هل هو قادر على النطق وعلى السماع وعلى تمييز انسان من انسان، وعلى المناقشة في مصالحه الخاصة؟ هل يلازم الفراش؟ هل عاد كلياً الى عهد الطفولة؟

فلوريزال : كلا، يا سيدي الكريم. انه يتمتع بكامل صحته وتفوق فطنته اي رجل سواه في مثل سنّه.

بولكسان : أقسم بلحيتي الشائبة، ان كان هذا حاله، فأنت تهين أبوّته. الحكمة تقضي بأن يختار الابن بنفسه شريكة حياته. لكنها تقضي أيضاً في هذا المجال بأن يستشير الابن أباه الذي يسره ان يرى نسلاً صالحاً يكون خير خلف لخير سلف.

فلوريزال : انا لا أعارضك في ذلك. انما لأسباب اخرى، لا حاجة لإطلاعك عليها يا سيدي الجليل، لن يدري والدي بهذا الأمر.

بولكسان : عليك ان تعلمه به.

فلوريزال : كلا، لا حاجة الى ذلك.

بولكسان : ارجوك

فلوريزال : مستحيل

الراعي : اخبره، يا ولدي، ولا تدع له أي مجال ليستاء منك عندما تبلغه أخبارك.

فلوريزال : لا، لا، هذا مستحيل. خذ علماً بعقد الزواج.

بولكسان (ينزع لحيته الطويلة ويكشف عن رأسه) : بل بالطلاق، ايها الأمير الشاب الذي لا أستحسن مناداتك: يا ابني. أجل، انت أحط من ان أتعرف

عليك كولي عهدي ووريث عرشي. انت لا تستحق سوى الضرب بعصى الرعاة. (للراعي) وأنت ايها الخائن العجوز، انا مستاء منك لانك بقبولك هذا الصهر لا يتسنى لي ان أختصر من عمرك الا اسبوعاً واحدا. (لبرديتا) وأنت يا مثال الساحرة الشمطاء، انت تدرين طبعاً مع اي مجنون من الاسرة المالكة تتعاطين.

الراعي : تباً لحظي العاثر!

بولكسان : سأجلد وسامتك بالقضبان الشائكة لأجعلها أحقر من وضاعتك (لفلوريزال) وأنت ايها الشاب العديم الإحساس والشهامة، إعلم انك لن ترى هذه الدمية ابداً، لأني أصر على ان لا تشاهدها بعد الآن. واعلم جيداً اني سأحرمك من الميراث ولن أتعرف عليك بأنك ولدي من لحمي ودمي. كلا، ثم كلا. احفظ جيداً كلامي هذا، والحق بي فوراً الى البلاط، ايها الخبيث الذي سلبتنا افراح هذه الحفلة، وإلا انزلت بك عقوبة صارمة تكون القاضية على حياتك. (لبرديتا) وأنتِ ايتها الساحرة التي لا أتمنى لك ان تكوني من نصيب هذا الراعي الشاب الوسيم لأني أعتبر ارتباطك به اساءة لا تُغتفر، حتى ان تسنى لك أن تضمّيه الى صدرك، فإني أرجو لك ميتة شنيعة بقدر ما أنت رقيقة ناعمة.

(يخرج)

برديتا : ان كان الهلاك نصيبي، فلن اهاب هذا المصير. فلقد صرحت له مراراً بأن الشمس التي تشرق على قصره هي ذاتها التي لا تحجب نورها عن كوخنا وتسطع هكذا بالسواء علينا جميعاً. (لفلوريزال) تفضل بالذهاب، يا مولاي، وقد سبق لي وأنبأتك بما قد يسفر عن رغبتك من نتائج. أستحلفك بكل عزيز، ان تهتم بمصالحك الخاصة. اما حلمي الغالي، الآن وقد صحوت منه، فإني أنبذه وأتنكر له، وسأعود الى بقراتي لأحلبها ولأبكي سوء حظي.

كميليو (للراعي) : هيا اذاً، يا ابي، تكلم قبل ان يوافيك الأجل.

الراعي : انا لا استطيع ان أتكلم ولا ان أفكر، ولا أجسر على البوح بما انا عالم به. (لفلوريزال) يا مولاي، لقد خسرت شيخاً في الثالثة والثمانين من عمره، كان على وشك سلوك الطريق الى مثواه الأخير، في السرير الذي

فارق عليه والده الحياة، وعلى الاستراحة الدائمة الى جانب عظامه الشريفة. أمّا الآن، فلا بدّ لي من دفّان يلفّني بطيّات كفني ويهيل عليّ تراباً لم تحرّكه مجرفة احد من قبل. (لبرديتا) ايتها الشقية الملعونة، كنت تعلمين بأنه الأمير، وغامرتِ عمداً بمبادلتك عواطفه. انا اذاً هالك، انا هالك لا محالة، ولو استطعت ان أؤخر أجلي ساعة واحدة لعشت كي اموت في الوقت المناسب المرتجى.

(يخرج).

فلوريزال (**لبرديتا**) : لماذا تنظرين اليّ هكذا؟ انا حزين لا خائف، ومقهور لا متقلّب. فبما اني لا ازال على ما انا، ومهما سبقتني ظروفي، سأتقدم بسرعة ولن ادع احداً يعترض سبيلي.

كميليو : مولاي النبيل، انت تعرف طبع والدك. وفي هذه اللحظة لا يسمح بإبداء اية ملاحظة، وأنا لا أظنك مستعداً لأن تفعل ذلك، لأني اخشى ان لا يتحمل رؤيتك فيما بيننا. وهكذا الى أن تهدأ ثورة غضب جلالة الملك، عليك ان لا تظهر امامه.

فلوريزال : انا لا انوي ان أتصرف على هذا النحو. (يجابه كميليو) انت على ما أظن؟

كميليو : انا بذاته، يا مولاي.

برديتا (**لفلوريزال**) : كم مرة نبهتك الى ان الأمر سيؤول الى هذه الخاتمة. وكم مرة قلت لك ان تستُّري بالعظمة لن يدوم طويلاً، ولن تلبث حقيقة امري ان تنكشف.

فلوريزال : ان تزول عظمتك الا بالقضاء على عنفواني، او تستحق الطبيعة كل ما يملأ سطح الأرض، وتقضي على معالم الوجود فيها. افتح عينيك، واشطب اسمي، يا ابي، من وراثتك. (لبرديتا) فأنا مصمم على ان أرث حبك فقط.

كميليو : أصغِ الى النصح.

فلوريزال : سأصغي الى نداء قلبي. فاذا وافق عقلي على الاستجابة، تصرفت بحكمة. وإلا طلب هواي المائل الى الجنون، عون رغباتي وأشواقي، فلبيته.

كميليو : هذا محض قنوط، يا مولاي.
فلوريزال : مهما يكن الأمر، فهذا القنوط يحقق لي أمنياتي، وأنا أعتبره هكذا فضيلة، يا كميليو. لا بوهيميا ولا العظمة والفخمة التي تنوبني، ولا كل ما تشرق الشمس عليه، ولا كل ما يضمه باطن الأرض وما تخفيه البحار في أعماقها من كنوز من تقوى مجتمعة على نقض اليمين الذي أقسمته لحبيبتي. فأرجوك انت الذي كنت دوما صديق والدي الحميم المحترم، حالما ينتبه الى غيابي، لأني مصمم على ان لا أراه ابداً، ان تُخمد نصائحك الصائبة لهيب غضبه. سنتخاصم انا والحظ من الآن وصاعداً. فاعلم، وقل له اني سأركب البحر مع التي حرم عليّ امتلاكها وأنا على شواطئه. ولحسن حظي، اخبرك بأني سأبحر في سفينة راسية بالقرب من هنا كنت اعددتها لغاية أخرى. أما الطريق الذي سأسلكه فلا فائدة من ان تعرفه ولا انا ارغب في ان أدلك عليه.
كميليو : مولاي، كم أود ان تكون نفسيتك متأهبة لتقبُّل ما يسدى إليك من إرشاد او ان تكون اكثر اهتماماً بمصلحتك الشخصية.
فلوريزال : كلمة اخيرة، يا برديتا. (لكميليو) سأستمع إليك بعد هنيهة.
(يتحدث بصوت خافت الى برديتا)
كميليو : هو مصمم على الهرب، بدون تراجع. فما اسعدني إذا وظَّفت رحيله لأغراضي، بينما انا أنقذ حياته من الخطر. وفيما انا أثبت له إخلاصي ومودتي، أتمكن من مشاهدة عزيزتي سيسيليا، وهذا الملك التعيس سيدي الذي أتلهف للقائه.
فلوريزال (يتجه نحو الباب) : هيا، يا كميليو الكريم، هناك قضية ضرورية تستعجلني، وعليّ ان اغادرك بدون رسميات.
كميليو : أظنك، يا مولاي، سمعت الناس يتكلمون عن خدماتي البسيطة التي أديتها لوالدك والمودة التي محضته اياها.
فلوريزال : لا أنكر انك كنت جديراً به، وان إطراء اعمالك يثلج صدري، ولا مراء ان مكافأته اياك عنها تعادل حتماً في نظره تقديره اياك.
كميليو : بما انك مسرور، يا مولاي، باعتقادك بأني احب الملك كما احب

اقرب من يلوذ به، اي شخصك الغالي، ارجوك ان تسمع نصيحتي، إذا امكن تعديل مشروعك بعد درسه بإمعان، اقسم لك بشرفي اني سأدلك على مكان امين تلاقي فيه استقبالاً حاراً يليق بسموك، وتستطيع فيه امتلاك حبيبتك بدون ان تقوى سلطة في العالم على الفصل بينكما، إلا هلاكك الذي اسأل الآلهة ان تنجيك منه. هناك تقترن بها، وفي اثناء غيابك سأحاول بذل كل جهدي لتخفيف وطأة حقد والدك عليك كي يعود ويشملك برعايته الأبوية.

فلوريزال : كيف تتصرف هكذا، يا كميليو؟ يكاد هذا الترتيب يكون أعجوبة. تكلم لكي ارى فيك الرجل المخلص وأمنحك كامل ثقتي باستمرار.

كميليو : هل قررت وجهة رحيلك؟

فلوريزال : لا، لم أقررها بعد. بما ان إبحارنا سببه مغامرة غير متوقعة، نعتبر ذواتنا كأننا اسرى الحظ او هباء يتطاير ويتبعثر مع كل هبة ريح.

كميليو : اصغِ اليّ اذاً. ان كنت لا تريد ان تقلع عن مشروعك، واذا ظللت مصمماً على الهرب، فالأفضل ان تبحر الى صقلية، وهناك تقدم نفسك وتعرّف عروسك الجميلة الى الملك ليونتي، وأنا على يقين بأنها ستصبح اميرة وترتدي كما يليق بشريكة حياتك. يخيل اليّ اني ابصر ليونتي يستقبلكما ويضمكما الى صدره بشوق ولهفة تستدرّ من عينيه دموع الفرح والغبطة. ويطلب الصفح منك انت ابنه كما لو كنت أباه بالذات. ويقبِّل يدي اميرتك الشابة، موزعاً بين خشونته ونعومته، طارداً سيئاته الى الجحيم ومكبراً حسناته بعواطف اسرع من الوقت ومن الفكر.

فلوريزال : يا كميليو النبيل، لكي ابرر زيارتي، بأية حجة تنصحني بأن أتذرع؟

كميليو : تدّعي بأن والدك الملك اوفدك لتنقل اليه تحياته وتقدم له تعازيه. اما الأسلوب الذي يجب عليك ان تنتهجه حياله والأمور التي تحتم اللياقة عليك ان تطلعه عليها كأنها من قبل ابيك عن اسرار نعرفها نحن الثلاثة فقط، فسأكتبها لك وأدلك على ما ستبلغه اياه بنداً بنداً في كل مقابلة بشكل يقنعه بأنك حائز على ثقة والدك الكاملة وانك تعبر عما يخالج صميم فؤاده.

فلوريزال : انا شاكر غيرتك، لأن رأيك هذا هو عين الصواب.
كميليو : هذا أولى من اندفاعك وراء المغامرة، في مياه غير مأمونة الى شواطىء ضائعة تحيق بها جبال جرداء وعرة لا مجال لحمايتك من حدة انحداراتها الا اذا عرفت كيف تتحاشى هوّاتها السحيقة، وأنت على يقين بأن مرساتك في تلك الأمواج الهائجة لا تقوى على ابقائك حيث انت بدون ان تجعل اليأس يتطرق الى نفسك. على كل حال، انت تعرف ان الإزدهار هو آمن وثاق بين المحبين لأن هواهم عرضة للفتور والتقلب تحت وطأة البؤس والشقاء.
برديتا : هذا نصف صحيح. فالحزن يذوي الوجه، لكنه لا يشوه العواطف.
كميليو : أجل، الأمر كما تقولين، وأنا أشك بأن أباكِ من الآن الى ما بعد سبعة أعوام لن ينجب فتاة اخرى تضارعك وسامة وفطنة.
فلوريزال : يا عزيزي كميليو، هي متفوقة علينا في قدرها كما نحن متفوقون عليها بالمولد وعراقة النسب.
كميليو : لا يسعني الا القول بأن نقص ثقافتها مؤسف جداً، لأنها تبدو كأنها تنتمي الى فئة أنصاف المتعلمين.
برديتا : العفو، يا سيدي. ان تورّد وجنتيَّ شكر صريح صادق موجه اليك.
فلوريزال : ما احلاكِ يا حبيبتي برديتا! يؤسفني ان ألفت انتباهك الى ما نسير عليه من الشوك. يا كميليو، يا منقذ ابي ومنقذي الآن، يا طبيب نفوسنا، أرجوك أن تقول لي ما العمل؟ أنا غير مؤهّل كما يترتّب على ابن ملك بوهيميا ان يكون، ولا يسعني ان اظهر في صقلية.
كميليو : لا يقْلق لك بال من هذه الناحية، يا مولاي. أظنك تعلم ان نصيبك البقاء في هذه البلاد، وأود ان تكون مرتدياً ما يليق بالملوك كأنك تقوم مقامي. أؤكد لك على سبيل المثال انك لن تحتاج هنا الى أي شيء. (كمليو وفلوريزال وبرديتا ينسحبون جانباً).
اوتوليكوس (يدخل) : الاستقامة المغفَّلة نوع من الهوس، والثقة العمياء أختها في البلاهة. فما اسخفهما! لقد بعت كل ما كان لدي من لوازم الزينة البرّاقة: كالاحجار الكريمة والأشرطة والبلُّور وآنية العنبر والمشابك والدفاتر والأغاني

والسكاكين والزنانير والقفازات وسيور الأحذية والأساور والخواتم، ولم يبق لدي من سلع تملأ جعبتي. لقد تزاحم الناس عليّ لشراء اصنافي كأن تحفي مقدسة الخير والبركة على من يقتنيها. بهذه الطريقة رأيت انها كانت تستحوذ على احلى بسماتهم، وما عانيته حسبته كأنه من مكاسبي. اما القروي الذي لم ينقصه الا القليل لكي يكون رجلاً نبيهاً، فكان غارقاً في شوقه الى اغاني هؤلاء الفتيات حتى انه مد يده الى جيبه قبل ان يحصل على النغم والكلام. وهذا ما اجتذب اليّ باقي القطيع وجعل الجميع بلا استثناء آذاناً صاغية اليّ. فكان باستطاعتي أن أسلب أية ابنة حواء بدون أن يشعر أحد بذلك. ولم يكن أسهل عندي من سحب اية محفظة من جيب أحرص رجل، ومن استهواء المهج المكبلة بأمتن السلاسل. اذا فقد الجميع السمع والبصر والاحساس ليصغوا الى أنشودة الأستاذ وليعجبوا بنكاته الظريفة. لذلك اغتنمت فرصة هذه الغيبوبة لأفرغ معظم الأكياس الغاصة بالنقود بمناسبة العيد. ولو لم يفاجئني العجوز وهو يغمغم لائما ابنته وابن الملك، او لم يروّع ضحاياي لما كنت تركت كيساً واحداً في حوزة هذا الجيش من الأغبياء. (يعود كميليو وفلوريزال وبرديتا الى مقدمة المسرح).

كميليو (لفلوريزال) : أجل، لكن الرسائل التي اتت في وقت وصولك، قد بددت هذا الريب.

فلوريزال : والأجوبة التي يعطيها الملك ليونتي؟

كميليو : سترضي والدك حتما.

برديتا : أتمنى لك النجاح. لأن كل ما تقوله يبدو لي مقنعاً.

كميليو(وهو يبصراوتوليكوس) : منْ الموجود معنا؟ دعنا نستخدم هذا الرجل غير ساهين عن كل ما من شأنه ان يساعدنا.

اوتوليكوس (على حدة) : لو سمعني احد قبل لحظة لما نجوت من المشنقة.

كميليو : لماذا ترتجف هكذا، يا صاح؟ لا تخف، يا صديقي، لأننا لا نريد بك شرا.

اوتوليكوس : انا متسوّل مسكين، يا سيدي.

كميليو : ثابر على عملك، فلا أحد ينوي أن يحرمك هذه الوضيعة. أمّا

ما يختص بمظاهر فقرك فسنجري عليها بعض التغيير: إخلع ثيابك حالاً لأن القضية عاجلة، وتبادل ملابسك وهذا الوجيه. ومع ان الربح في هذه العملية ليس بجانبه سينوبك حتماً بعض الكسب في هذه الصفقة. (يعطيه كيس نقوده).

اوتوليكوس : انا متسوّل مسكين كما قلت لك يا سيدي. (على حدة) لقد عرفتك يا غشّاش.

كميليو : ارجو ان تعجِّل لأن هذا الوجيه قد خلع نصف ثيابه.

اوتوليكوس : أتتكلم جدّياً، يا سيدي؟ (على حدة) اني أشم رائحة خبثك، يا أفّاك.

فلوريزال : ارجوك، ثم ارجوك ان تعجِّل.

اوتوليكوس : لا انكر اني قبضت العربون. لكن ضميري لا يطاوعني على الاحتفاظ به.

كميليو : فك ازرارك، هيا فك ازرارك. (فلوريزال وأوتوليكوس يتبادلان ملابسهما). (لبرديتا) انت محظوظة ايتها الأميرة. وأتمنى ان تتحقق نبوءتي في ما يتعلق بك. انسحبي الى ملجأ امين. ضعي قبعة حبيبك على رأسك وانزليها حتى حاجبيك، واخفي وجهك بلثام. ثم شعِّثي ثيابك. وعلى قدر الإمكان اخفي معالم جنسك كي تتمكني من الوصول الى السفينة بدون ان يعرفك احد لأني اخشى عليك من الأنظار المتطفلة.

برديتا : ها انا اراها، والحجرة مرتبة بشكل يدل على اني سأمثل دوراً في المسرحية.

كميليو : هذا لا غنى عنه. (لفلوريزال) هل انتهيت من تجهيز نفسك؟

فلوريزال : اذا صادفت الآن ابي لا يمكنه ان يعرف اني ابنه.

كميليو (لبرديتا المتنكرة) : لا تنظري الى قبعتك. تعالي، يا سيدتي، تعالي من هنا. (لأوتوليكوس) وداعاً يا صاحبي.

اوتوليكوس : وداعاً، يا سيدي.

فلوريزال : يا برديتا، ماذا نسينا كلانا؟ كلمة واحدة من فضلك.

(يتنحي بها جانباً)

كميليو : اول ما سأفعله هو اخبار الملك بهربهما وبالوجهة التي سلكاها.

وآمل هكذا، بما لي من نفوذ، ان ادفعه الى اللحاق بهما وبمرافقته ابلغ صقلية التي فاض بي الشوق كالنساء الى رؤيتها.

فلوريزال : ارجو ان يحالفنا الحظ. فلنتجه نحو الشاطىء، يا كميليو.

كميليو : والأسرع هو الأفضل.

(يخرج فلوريزال وبرديتا وكميليو).

اوتوليكوس : الآن فهمت اللعبة واستوعبتها. عليّ ان أرهف أذنيَّ وأن أفتح عينيّ وأن أخفف يديَّ لأن هذه كلها لا غنى عنها لاختلاس اكياس النقود، وكذلك الأنف السليم الشم والاستعانة اثناء العمل بسائر الحواس. في هذه الأيام، كما ارى، ليس سوى الرجل الشرير الذي تزدهر اشغاله (ينظر الى ملابسه) صفقة موفقة بدون ان احسب للرشوة اي حساب. (يزن بيده كيس النقود) وأية رشوة احصل عليها سأعتبرها علاوة. لا شك في ان الآلهة تحالفنا هذه السنة وما علينا الا ترقب جميع المفاجآت. فالأمير نفسه منشغل في عملية مشبوهة. ويتوارى عن نظر ابيه وهو يجر القيود التي تثقل قدميه. ولو لم أعتقد بأن تنبيه الملك عمل شريف لكنت قمت بذلك فوراً، غير اني اجد المكر أنجع في اخفاء الأمر وبهذا اكون حقاً اميناً لمهنتي.

(يدخل المهرّج والراعي)

لأقف جانباً وأترقَّب. هذه عملية جديدة تصدر عن دماغ نشيط. فليس من طريق او دكان او معبد او عقد جلسات او شنق مجرمين لا يؤمّن عملاً للرجل المجتهد.

المهرّج (للراعي) : انظر، انظر. ماذا تفعل الآن؟ ليس من مصدر رزق وافر سوى اعلام الملك بأنها ابنة لقيطة، وانها ليست من لحمه ودمه.

الراعي : كلمة واحدة تكفي.

المهرّج : أجل كلمة واحدة.

الراعي : اكمل اذاً.

المهرّج : قل له: لقد تبيَّن لي انها ليست من لحمك ودمك، لأن لحمك ودمك لا يهينان جلالتك. لذلك لا سبيل الى لحمك ودمك ان ينالا العقاب. ثم أرِه جميع الأدلة التي وجدتها حولها وكل العلامات التي يعرفها الجميع،

فضلاً عن ألبستها. وهذا، أؤكده لك، يجعلك تستفيد حقاً وأنت تستعين بالقانون.

الراعي : سأروي للملك كل ذلك كلمة كلمة. سأخبره بانحرافات ابنه الذي، استطيع القول عنه انه لم يحسن التصرف كرجل شريف، لا نحو ابيه، ولا نحوي، حين سعى لتزويجي ابنة الملك.

المهرّج : صهر الملك، هذا أقل ما يمكنك ان تصبح بالنسبة اليه. حينئذ تغدو أقّة دمك لا تقدر بثمن.

اوتوليكوس(على حدة) : هذا تعليل لا بأس به، يا محتال.

الراعي (يأخذ رزمة) : هيا نقابل الملك. ففي هذه الرزمة ما يكفي ليحيِّر أرجح العقول.

اوتوليكوس (على حدة) : لست أدري ماذا سينجم عن هرب سيدي الصغير.

المهرّج : أتمنى من كل قلبي ان يكون في القصر.

اوتوليكوس : مع ان الشرف ليس من صفاتي، يا للأسف، فقد يتسنى لي ان اكون شريفاً بالصدفة. لذا عليّ ان اخفي ما يشير الى اني بائع متجول. (ينزع لحيته المستعارة ثم يتقدم نحو الراعيين) الى اين تذهبان في هذا الإتجاه، ايها القرويان؟

الراعي : الى القصر، اذا اذنت لنا، يا محترم.

اوتوليكوس : هل تستدعيك الى هناك بعض القضايا؟ وما هي؟ ومع من؟ ماذا تحوي هذه الرزمة؟ اين تقطن؟ ما هو اسمك وعمرك؟ ماذا تملك وما هي احوالك؟ اجبني بكل دقة عما يمكن ان تعرّف به عن شخصك بصدق وصراحة.

المهرّج : انا ورفيقي من ألطف الرجال، يا مولاي.

اوتوليكوس : هذا كذب ونفاق. كل واحد منكما أخبث من رفيقه. انا لا أريد ان يكذب عليّ احد. فالكذب يصلح للتجار الذين غالباً ما يغشوننا نحن رجال السلاح. ما دمنا لا بحد السيف بل بالنقود الفضية نشتري ما يحلو لنا، فلا خطر من ان يقدموا لنا مجاناً حتى تكذيب ما يتفوهون به.

المهرّج : كنت سيادتك على وشك ان تتحفني بهدية لو لم تسحبها بأدب.

الراعي : لا تغضب يا سيدي. هل انت من رجال الحكم؟
اوتوليكوس : ان غضبت او لا، فأنا من رجال الحاشية. أَوَلا ترى مظاهر الحكم متجلية على ملابسي هذه؟ أَوَليس في خطواتي وقع البلاط؟ أَوَلا يشم انفك رائحة البلاط الفائحة مني؟ أَوَلا تنعكس على دناءتك انفة اهل البلاط؟ أَوَتظن، لأنني سألتك ان تفيدني مفصلاً عن احوالك الشخصية، انني لست من رجال الحاشية؟ انا من اهل البلاط من قمة رأسي الى أخمص قدميّ، وأستطيع على هواي ان أسهِّل او أعرقل لك قضاياك في البلاط الملكي. لذلك أنذرك بأن تعلمني فوراً عن كل ما يمتّ اليك بصلة.
الراعي : انا قادم لأقابل الملك.
اوتوليكوس : ومن يتوسط هناك بينك وبينه؟
الراعي : بكل صراحة، لست ادري.
المهرّج (بصوت خافت للراعي) : هل التوسط في لغة البلاط معناه الرشوة؟ صارحني بأن ليست لديك نية من هذا القبيل.
الراعي : انا ليس لدي ديك ولا دجاجة ولا طيور أهديها.
اوتوليكوس : كم نحن سعداء اذاً بكوننا رجالاً غير بسطاء! مع ذلك كان بامكان الظروف ان تجعلنا نولد مثلهم. لذلك علينا ان لا نتشامخ على اي انسان.
المهرّج (للراعي) : لا بد من ان يكون سيادته احد كبار رجال الحاشية.
الراعي : ان ملابسه تدل على ثرائه. لكنه لا يرتديها بأناقة.
المهرّج : يلوح لي ان نبله يعادل ما يبديه من عجرفة. وأؤكد لك انه شخصية كبيرة وقد عرفت ذلك من اسنانه النظيفة.
اوتوليكوس (للراعي) : وهذه الرزمة، ماذا تحوي؟ وماذا يوجد في هذا الصندوق الصغير؟
الراعي : في داخل هذا الصندوق وهذه الرزمة اسرار يجب ان لا يطلع عليها الا الملك نفسه، وسيعرفها قبل مرور ساعة، اذا تمكنت من التحدث اليه.
اوتوليكوس : اين، يا ترى، ضيَّعت شيبتي؟
الراعي : لماذا تقول هذا، يا سيدي؟

اوتوليكوس : لأن الملك ليس في القصر. لقد ذهب على متن سفينته الجديدة للترويح عن نفسه وتبديد كآبته، وتنشُّق الهواء النقي. فان كنت مطلعاً على الأمور الهامّة، علمت ان الملك يشكو من آلام شتى.

الراعي : هذا ما يقال، يا سيدي. والسبب هو ابنه الذي ينوي ان يتزوج ابنة احد الرعاة.

اوتوليكوس : اذا كان هذا الراعي لم يقع بعد في يد العدالة، عليه ان يهرب سريعاً. لأن ما سيقاسيه من العذاب وسينتابه من الألم يكسر ظهر رجل صنديد ويحطم قلب غول شرس.

المهرّج : أتظن ذلك؟

اوتوليكوس : لن يتحمل وحده كل ما تبتدعه مخيلته من عذاب أليم وانتقام مرير، انما جميع اهله ايضاً حتى الجيل الخمسين من ذريته ستمر أعناقهم في حبل المشنقة. هذا مؤسف حقاً، ولكن لا غنى عنه. هذا الملعون، سارق الماعز، مربي الخراف، يريد ان يجعل من ابنته اميرة صاحبة سمو. يقول البعض ان عقابه يجب أن يكون الرجم بالحجارة. لكن هذه الميتة لطيفة بالنسبة الى جرمه كما اقول انا، ونظراً الى فظاعة تحويله عرشنا الى زريبة مواشي تكون ميتة كهذه أهون الميتات وألطفها رغم قساوتها.

المهرّج : هل رزق هذا العجوز في حياته ابناً، يا سيدي؟ هل سمعته يعلن ذلك؟ ارجوك ان تفيدني، يا سيدي.

اوتوليكوس : له ابن يستحق ان يسلخ جلده حياً، ثم ان يدهن عسلاً ويوضع في وكر الزنابير، حيث يُستبقى حتى يدبّ الموت في ثلاثة أرباع جسمه، ثم ينقع في الكحول او غير مادة محرقة وهو متضرج بدمائه في أحر يوم يتوقعه تقويم المناخ ويعرض على حائط من القرميد وقد حمَّته أشعة الشمس الحادة حتى يمسي طعمة الذباب. لكن ما نفع التحدث عن هذين المسخين، هذين الخائنين اللذين تبتسم لآلامهما، لأن اثمهما هائل فظيع؟ ألا قل لي، لأنك رجل حرّ شريف، ماذا تريد من الملك ؟ فبقدر ما تفصح عن رغبتك التي أظنها تستحق الأخذ بعين الإعتبار، بقدر ما يسهِّل لك ولرفيقك اصطحابكما معي ومثولكما بين يدي الملك، بعد ان أهمس كم كلمة مناسبة في أذنه

لصالحكما، فان كان هناك رجل بعد الملك يتسنى له خدمتكما فهو، بدون شك، انا الواقف امامكما.

المهرّج (بصوت خافت للراعي) : يبدو لي انه واسع السلطة والنفوذ، فاقترب منه واعطه بعض القطع الذهبية. ومهما كانت السلطة كالدب الخشن ففي اغلب الأحوال يجعلها الذهب أطوع من بنانك. أرِه ما بداخل كيس نقودك وبدد عنك كل قلق، ثم تذكّر ما قال: سيرجم ويسلخ جلده حيا.

الراعي (لأوتوليكوس) : اذا تنازلت، يا سيدي، ودبرت لنا امرنا، فلك هذه القطع الذهبية. وأستطيع ان أتحفك بغيرها ايضاً. وسأترك لك هذا الشاب رهينة الى ان أسلمك المبلغ بكامله.

اوتوليكوس : سيتم ذلك عندما أفي بوعدي طبعاً.

الراعي : أجل، يا سيدي.

اوتوليكوس : حسناً. على كل حال اعطني نصفه (يدس في جيبه القطع الذهبية التي يناوله اياها الراعي. للمهرج) هل انت شريك في القضية؟

المهرّج : الى حد ما، يا سيدي. لكن مهما كان حالي يرثى له، ارجو ان لا يسلخ جلدي وأنا حي.

اوتوليكوس : هذا حال ابن الراعي فقط. سيشنق ويجعل عبرة لمن يعتبر.

المهرّج : هذا مطمئن للغاية. هيا نذهب لمقابلة الملك. ولنظهر امامه بهيئة مرضية. يجب ان لا يعرف انها ابنتك ولا اختي. وإلا هلكنا معاً. سأعطيك يا سيدي، بقدر ما استلمت من العجوز عندما تقضي حاجتي. وأنا أمكث عندك كرهينة، حسب ما قال، الى ان تستلم كامل المبلغ.

اوتوليكوس : اني أئتمنك على الباقي. تقدما نحو الشاطىء والفتا الى اليمين. سألقي نظرة على ما وراء السياج ثم أتبعكما.

المهرّج : بارك الله همة هذا الرجل.

الراعي : هيا نتقدم كما طلب منا. حقاً لقد ارسلته السماء لإنقاذنا.

(يخرج الراعي والمهرج)

اوتوليكوس : كم وددت ان اكون شريفاً. لكن حظي لم يسمح لي يوماً بذلك. وها هو قد وضع اللقمة سائغة في فمي. فعليّ ان أنعم الآن بحظين

لا يستهان بهما: حصولي على الذهب الوافر، وفرصة استخدام نفوذ سيدي الأمير. ومن يدري كم سيعجل ذلك على تقدمي في المكانة والرفعة؟ سأقود هذين المغفلين الى السفينة كأعميين. فان حسن لديه ان يستمع اليهما فخير على خير، واذا وجد ان الإزعاج الذي أسببه له في غير محله، فليعاملني كمحتال أفاك ان شاء، ويعلمني كيف أتصرف في المستقبل كوسيط. انا الآن رهن التجربة التي تعرضني اما للمذلة وإما للمفخرة. على كل حال، سأقدمها للأمير، فربما وجد لحالهما بعض الفائدة.

الفصل الخامس

المشهد الأول

في صقلية ـــ في القصر الملكي

(يدخل ليونتي وكليومان وديون وبولين وبعض رجال الحاشية)

كليومان (لليونتي) : لقد اشتغلت كثيراً يا مولاي، ووفيت قسطك من التعب والعذاب، مع انك لم ترتكب اثماً لكي تكفر عنه. ولقد عوضت بالتوبة عن جميع اخطائك. اخيراً، افعل ما تطلبه منك السماء، وانسَ الشر وسامح كما غفر لك من اسأت اليهم.

ليونتي : ما دامت ذكراها محفوظة في صدري وفضيلتها حاضرة في ذهني لن اتغاضى عما ألحقته بي من قلق وهمّ يثبط عزيمتي ولن أغفل عما تركته في نفسي من تخاذل وخنوع، اذ أبقيت عرشي بدون وريث وعجلت بالموت على رفيقة عمري التي لم يأمل زوج بالحصول على مثلها.

بولين : هذا صحيح يا مولاي. ولو تسنى لك ان تقترن بفتيات العالم، واحدة فواحدة، وأن تقطف من كل منهن زنبقة جمالها لتجعل منها امرأة كاملة الأنوثة، ستظل التي قتلتها متفوقة على جميع بنات جنسها.

ليونتي : انا مؤمن بذلك. تقولين اني قتلتها. أجل، انا ارتكبت هذه الجريمة النكراء، وتذكيري بها هكذا أعده طعنة نجلاء من يدك في صميم فؤادي.

فهذا اللوم على شفتيك اقسى بما لا يقاس مما هو في ضميري وأمرّ الف مرة من العلقم. ارجوك ان تكوني رقيقة العاطفة، ومن الآن وصاعداً ان لا ترددي هذا على مسمعي الا نادراً.

كليومان : لا تكرري ذلك ابداً، يا سيدتي. اذ يمكنك ان تسردي لي الف حكاية انسب منها تبرز طيبة قلبك.

بولين : انت تتمنى ان تراه متزوجاً ثانية.

ديون : ان لم يندرج هذا في تمنياتنا، نصبح بلا رحمة تجاه الدولة، ولا همّ لنا حيال ذكرى اسمه العظيم. انت قلما تفكرين بالأخطار المحيقة بالمملكة وهي على وشك تفكيك الأجيال الصاعدة وقرضها في حال عدم ايجاد ولي عهد يستلم زمام العرش من بعده. هل من خير افضل من التمتع بالغبطة التي كانت الملكة الراحلة تنعم بها؟ ليس اصلح من السعي الى توطيد أركان السلطة لتأمين الحاضر وانقاذ المستقبل، ومن اعادة الهناء الى سرير صاحب الجلالة على يد رفيقة جديدة حلوة وفيَّة.

.**بولين** : ليس من امرأة تليق بمقامه بعد التي غابت. على كل حال، تعمل الآلهة على تتميم مشيئتها الغامضة. أوَلم يعلن الكاهن الأكبر ابولون الوقور، في نص ارشاده ان الملك ليونتي لن يكون له وريث قبل ان يلتقي ولده الضائع. أملنا وطيد بأن يرجع هذا المفقود فيحقّق لنا أغلى أمانينا وأحلامنا كبشر. اذ لا يسعنا أن نتصوّر رؤية انتيغون يفتح قبره ويعود اليّ، هو الذي لا أشكّ بأنه هلك كما هلك ولده. وأنت ترتئي أن يقاوم الملك مشيئة السماء ويعاكس ارشادها. (لليونتي) لا تهتم بأمر الخلف، فالعرش لن يعدم وريثاً يعتليه. الإسكندر الكبير ترك عرشه لمَن مِن أعوانه كان الأجدر، وهكذا تسنى لخلفه ان يحظى بمصير افضل.

ليونتي : يا بولين الكريمة، انا اعلم انك تحفظين لهرميون اغلى ذكرى وأكبر اعجاب. وأنا ألوم نفسي على عدم اصغائي الى نصحك. الآن فقط أتأمّل في عيني زوجتي الملكة بإكبار، وأتمنى أن أجني من جديد ثروة من الحنان بقربها.

بولين : وأن ترعاها اكثر من ذي قبل بالحب والهناء.

ليونتي : حقاً ما تقولين. وبما ان لا امرأة أولى منها، فلا زواج موفقاً ينتظرني

بعد اليوم. أأنا أختار امرأة غيرها لا توازيها بالحسنات، وأخصها بمعاملة أجود منها؟ هذا يكفي لكي تعود روحها الطاهرة الى جسدها وترجع الى مسرح هذا العالم حيث كنا نتلقى كلانا كمذنبين آهات النفس المعذبة. « لماذا كنت أقل عطفاً عليها؟ ».

بولين : لو كانت تتمتع بالمقدرة، لحق لها ان تتصرف على غير هذا النحو.

ليونتي : لقد كانت مقتدرة، ولو كانت لا تزال على قيد الحياة لحرضتني على قتل المرأة التي قد أتزوجها.

بولين : لو كنت ظلها الهائم على الأرض لفعلت مثلها وأنذرتك بأن تتعظ بسحنة هذه المرأة الغريمة، وسألتك ما الذي اعجبك في ملامحها الغريبة حتى اخترتها؟ ولصرخت عندئذ على مسمعها بصوت عالٍ يصم الآذان هذه الكلمة الوحيدة: « تذكّريني »

ليونتي : كانت نظراتها كالكواكب النيرة، بينما غيرها كانت عيونها كالفحم المطفي. لا تخشى عليّ من امرأة سواها لأني لا انوي ان اتزوج، يا بولين.

بولين : اقسم لك انك لن تتزوج، الا اذا وافقت انا بحرية وعلانية.

ليونتي : أبداً، يا بولين. أقسم لك بأعزّ ما لديّ اني لن أتزوج.

بولين (لرجال الحاشية) : أرجوكم، يا سادتي، ان تشهدوا على يمينه.

كليومان : انت تلزمينه بتجربة قاسية جدا.

بولين : الا اذا اعترضت سبيله امرأة اخرى شبيهة بهرميون كصورة طبق الأصل عنها.

كليومان : سيدتي الكريمة.

بولين : لقد انتهى الحديث. (لليونتي) مع ذلك اذا شئت، يا مولاي، ان تتزوج وأنت بحاجة ماسة الى ذلك، كما ألاحظ، فوّضني ان أختار لك الملكة الجديدة التي لن تكون شابة نظير الأولى، لكنها ستكون مدعاة فرح للملكة المتوفاة، لو عادت، بأن تراها بديلة عنها.

ليونتي : عزيزتي بولين الوفية، لن اتزوج الا عندما ترضين بذلك.

بولين : سيتم الأمر حين تقوم الملكة الأولى من بين الأموات، وإلا لن يحدث ذلك مطلقاً.

(يدخل احد الوجهاء)

الوجيه : هناك شاب يدّعي انه الأمير فلوريزال ابن بولكسان، تصحبه اميرة من اجمل ما شاهدت عيناي من حسان، يريد مقابلة سموك.

ليونتي : لماذا لا يأتينا كما يقتضيه مقام والده؟ فوصوله المفاجىء بدون موعد يوحي اليّ بأن زيارته غير قانونية، لكنها ضرورية بحكم الأسباب القاهرة او الطوارىء. فما هو مستواه؟

الوجيه : يرافقه عدد قليل من الأشخاص مظاهرهم جميعاً زريَّة.

ليونتي : أتقول ان اميرة تصحبه؟

الوجيه : أجل، وبرأيي هي نصيب ليس له مثيل على الأرض، ولم تشرق الشمس على صبية افضل منها.

بولين : يا هرميون، ها هو الحاضر يتشامخ على الماضي الأولى منه بما لا يقاس. وعلى هذا الأساس يتسابق الى القبر ما نراه اليوم يتراكض متزاحماً على وجه الأرض. (للوجيه) انت قلت لي ان ليس لشخصها شبيه. وهكذا كانت في الماضي أشعارك تفيض اعجاباً بجمال الملكة، فما هذا التراجع المؤسف من قبلك؟ يبدو عليك انك تدّعي العثور على مَن هي أكمل منها فضيلة وبهاء.

الوجيه : عفواً يا سيدي. الأولى كدت أنساها فسامحني. اما الثانية فمتى ألفها نظرك ستحوز حتماً على رضاك. فهي امرأة، في حال تصميمك على تأسيس أسرة جديدة، قادرة على تبديل عواطفك القديمة، واستهواء جميع عارفيها واستقطاب اعجابهم بلا استثناء.

بولين : ماذا تقول؟ حتى النساء؟

الوجيه : سيحبها النساء لأنها امرأة متفوقة على معظم الرجال، والرجال لأنها جوهرة نادرة بين جميع بنات حواء.

ليونتي : هيا يا كليومان، جئنا بهؤلاء الضيوف، انت وجميع اصحابك النبلاء. (يخرج كليومان مع رجال الحاشية والوجيه) ان مجيئهم المفاجىء حقاً لأمر غريب.

بولين : اذا كان اميرنا الشاب، لؤلؤة البنين، حيا في هذه الآونة لكنا نراه

نظيره تماما. اذ ليس بينهما من فارق في العمر سوى شهر واحد.
ليونتي : ارجوك ان تكفف عن الكلام. انت تعلم انه لا يحجم حتى عن الموت في سبيلي عند الإقتضاء. لا شك في انك، عندما أقابل هذا الوجيه، ستقودني بأقوالك الى التفكير بشكل يسد عليّ منافذ المعقول. ها هم آتون.

(يدخل كليومان وفلوريزال وبرديتا والحاشية)

كانت والدتك امينة في حظيرة الزواج ايها الأمير الشهم لأنها منحت والدك الملك نسلاً مثالياً عندما حبلت بك. لو كان لي من العمر احدى وعشرين سنة فقط لتجلت لعينيك صورة ابيك في هيئتك الحالية، فأنت وسيم الطلعة تطفح صحة وحيوية الى حد اني أود ان ادعوك اخي كما كنت ادعوه، وكنت حدثتك عن بعض ألاعيب صبيانية كنا نقوم بها معاً في ذلك الزمان. فأهلاً بك وبأميرتك الحلوة التي تضارع الآلهة سحراً وبهاء. واحسرتاه، لقد فقدت شاباً وصبية، لو ظهرا الآن بين الملأ، لكانا انجبا أنجالا يوازونكما بالرقة والوسامة. ثم لشدة هوسي فقدت مودة والدك وصداقته. فما أثقل هذا البؤس والشقاء الذي يجثم كالكابوس على صدري. واليوم لا أتمنى على الحياة الا ان تجمعني به ولو مرة واحدة لأطفيء لظى شوقي اليه.
فلوريزال : بناء على اوامره نزلت الى شواطيء صقلية، وقد كلفني ان أقدم لك من قبله أصدق تمنياته كملك صديق يستطيع ان يهديها الى اخيه الحبيب. ولو لم يضعف العجز، بسبب تقدمه في السن، من قواه البدنية اللازمة لتحقيق اللقاء، لكان هو نفسه اجتاز البر والبحر الذي يفصل بين عرشيكما لكي يشاهدك لفرط ما يحفظه لك في أعماق قلبه من محبة واخلاص وقد كلفني بأن أنوب عنه بالتعبير لك عن مشاعره هذه وهي اغلى عليه من التاج والصولجان.
ليونتي : اهلاً بك يا اخي الشهم الكريم. ان ما بدر مني نحوك من شكوك وأذى يحرك من جديد عذاب ضميري. وبوادر طيبة قلبك للترحيب بي ولرعايتي ما هي في الحقيقة الا اتهام صريح لي بأن تقصيري طال مداه. فدعني أرحِّب بك كما تستقبل الأرض جمال الربيع. (يشير الى برديتا) هل

عرّض بولكسان هذه التحفة الرائعة للمخاطر والمتاعب، لتأتي وتسلّم على رجل لا يستحق كل هذا الإهتمام والإنزعاج.

فلوريزال : هي آتية من ليبيا، يا مولاي.

ليونتي : حيث المقاتل أسمالوس النبيل الشهير الذي يرهبه ويجلّه الجميع.

فلوريزال : نعم، من تلك الاصقاع نحن آتون، يا مولاي. وقد غادرناه وهو حزين دامع العين لأنه فارق ابنته لأول مرة. ومن هناك دفعتنا الرياح الجنوبية ووجهتنا الى طرفكم لتنفيذ الأمر الذي اصدره اليّ والدي بزيارة سموك. وحين وصلت، ارجعت عدداً كبيراً ممن رافقني من الرجال ليعودوا الى بوهيميا ويخبروا بما لقيته من نجاح في ليبيا وبوصولي الميمون مع زوجتي الى بلادكم المضيافة.

ليونتي : نطلب من الآلهة الأجلاّء ان يطهروا أجواءنا من كل رجس ما دمت أنت فيما بيننا. ان والدك رجل قديس وسيد فاضل، أخطأت أنا بحقّه رغم صلاحه وشهامته. فلمعاقبتي، حرمتني السماء من ولديّ الحبيبين، بينما هو باركته ومنحته فيك ابناً جديراً فاضلاً معززاً. فما اسعدني ان يتسنى لي في هذه اللحظة ان أقر عينا بابن وابنة رائعين نظيركما.

(يدخل وجيه)

الوجيه : ايها المولى الكريم، ان ما سأنبئك به يكاد لا يصدق، ولو كانت الدلالة على حقيقته قريبة جداً. اسمح لي ايها المولى العظيم ان انقل ما كلفني به ملك بوهيميا من عاطر السلام، وأن اطلب منك ان تعتقل ابنه بصرف النظر عن مقامه الرفيع وما يستوجب من اكرام، لأنه تخلى عن والده وعن مستقبله وهرب بصحبة ابنة احد الرعاة.

ليونتي : اين ملك بوهيميا؟ تكلم.

الوجيه : هنا في المدينة. وقد تركته منذ لحظة. ان حديثي المتقطع يبرر دهشتي ورسالتي. ففيما هو مقبل الى بلاطك، بدون شك، لملاحقة الشاب والصبية الهاربين صادف في الطريق والد المدعية بأنها اميرة بصحبة اخيها، وقد غادر الثلاثة بلادهم خلسة.

فلوريزال : كميليو خانني وهو الذي صان شرفه ووفاءه حتى الآن في وجه جميع العواصف التي هبت عليه في البلاط.

ليونتي : من؟ كميليو؟

الوجيه : لقد تحدثت الى كميليو، يا مولاي. وهو الآن يستجوب هؤلاء الأشخاص المساكين. لم أبصر في حياتي احداً تصطك ركبتاه من شدة الخوف هكذا. هم جاثون يقبّلون الأرض ويحلفون بعظماء الآلهة لدى كل كلمة يلفظونها. بينما ملك بوهيميا يسد أذنيه عن سماعهم ويتهمهم بألف جريمة وجريمة.

برديتا : مسكين والدي! لقد سلمتنا الأقدار الى أيدي الجواسيس لأنها لا تريد ان يتم زفافنا.

ليونتي : هل انتما متزوجان؟

فلوريزال : لا، لم نتزوج بعد، يا مولاي، ولا حظّ لنا بتحقيق هذه الأمنية على ما يبدو. سابقاً كما ألاحظ كانت النجوم تنحني لتقبيل الوديان. اما اليوم فأرانا ضحايا لعبة ماكرة.

ليونتي (يشير الى برديتا) : هل هي ابنة ملك، يا مولاي؟

فلوريزال : أجل، حالما تصبح شريكة حياتي.

ليونتي : هذه المرة، اذا حكمت من خلال استعجال ابيك، فان تحقيق هذا الحلم يستغرق بعض الوقت. انا مستاء جداً لكونك قطعت حبل مودة يربطك بها الواجب البنوي. وأنا مستاء كذلك لكون عروس احلامك غير غنية بالصفات الحميدة كما هي ثرية بالمال لتستحق ان تكون من نصيبك.

فلوريزال (لبرديتا) : ارفعي رأسك عالياً، يا عزيزتي. عندما يصبح الحظ عدوّنا المنظور ويتضافر هو وأبي، ويتنكران كلاهما لنا بغية تحطيم امانينا، فلا قوة في الدنيا تستطيع ان تنال من حبنا وتفصل بيننا. (لليونتي) أستحلفك يا مولاي ان تتذكر ايام كنت في مثل عمري وفي مثل وضعي، وأن تتذكر إيضاً اشواقك في ذلك العهد البهيج لتدافع عن قضيتي. فان والدي لا يسعه أن يرفض لك طلباً مهما كان عسيراً بل يستسهل الصعب اكراماً لك.

ليونتي : اذا كان الأمر كما تقول، سأطلب منه ان يرضى بخطيئتك ويبارك زفافكما.

بولين (لليونتي) : مولاي الملك، ارى في محيَّاك نضارة الشباب الغض. قبل وفاة الملكة بشهر، كانت المسكينة تستحق منه نظرة الإعجاب هذه التي تشع الآن من عينيك، ولم تمنحها اياها.

ليونتي : كنت أفكر فيها اثناء تأملاتي الأخيرة. (لفلوريزال) لكني لم أردّ بعد على سؤالك. أنا ذاهب الى والدك. وبما ان رغباتك تندرج في اطار الأخلاق الحميدة، فأنا أظل صديقكما وصديقه، وسأقابله حالاً لمفاوضته في الأمر. اتبعوني اذاً ولاحظوا خطّتي في العمل. تعال يا مولاي العزيز.

(يخرج الجميع).

المشهد الثاني
في صقلية ــ قرب القصر

(يدخل اوتوليكوس وأحد الوجهاء)

اوتوليكوس : قل لي يا سيدي، هل كنت حاضراً حين انكشفت الحقيقة؟

الوجيه : كنت حاضراً عند فتح الرزمة، وسمعت الراعي العجوز يقص الحادثة المذكورة. وعلى هذا الأساس، بعد فترة من الدهشة امرنا جميعاً بمغادرة القاعة. عندئذ فقط خيِّل اليّ اني سمعت احداً يقول للراعي: ان الولد قد وُجد.

اوتوليكوس : يسعدني ان أطّلع على نهاية هذه القصة.

الوجيه : لقد سردت لك تفاصيل الحادث. انما لاحظت بعض التبديل في تصرفات الملك وكميليو يستدعي الدهشة. يظهر لي ان الإثنين لكثرة ما أطالا النظر احدهما الى الآخر تعبت عيناهما، وكان سكوتهما فصيحاً ينطق بما يخبآنه في صدريهما، وكذلك حركاتهما تنم عن افكارهما كأنهما وقفا

على الخبر اليقين من عالم عمَّت فيه الرشوة والإنحلال الخلقي. وكانت علامات التعجب مرتسمة على وجهيهما. أما المتفرج البارع، حسب ما نطقت به أنظاره، فلم يستطع ان يحدد ما اذا كان الفرح والألم قد غلبه، والأرجح هو المزيد من هذا وذاك من المشاعر المكتومة.

(يدخل وكيل بولين)

ها هوذا وكيل السيدة بولين، ويمكنه ان يزيدكم تفصيلاً. كيف تسير الأمور يا سيدي؟ ان هذا النبأ الذي يؤكد البعض صحته يشبه الى حد بعيد قصة قديمة مريبة. هل وجد الملك وريثه؟

الوكيل : لا خبر أصح من الحقيقة التي بيَّنتها الظروف. ان ما تسمعه ستتوق الى رؤيته لتعدد الشواهد عليه: هناك معطف الملكة هرميون والعقد حول عنق الإبنة، ورسائل انتيغون، وعظمة مظهرها، وشبهها بوالدتها، ومعالم نبلها الذي يرفعها بطبيعة الحال فوق مستوى اوضاعها وجميع البديهيات التي تثبت بكل تأكيد انها ابنة الملك ليونتي. هل حضرت المقابلة بين الملكين؟

روجر : كلا.

الوكيل : اذاً خسرت مشهداً كان من الواجب عليك ان تراه، مشهداً لا سبيل الى وصفه. اذ كنت ترى فرحاً يتبع ذهولاً بشكل يزيل الهموم عن الصدر ويستدرّ دموع الإبتهاج. هناك أنظار شاخصة الى السماء وأيد مرفوعة الى العلاء وغموض في تعابير الملامح لا تقوى على تفسيرها العيون الفاحصة والملابس الفاخرة. وقد اخرج السرور الملك عن نفسه عندما وجد ابنته، كما لو كان هذا الفرح قد انقلب بغتة الى ترح في مأتم شخص عزيز عليه، فصرخ : والدتك، آه من والدتك. ثم طلب السماح من البوهيمي. ثم عانق صهره، ثم من جديد ضمّ ابنته الى صدره، وأخيراً شكر الراعي العجوز الذي ظل كجسر قديم عبرت عليه أجيال عديدة واستفادت منه سلطات مختلفة. انا لم اسمع احداً تكلم عن مقابلة كهذه شوّهت الرواية التي اوردتها وتعدت كل وصف.

روجر : ارجوك ان تخبرني ماذا حل بأنتيغون الذي اخذ الطفلة.

الوكيل : هذه ايضاً حكاية قديمة ستجد من يرويها عندما تسود الثقة وتنفتح

الآذان لسماعها. لقد مزّق جسمه الدب، كما يؤكد ذلك ابن الراعي، الذي روى الحادثة بسذاجة، وقد عرفت بولين منديله وخاتمه حالما ظهرا الى حيز الوجود.

الوجيه : وماذا حل بسفينته وبالرجال الذين رافقوه؟

الوكيل : تعرّض الجميع تحت أنظار الراعي للغرق مع سيدهم بشكل جعل كل الأدوات التي ساهمت في التعرف على الطفلة تضيع حين وجدت هي. لكن ما أنبل الصراع بين الفرح والألم الذي نشأ في نفس بولين. فتارة اجتاح الحزن فؤادها بفقد زوجها، وطوراً إتجه املها الى السماء حين جرت استشارة الآلهة. فأنهضت الأميرة عن الأرض وطوقتها بذراعيها، كأنها تخشى ان تفقدها وودت ان تخفيها في صدرها.

الوجيه : هذا المشهد الجليل يليق بالأمراء ان يشاهدوه بما ان ممثليه هم من الملوك.

الوكيل : ان احدى حسنات هذا المنظر المؤثر الذي بهر عيوني واستدرّ دموعي أثناء سرد تفاصيل موت الملكة، وقد اعترف به الملك نفسه وأسفه له، هو لفت انتباه الإبنة الكئيبة الحزينة. فبعد ان بدرت منها دلائل الأسى، افلتت منه أنّة اسف، ونزفت عيناه دمعاً، ان جاز التعبير، وأنا واثق من جهتي بأن الألم فاض من قلبه المنقبض سيلاً من العبرات. عندئذ تفتت عواطف من قدّ قلبه من الصخر وأغمي على كثير من الحاضرين، وأجهش الباقون بالبكاء. ولو أمكن كل من في الدنيا ان يروا ذلك المشهد، لعمّ الحداد المسكونة بأسرها.

الوجيه : وهل عادوا الى البلاط؟

الوكيل : لا، لقد حدّثوا الأميرة عن تمثال امها الذي أوكلت حراسته الى بولين. وقد استغرق صنعه عدة سنوات وأكمله منذ عهد قريب النحات الكبير جوليو رومانو الذي تتلمذ على الفنان البارع رفائيل الذي لو تسنى له امتلاك الأبدية واستطاع نفخ روح الحيوية في اعماله لقام بوظيفة الطبيعة بقدر ما اتقن صنعته وقلد هيئتها اذ نحت تمثال هرميون على صورة هرميون الحقيقية

بمهارة لا يعوزها سوى النطق والحركة. الى هناك مضى الجمع وكلهم عطاش الى منهل الحب يرومون ان يرووا غليلهم منه.

روجر : لقد خامرني الشك بأن لبولين ضلعاً في هذه القضية الهامة، لأنها منذ وفاة هرميون لم تتأخر عن زيارة ضريحها المنفرد سيراً مرة أو مرتين كل يوم. هل تريدون ان نذهب وننضم الى جموعهم حيث تقام حفلة العيد؟

الوجيه : ومن لا يود ان يكون هناك وقد تسنى له ان يحظى بامتيـاز قبوله بين الحاضرين؟ ففي كل رفّة عين تحدث أعجوبة جديدة، وغيابنا عنه يضر كثيراً بمعرفتنا. فلنذهب.

(يخرج الوجهاء).

اوتوليكوس : في تلك اللحظة فقط، لو ملكت مصير وجودي، لانهال عليّ التقدير والإكرام. فأنا الذي أوصلت الرجل الى العجوز وابنه الى السفينة حيث كان الأمير، وأعلمته بأني سمعتهما يتكلمان عن رزمة لست ادري ما فيها. وعن موضوع آخر لا ادري ما هو، لكنه حتى تلك الساعة كان مشغولاً بمن أعتقد انهما ولده وابنة الراعي، وكان قد اصابه دوار البحر وهو ايضاً يشكو منه، ولم يكن حاله بأحسن من حاله، فبقي السر بدون ايضاح. لكن ذلك لم يؤثر عليّ. فان كنت انا من اكتشف ان هناك سراً فقد جاءت بادرتي عملاً في غير محله بين العديد من اساءاتي الأخرى.

(يدخل الراعي والمهرج بملابس فخمة)

لقد احسنت الى هؤلاء عن غير قصد، وها هم في ابهى مظاهر غناهم.

الراعي (للمهرّج) : انا سعيد بمصادفتك، يا سيدي. لقد رفضت ان تقاتلني في ذلك اليوم لأني لم أولد في أحضان الوجاهة. هل ترى ثيابي هذه؟ قل لي انك لا تبصرها، وانك تصرّ على عدم تصديق تأكيدي اني خلقت وجيهاً. الأولى بك ان تصرح بأن هذه المعاطف لم تخصص لمن ولدوا في أحضان الوجاهة. هيا كذّب ما أكرره على مسمعك، وانتظر مني ما يثبت لك اني متحدر من سلالة الأشراف الرفيعة الشأن.

اوتوليكوس : الآن ايقنت بأنك، يا سيدي، من اصل سامي المقام.

المهرّج : أجل، ومنذ اربع ساعات، أنا أردد عليك ذلك.

الراعي : وأنا ايضاً، يا ولدي.
المهرّج : وأنت أيضاً. غير اني كنت وجيهاً قبل ابي. لأن ابن الملك أمسك بيدي ودعاني اخاه. اذ ذاك دعا الملك ابي اخاه. حينئذ ما كان من الأمير اخي ومن الأميرة اختي الا ان دعوا والدي اباهم، وعلى هذا الأساس بكينا وكانت تلك الدموع الأولى التي زرفناها ضمن اطار الوجاهة الأصيلة.
الراعي : سنجد فسحة كافية من العمر، يا ولدي، لكي نزرف غيرها من الدموع.
المهرّج : أجل، هذا صحيح، وإلا لن يسعدنا الحظ في مجال ضيِّق كالذي نحن نتخبط فيه.
اوتوليكوس : أتوسل اليك بتواضع، يا سيدي، ان تصفح عن كل ما اسأت به الى مقامك السامي، وإن تحدث عني مولاي الأمير بما يحسِّن نظرته اليّ.
الراعي : ارجوك ان تفعل ذلك يا بني. ولنتصرف بما يليق بنا وقد بتنا الآن حقاً من الوجهاء.
المهرّج (لأوتوليكوس) : ارجوك ان تصلح مجرى حياتي.
اوتوليكوس : أجل، ان كان هذا يرضي سيادتك.
المهرّج : هات يدك. سأقسم للأمير مؤكداً انك من خيرة الشبان الشرفاء في بوهيميا.
الراعي : نعم، يمكنك ان تعلن هذا، انما لا تقسم يميناً لتأكيده.
المهرّج : ان لم اقسم لتأكيده الآن وأنا وجيه سأدع حثالة الناس والقرويين يذيعونه، وأنا سأقسم وأؤكده للملأ.
الراعي : وان كان هذا خطأ، يا ولدي؟
المهرّج : حتى ان كان من افظع الأخطاء، فان الوجيه الأصيل يمكنه ان يقسم ويؤكد ذلك لمصلحة صديقه. (لأوتوليكوس) سأقسم للأمير بأنك رجل قوي مفتول الساعدين وانك لا تسكر ابداً. انا اعلم جيداً انك لست رجلاً قوياً ولا مفتول الساعدين وانك تسكر على الدوام. لكن هذا لا يهم. سأقسم بذلك لأني أود من كل قلبي ان تكون رجلاً قوياً متين العضلات.
اوتوليكوس : سأبذل جهدي لأكون عند حسن ظنك، يا مولاي.

المهرّج : أجل، وبأي ثمن، كن رجلاً شديد البأس، واذا تجاسرت وسكرت بدون ان تكون رجلاً قوياً فأنا لن تعتريني الدهشة، وأنت يمكنك ان تحجب ثقتك عني. اسمع، ان الملوك والأمراء انسباءنا ذاهبون لمشاهدة تمثال الملكة البديع الصنع. فهيا اتبعنا وستلاقي هناك سادة كرماء.

(يبتعدون)

المشهد الثالث

في معبد صغير ملاصق لقصر بولين

(يدخل ليونتي وبولكسان وفلوريزال وبرديتا وكميليو وبولين)

ليونتي : يا بولين الكريمة الفاضلة، اشكرك على التعزية الخيِّرة التي جدت بها عليّ!

بولين : مولاي الملك المبجَّل، ان لم اكن دوما صالحة الاعمال، فنيتي لم تكن يوما سيئة. ولقد رددت لي جميع خدماتي أضعافاً مضاعفة. لكن فضلك الأكبر هو زيارتك بيتي المتواضع مع شقيقك المتوّج بولكسان وهذين الخطيبين وريثي عرشك، ولن انسى فضلك الكريم عليّ ما حييت.

ليونتي : هذا الشرف يسبب لك الإرتباك، يا عزيزتي بولين. لقد اتينا لنشاهد تمثال الملكة، وفي اجتيازنا مدخل قصرك سحرتنا التحف النادرة التي تزيّنه. غير اننا لم نبصر ما جاءت ابنتي لتراه، ألا وهو تمثال والدتها.

بولين : عندما كانت الملكة على قيد الحياة لم يكن لها من شبيه. كذلك في مماتها، انا واثقة بأن شخصها يفوق كل ما امكنك ان تشاهده من صنع البشر. لذلك احرص عليه في مكان حريز، فهو ها هنا. فاستعد لترى المرأة المنبوذة في ابهى ما يتجلى به الموت من نوم هادىء. انظروا وقولوا

لي كم هو جميل! (تزيح ستاراً وتكشف عن تمثال هرميون). انا احب صمتك لانه أبلغ ما يعبر عن دهشتك. لكن، تكلم اولا يا مولاي. ألا تلمس قوة الشبه بينهما؟

ليونتي : هذا وضعها الطبيعي. أنحي عليّ باللائمة ايها الحجر العزيز، حتى اقول حقا انك شخص هرميون. انت بالحري أشبه بها اذا لم تتهمني، لأنها كانت تجسد الرقة والسماحة. انما لم تكن التجاعيد تشوب محياها هكذا، يا بولين، لانها لم تتقدم في السن بهذا المقدار كما تظهر الآن امامنا.

بولكسان : لا، لا، لم تبلغ هذا العمر.

بولين : ان نبوغ النحات تجلّى هكذا بعظمة عندما كبَّرها ستة عشر عاما، وجعلها كأنها لا تزال على قيد الحياة الى هذه الساعة.

ليونتي : أجل، لو كانت لا تزال حيّة. وهي في هذه الساعة تعيد الى أنظاري مشهداً معزّياً كالمشهد المؤلم الذي يعذّب الآن نفسي. أجل، كانت تبرز في عينيها هذه الثقة وفي محيّاها هذه الحيوية والعزّة والحنيّة، مع انها ليست سوى حجر بارد، لكنه يذكرني بما استقبلتني به من حرارة الشوق يوم كنت أغازلها لأول مرة. لقد صعقتني براعة هذا التمثال الذي يُخيَّل اليّ، وإن يكن جماداً، انه يلومني على ما قبلت به بقلب متحجّر كالصخر الأصم. هذا التمثال آية في الابداع، وعظمته الخلاّبة تذكرني بذنوبي تجاه مَن تستحق ذكراها كل اكرام وتمجيد. فتعويضاً عن تقصيري حيالها، أوجّه كل اعتذاري وندامتي الى ابنتها المتعجّبة المتألمة نظيري.

برديتا (جاثية على ركبتيها) : دعني أتصرف، ولا تقل ان ذلك تزلُّف مني اذا جثوت والتمست بركتك. يا سيدتي الملكة العزيزة، انت التي انهيت حياتك عندما كدت ابدأ انا حياتي، هاتي يدك لأقبلها تقديرا وتيمُّنا.

بولين : صبراً، يا عزيزتي، فالتمثال قد تمّ صقله من عهد قريب جداً ولم يجفّ بعد طلاؤه.

كميليو (لليونتي) : ان ألمك، يا مولاي، لا يزال حياً بقدر ما هو جرح فؤادك عميق، اذ ان ستة عشر شتاء لم تبرّد رياحها العاصفة لظى عذاب نفسك المبرّح. وما خالج شعورك من فرح في هذه الأثناء، لم يعش طويلاً،

لأن الألم لا يزول الا عندما يرتاح الضمير من تأنيب صاحبه بعد الندم والتعويض عن الإساءة.

بولكسان : اخي العزيز، اسمح لمن سبَّب لك هذا العذاب ان يبادر الى تخفيف حزنك بما يشاطرك اياه من الأسى والأسف.

ليونتي : لا تسدلوا الستار.

بولين : لا لزوم لأن تطيل النظر اليها، لئلا يخيل اليك انها ستتحرك عما قريب.

ليونتي : كما تشائين. كم اود ان اموت لأني لم اعد قادر على تحمل عبء شقائي. من صنع هذا التمثال؟ ألا يخيل اليك، يا مولاي، انها تتنفس وان الدم الذي يملأ عروقها لن يلبث ان يدور في انحاء جسمها؟

بولكسان : هذا عمل جبار يشهد على عبقرية فذة حتى ليظن الناظر اليها كأن حرارة الحياة تدب في أوصالها وتتجلى على شفتيها.

ليونتي : لست أدري ما تنطوي عليه نظرة هاتين العينين النجلاوين من حركة براقة تمجد نبوغ صانعها.

بولين : سأسدل الستار، لأن تأثير مولاي تعدى كل الحدود، حتى ظن ان التمثال ينبض بالحياة.

ليونتي : آه يا بولين الحلوة، ارجوكِ ان تدعيني أعتقد بذلك مدة عشرين سنة متتالية. لأن كل حجج الدنيا المقبولة لا تساوي لحظة سعادة في هذا الأمل. فدعيني .املأ نظري منها.

بولين : انا حانقة، يا مولاي، لأني تركتك تبلغ كل هذا التأثر الذي يزيدك حسرة وتفجُّعا.

ليونتي : اكملي، يا بولين، لأن هذه الحسرة عزيزة على فؤادي كأخلص التعزيات القلبية. مع ذلك يخيل اليّ ان نسمة من عبيرها تهب عليَّ وتنعشني. ما ابرع الإزميل الذي نحت هذا التمثال الناطق البليغ. ارجو ان لا يسخر احد مني ان وددت ان أقبِّله.

بولين : تمالك نفسك، يا مولاي الرزين. ان الطلاء لا يزال رطباً على شفتيه وأخشى ان تشوهه بتقبيلك اياه، وأن توسخ شفتيك بزيت دهانه. هل أسدل الستار؟

ليونتي : كلا. ليس قبل مرور عشرين سنة.

برديتا : وأنا سأظل طوال هذه المدة من المتأملات.

بولين : قفوا حالاً عند هذا الحد وغادروا المعبد، وإلا استعدوا للمفاجأة الجديدة. اذا كان لا يزال لكم قوة نظر تطلّعوا جيداً على التمثال كي أجعله يتحرك فعلاً، وأدعه ينزل عن قاعدته ويصافح يد كل منكم مسلّماً. انما ارجو ان لا يخامر أذهانكم ابداً، وهذا ما أتمسك به، بأن قوى الشر تساعدني على تنفيذ ما افعل.

ليونتي : يسعدني ان اشاهد وأسمع كل ما تتوصلين الى حملها على عمله وعلى قوله، اذ ان الأسهل عليك ان تدعيها تنطق من ان تدعيها تتحرك.

بولين : لا بد لك من ان تستعيد ايمانك بالواقع. ظلوا جميعاً في امكنتكم بدون حراك، وان كان فيكم من لا يصدق أذنيه وعينيه، فالأولى به ان ينسحب فوراً.

ليونتي : تصرفي. فلا احد منا يغادر مكانه.

بولين : اصدحي ايتها الموسيقى، وأيقظيها من سباتها. (تسمع انغام موسيقية) حان الوقت، فانزلي عن قاعدتك. كفي عن ان تظلي حجراً. تقدمي وأدهشي جميع من يتفرسون فيك مدهوشين. هيا سأردم قبرك، فتحركي وسيري. (تنزل هرميون بهدوء عن القاعدة. لليونتي) ها هي تتحرك كما رأيت. لا تتراجع، ان حركتها بريئة طبيعية كما ان تصرفاتها شرعية. لا تتجنبها قبل ان تراها مائتة ثانية، وإلا تكون قتلتها مرة اخرى. هيا مد اليها يدك. عندما كانت صبية، التمست انت رضاها، اما الآن بعد غيابها، فقد بات عليها هي ان تلتمس محبتك وعطفك. (تفتح له هرميون ذراعيها. ويبادر ليونتي الى معانقتها).

ليونتي : انها ليست باردة. فاذا كان هذا سحراً فان تعاطي السحر يغدو هكذا حلالاً وضرورياً اكثر من التغذية.

بولكسان : ها هي تقبّله.

كميليو : وتطوّق عنقه. ان عادت حقاً الى الحياة، فلتتكلم اذاً.

بولكسان : أجل، ولتشرح لنا كيف قامت من بين الأموات، وأين عاشت طوال هذه المدة؟

بولين : اذا كنتم، برهاناً على وجودها حية، تكتفون بشهادتي وتأكيدي، فستضحكون كأنكم تستمعون الى حكاية خرافية قديمة. انما لا مجال لأي شك في انها تحيا، وان لم تتكلم. اصبروا قليلاً. (لبرديتا) ارجوك ان تتدخلي ايتها السيدة اللطيفة. اركعي واطلبي بركة والدتك (لهرميون) التفتي، يا سيدتي. ها ان عزيزتنا برديتا المفقودة وُجدت.

(تشير الى برديتا التي ترتمي على صدر امها)

هرميون : ايتها الآلهة، اخفضي انظارك، وانثري بركاتك كالورد على رأس ابنتي. قولي لي يا حبيبتي، من الذي عثر عليك وربّاك؟ اين عشتِ؟ وكيف اهتديت الى بلاط ابيك؟ اسمعي، انا علمت من بولين بأن وصية الآلهة جعلتها تأمل حتى الآن بوجودك على قيد الحياة. وانا تجلدت طويلاً لأرى هذه الخاتمة السعيدة.

بولين : ستقص عليك ذلك فيما بعد، خشية ان يعكر فرحكما بعض التفاصيل الكئيبة. اذهبوا معاً، يا من يسركم ان تكتسبوا خير عبرة من هذه الأحداث. دعوا الجميع يشاطرونكم بهجتكم. أما انا العجوز الثرثارة فسأنطوي على نفسي تحت اغصان جافة، وهناك سأندب الرفيق الذي لم أعثر عليه رغم البحث طوال حياتي، وابكي حتى تضمحل آمالي وأحلامي.

ليونتي : هدئي روعك يا بولين. عليك ان تقبّلي العريس الذي أقدمه الآن لك كما استلمت من يدك المرأة التي احببتها في الماضي. هذا اتفاق بيننا اقسم وأصر على تنفيذه لا محالة. لكن كيف وجدتِ لي زوجتي؟ هذا ما لا بد لك من شرحه لي. لأني شاهدتها ميتة، كما خيِّل اليّ، وقد رددت كلاماً كثيراً فوق ضريحها. انا لا اريد ان اذهب في البحث بعيداً، لأني اعرف جيداً عواطفها ورغبتها هي ايضاً في ان تجد لك زوجاً جديداً شريفاً لائقاً. اقترب، يا كميليو، وتناول يدها، انت الذي تخوّلك مآثرك ونبالتك هذا المجد الرفيع بأن يحيِّيك ملكان دفعة واحدة. لنخرج من هذا المكان (لهرميون) تطلّعي اذاً الى اخي، وسامحاني كلاكما، لأني نظرت الى ما

يكنّه كل منكما من مودة نحو الآخر بعين الغيرة والحسد. (يشير الى فلوريزال وهرميون) هذا هو صهركما، ابن الملك بولكسان الذي شاءت السماء ان يكون خطيب ابنتي. خذينا، يا بولين الكريمة، الى حيث نستطيع الاستفسار بهدوء، لنتلقى الأجوبة عن الدور الذي قام به كل منا ضمن الفترة الزمنية الطويلة التي فصلت بيننا. هيا خذينا.

(يخرج الجميع).

﴿ تمّت ﴾